

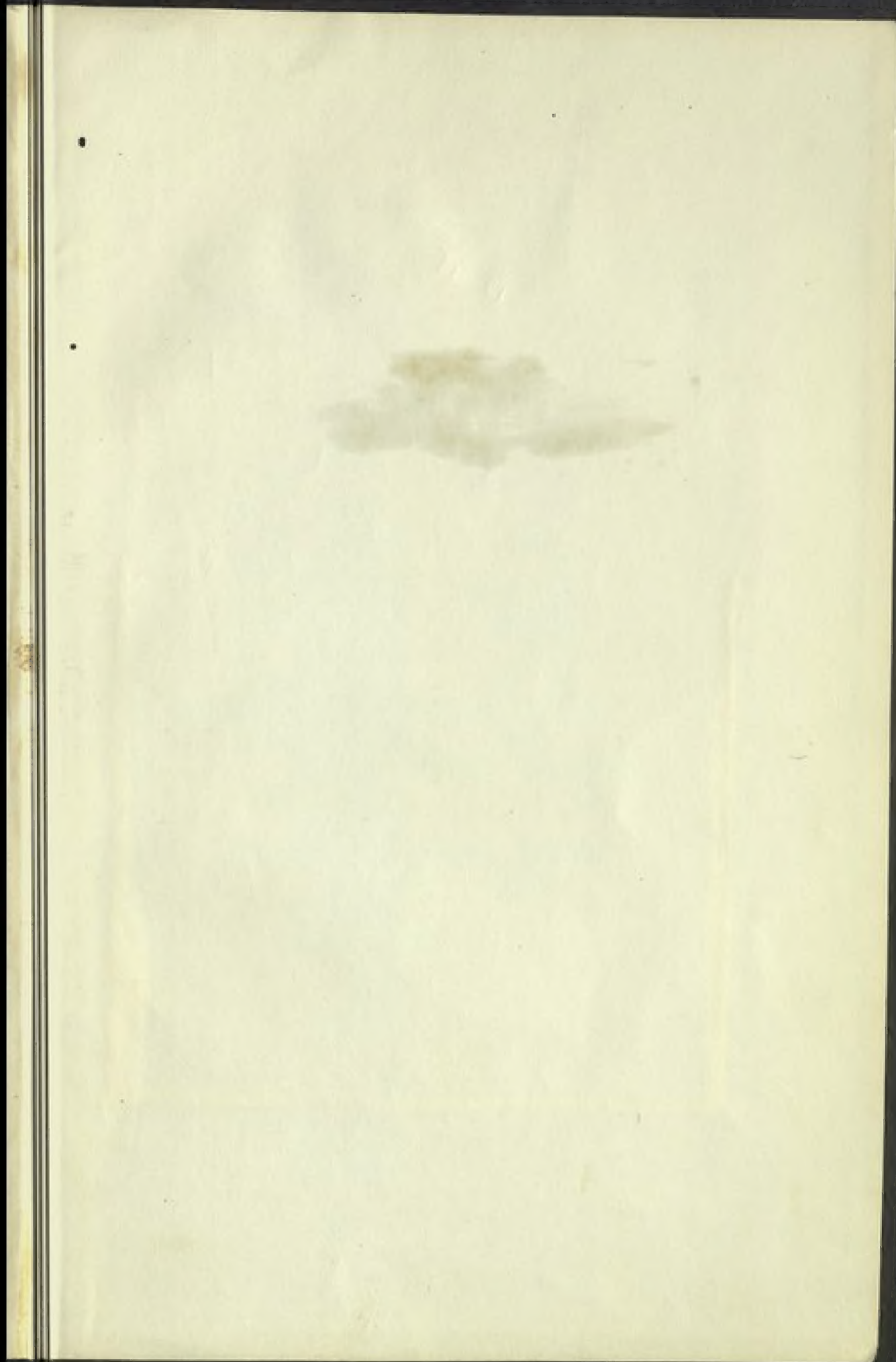
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدفر
٢٢٩٧٧



Handwritten text, possibly a signature or date, located at the bottom of the mounted piece.



الجمهورية اللبنانية

وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة - مديرية الآثار

نصوص ورثا لوقت تاريخية

٢

منتخب

من "الحول على إقترح الأحياء"

للككتور ميخائيل مسافه

تحرى نصوصها ووضع مقدمتها وفلها رسمها

صبي أبو سقرا
مأمور آثار بيت الدين

الدكتور أسد رستم
أستاذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

بيروت

١٩٥٥

لشركة التجارة العامة

مكتبه العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت



لشركة التجارة العامة

لشركة التجارة العامة

مكتبه العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

مكتبة العامة في مدينة الكويت

هذه هي الحلقة الثانية من منشورات مديرية الآثار في باب «النصوص والوثائق التاريخية» التي خصصناها بمستندات التاريخ اللبناني المعاصر .

وقد ظهرت الحلقة الأولى سنة ١٩٤٩ ، مخرجة لأول مرة بالطبع ديوان المعلم نقولا الترك ، شاعر الأمير بشير ، فالقت ضوءاً شعرياً واقعياً على حياة لبنان العامة والخاصة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال حياة أميره وشاعره .

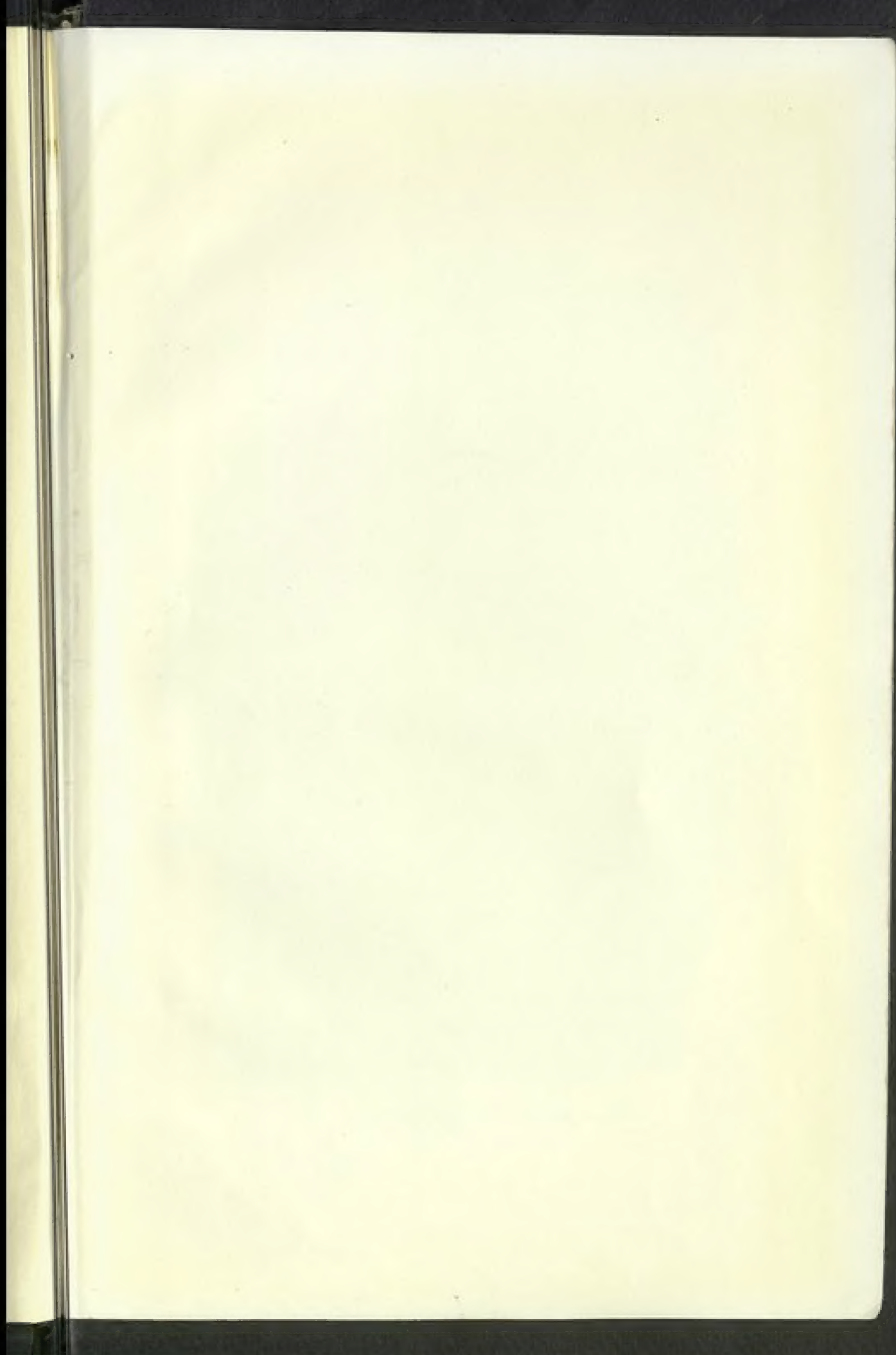
وها ان الحلقة الثانية تتناول قسماً من الحقبة نفسها وتمتد بالمعلومات الى ما بعد منتصف القرن . وذلك من خلال حياة المؤلف وحياة أسرته الخاصة فيكون « جواب مشاقه على اقتراح احبابه » ، خير متمم لديوان الترك . وهذا ما توخيناه من خدمة التاريخ اللبناني في هذه السلسلة من المنشورات .

فؤاد افرام
البستاني

موريس حافظ
شهاب



الدكتور ميخائيل مشاقة في اواخر حياته



المقدمة

والجواب على اقتراح الاحباب سفر جليل مفيد أجاب به الدكتور
آل مشافه : ميخائيل مشافه عما وجهه اليه ابناؤه واحفاده من أسئلة تتعلق بتاريخ
اسرهم واخبار والدهم وجدهم .

وآل مشافه اسرة يونانية الاصل طرابلسية المنشأ انتقلت من جزيرة كورفو الى
طرابلس لبنان في منتصف القرن الثامن عشر للاتجار بمشافة الحرير . والمُشافة في
عرف اللبنانيين ما يبقى من الحرير والكثان والقنب بعد المشق بالمحشفة . وجد هذه
الاسرة الذي استوطن طرابلس هو يوسف بترأكي . وجدتهم الاولى في لبنان انتسبت
الى اسرة لبنانية يونانية ايضاً عرفت ببيت القلقاط واستوطنت قرية انقه أممي رسائل
العمارة التي لا تبعد كثيراً عن مدينة طرابلس .

وبعد وفاة الجددين في طرابلس انتقل ابنهما جرجس الى صيدا لتصدير التبغ الى
مصر والاتجار به . واراد التزوج فاختار فتاة من بيت منسي كانت تمت فيها بظهر
الى والدته بصلة . فأصر اهلها على الكثلكة . ولم يكن جرجس عالماً بتاريخ الكنيسة
فلم يرَ فرقاً بين الروم الارثوذكس وبين الروم الكاثوليك فانحاز الى هؤلاء وتزوج
كما شاء . ثم قضى الاتجار بالتبغ الى انتقال جرجس وزوجته الى صور ليقتربا
من منطقة التبغ واسيادها آل علي الصغير . ولم يدر جرجس آنذاك انه بعمله
هذا سيقرب ايضاً من طاغية عصره احمد باشا الجزائر والي الايالة .

وتوفي جرجس في صور عن ولدين ابراهيم وبشاره . وكان ابراهيم على شطر
وافر من الذكاء والمقدرة فأحبه السكان والحكام المحليون آل علي الصغير . وعلم
الجزار بذلك فاقطعه بلاد بشاره والشقيف ليجي الضرائب في هاتين المقاطعتين
ويقدمها في حينها . ثم اراد ان يبتز المال منه ابتزازاً فتوفي ابراهيم «مغموماً» . ولدى

وفاته استقدم الجزار ابنه جرجس وحجز عليه وطلب منه مالا كثيراً . وما فنيء
الجزار يطلب المال حتى فقدت ثروة جرجس . فأطلق الجزار سراحه . فصادر
جرجس مدينة صور والتجأ الى اقرباء زوجته في دمياط الى آل عنحوري وأطلعهم
على ما حل به . فخشي المنحوريون غضب الولاة وطمعهم وأشاروا على جرجس
بالعودة الى بر الشام والالتجاء الى دير القمر الى بلد الشهابي الكبير ملاذ الحرية
الوحيد آنئذ في جميع أنحاء السلطنة العثمانية .

فقصد جرجس دير القمر وأقام فيها باسم مستعار وتعلم الصباغة واشغل بها .
ثم علم الأمير بقدمه فعطف عليه وجعله أحد كبار كتّابه لا بل كتّابه الخصوصي .
فاستقدم جرجس عائلته من صور واسكنها دير القمر . وغضب الجزار على الشهابي
الكبير واضطره الى النزوح عن لبنان . فنقل جرجس عائلته من دير القمر الى رشميا
وسار بمعية الأمير . ثم عاد الأمير الى الحكم بعطف الصدر الأعظم فعاد جرجس الى
دير القمر كاتباً وأمينا على الصندوق .

ولدى عودة جرجس الى لبنان كانت زوجته قد ولدت له ابناً
ميخائيل مضاف : في العشرين من اذار سنة ١٨٠٠ في رشميا . فدعاه ميخائيل .
فنشأ ميخائيل في دير القمر وترعرع فيها . وتعلم القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب
على والده . وكان نبياً ذكياً يجالس كبار القوم ويستفيد من احاديثهم . فسمع من
يهود دير القمر انهم يعرفون اوان الخسوف والكسوف قبل حدوثها . فانصل بأحدهم
احق الاذرعى وطلب اليه ان يعلمه الحساب العالي لقاء مبلغ وافر من المال . ولم
يلزم ميخائيل آنئذ ان الخاخامين كانوا ينقلون اخبار الخسوف والكسوف عن
كتب الالمناك التي كانت تأتيهم من اوربة وان اصدق وعد بما يجهل فلم يأخذ عن
هذا الخاخام سوى درس في الملاحظة والتسويق . ثم طلب اليه والده ان يتصل بالقس
كبرئلس فرح احد رهبان الروم الكاثوليك في دير القمر لقضاء حاجة معينة . فدخل
ميخائيل على هذا القس فوجده يطالع كتاباً مخطوطاً فيه جداول وارقام واشارات
الى الشمس والقمر . ففرح وقال للقس : ما هذا الكتاب ؟ فأجابه بوجه عابس :
هذا شيء عبق لا تفكر على فهمه . هو الكيكليس نعرف بواسطته وقوع الاعياد
وحساب الاشهر والسنين الرومية والحلالية . فرجاه ميخائيل ان يسمح باستنساخه

ففعّل . وعندما تم له ذلك اكب على درسه فاكتشف امرين اولهما ان القس كان ضعيف القراءة يلفظ الكلمات احياناً بخلاف منطوقها والثاني ان الكتاب كان خالياً من البحث في الخسوف والكسوف .

وظل ميخائيل يهتم في الخسوفات والكسوفات ، لانه كان يصدق مزعموات الدجالين بانها تعلن بحوادث عظيمة كالحروب والابثة وموت بعض الكبراء . وفي السنة ١٨١٤ جاء خاله بطرس عنحوري من دمياط الى دير القمر لمعالجة عيني احدى بناته فحلّ ضيفاً على شقيقته وصهره جرجس مشاقه . وعندما اخرج كتبه من صندوقه نظر ميخائيل اليها فوجد على ظهر احدها العبارة علم الهيئة في الفلك لديلاندر الفرنسي وعلى الثاني تقويم الكواكب لديلاندر ايضاً وعلى الثالث حاشية على كتاب بيامين الانكليزي في علم الطبيعة وعلى الرابع علم الطبيعيات وعلى الخامس المأخذ الحديث في تقويم الكسوفات لبطرس عنحوري . وقلّب ميخائيل هذه الكتب فوجدها مخطوطة بالعربية وقد ترجم اكثرها باسيل فخر فنصل فرنسة في دمياط ففرح ميخائيل وسأل خاله كيف تعلم هذه العلوم فأجابه انه تلقى علم الفلك عن استاذة الشيخ محمد الصباغ الميقاتي الشهير وانه لدى وصوله بونا بارت الى مصر تعلم اللغة الافرنسية وتلقى عن علماء الحملة الفلك والطبيعة والجغرافية . ثم قال : « فاذا كنت ترغب ان تتعلم فانا اعلمك لاني فاضى من الاشغال وقصدي ابقى عندكم مدة الشتاء والربيع لمشاهدة حوادث الجو التي لا تحصل في اقليم مصر . والآن فصل الصيف فتكون المدة طويلة » . وهنا يقول ميخائيل في هذا الجواب على اقتراح الاحباب : « ففي ثاني يوم ابتدأت بدرس المأخذ الحديث . وفي مدة شهرين خلصت منه مع عدم تعطيلي عن الشغل في صناعتي . فاعتدت في كل يوم من ايام الشغل درسين صباحاً ومساءً وايام البطالة بنامها . ولم يحضر وقت سفر خالي حتى تمكنت من صناعة التقويم وفهمت ما تبسر لي من علم الهيئة والطبيعة وغيرهما . »

وفي السنة ١٨١٧ ارسل جرجس مشاقه ابنه ميخائيل الى دمياط ليلتحق بأخيه اندراوس ويستغل معه في مخزن عمه . فقام ميخائيل الى دمياط وعمل في مخزن عمه وتعاطى التجارة لحسابه بمبلغ صغير من المال . وبعد سنة بدأ يطالع سياحة المعلم فولبي الفرنسي وكان قد نقلها الى العربية باسيل فخر المشار اليه آنفاً . « فتبليت

افكاره في امور الديانة ورأى الكثيرين من اهالي دمياط مسلمين ونصارى مبلي
 الافكار اكثر منه . وفي اثناء اقامته في دمياط ذهب ميخائيل وجماعة من
 اصدقائه الى عرس . وبينما كانت الموسيقى تصدح بالحانها سأله احدهم ما هو هذا
 اللحن . وقبل ان يعترف ميخائيل بجهله تدخل عكاوي في ما لا يعنيه وقال : « هذا
 جيلي لساه بعله لا يفهم شيء انا اخبرك ان اللحن هو كذا وكذا » . فتأثر ميخائيل
 من غلاظة هذا العكاوي وصمم آنذاك على درس الموسيقى . فدرسها على اربع الموسيقيين
 في دمياط واتقنها . ثم ألف فيما بعد رسالة في اصولها اصبحت من افضل ما صنف
 من نوعها بالعربية^(١) . واقام ميخائيل في دمياط ثلاث سنوات متتالية . ثم عاد الى
 دير القمر لما عاناه في دمياط من الخوف من داء الطاعون والضجر من الانعزال في
 البيت طوال فصل الشتاء من كل سنة .

ولدى عودته الى دير القمر في السنة ١٨٢٠ تعاطى المؤلف نسج الاقشة
 الحريرية . وفي السنة ١٨٢١ رغب في الاطلاع على الجبر والمقابلة فوجد كلاماً
 وجيزاً في هذا الموضوع في آخر كراس مخطوط لبهاء الدين العاملي عنوانه خلاصة
 الحساب . وتوطدت صداقته في هذه الفترة مع الشيخ قاسم جنبلاط واخيه الشيخ
 سليم جنبلاط ابني الشيخ بشير جنبلاط . وزاد احتكاكه في هذه الاونة نفسها
 بالامير عباس شهاب الذي تولى الحكم في لبنان في اثناء نزوح بشير الثاني الى
 حوران .

وفي السنة ١٨٢٧ انتدبه الشهابي الكبير للقيام بوظيفة مدير عند امراء حاصبيا .
 وكانت قد جرت العادة ان يكون هذا المدير من اخصاء الشيخ بشير جنبلاط .
 فألح امراء حاصبيا ولا سيما الامير سعد الدين ان يقوم باعباء هذه الوظيفة بمخائيل
 مشاققة لما كان قد اشتهر به من المقدرة والاستقامة وحسن العلاقة مع اولاد الشيخ
 بشير جنبلاط . فاقروهم الشهابي الكبير على ذلك واوقد ميخائيل مديراً بمثله في
 حاصبيا . فاکرم الشهابيون مشواه ووهبوه جزءاً من مالاكانتهم في الحولة . ثم اعطوه
 قرية في منطقة القنيطرة . فترك ميخائيل نسج الحرير وبدأ يعمل في السياسة والزراعة .

(١) صحح عبارتها الشيخ نصيف اليازجي سنة ١٨٤٤ ثم نشرها الآباء اليسوعيون في المشرق
 سنة ١٨٩٩ .

فأصيب في السنة ١٨٢٨ بداء الملاريا فعاد الى دير القمر للتخلص من هذه الحمى الدورية. وكان من حميد مزايده انه لم يكن يرى شيئاً او يسمع به الا احب استطلاع كنهه. وكانت له ثقة تامة بقواه العقلية فكان يعتقد انه يقدر ان يتعلم كل ما يريد. فعالمًا نفعه من مرضه عكف على مطالعة الكتب الطبية. وما ان فعل حتى شعر بعجزه عن تفهم بعض اصطلاحاتها فاستعان على ذلك ببعض الاطباء. ثم استدعى الشهابي الكبير طبيباً ايطالياً الدكتور جوزف كارلياني لمعالجة بعض الامراء. ففجاء برفقة هذا الطبيب طبيب اخر هو صهره زوج ابنته. فحث ميخائيل الامراء على استبقاء الصهر في دير القمر. فاجابوا سؤله واعطوا الطبيب الشاب بيتاً لسكنه. فاستقدم عائلته واقام في الدير مدة درس في اثنائها ميخائيل عليه اموراً واموراً. وبعد سفر هذا الطبيب الى دمشق اخذ ميخائيل يمارس الطب مجاناً. ثم عاد الى حاصبيا للقيام باعباء الوظيفة لدى امرائها.

واشتد النزاع بين محمد علي باشا وبين عبدالله باشا وزحفت جيوش العزيز على عكة في خريف السنة ١٨٣١ فهرع ميخائيل الى بتدين يفارض سيد لبنان في موقف امرء حاصبيا من هذا النزاع. ثم نزل الى عكة ودرس الموقف فيها عن كسب وعاد الى حاصبيا مقتنعاً بوجوب التعاون مع الجيش المصري. ولما تم فتح عكة وقام الجيش المصري الى دمشق انضم الامير سعد الدين ومدير اموره الى معية الشهابي الكبير وسارا معه الى حمص وعاوناه في ادارتها شهراً ونصف الشهر. وفي السنة ١٨٣٣ رأى الامير سعد الدين ان مصلحته تقضي بوجود وكيل له في دمشق يتابع دعاويه امام حكومتها الجديدة فعين ميخائيل ممثلاً له فيها. فاشترى ميخائيل منزلاً له في دمشق واقام فيها. واهتمت الحكومة المصرية في تعمير البلاد واحياء القرى والاراضي. فتعهد ميخائيل بتعمير قرية ايب في اللجاء والحرية والمنصورة في الحولة والتزم بعض الاموال الاميرية. فلما نشبت الفتن في البلاد سطا الثوار على قراه فخسر اموالاً كثيرة فلجأ الى التطبيب يستعين به على قضاء حاجاته. وكثرت اقامته في دمشق فتعرف الى الدكتور كلوت بك رئيس اطباء مصر ورافقه في بعض زياراته الطبية. فأحبه كلوت بك واهداه جميع الكتب الطبية التي كانت قد ظهرت في مصر بالعربية مع ادوات للجراحة. ثم جعله رئيس اطباء دمشق. فكثرت احتكاك ميخائيل باعيانها وبفناصل الدول فيها.

ولم يجد ميخائيل في التطبيب بعد خروج المصريين دخلاً كافياً لمعيشتهم فاضطر
 ان يتعاطى التجارة مرة ثانية . فهو يقول في رسالة له مؤرخة في تشرين الثاني سنة
 ١٨٤٤ وموجهة الى عالي سميت المرسل الاميركي ما نصه : « لا يخفى جنابكم ان
 وسيلة معيشة داعيكم كانت من ثلاث جهات الاولى ٧٠٠٠ غرشن تورد لي سنوياً
 من جناب الامير سعد الدين المحترم الثانية اكم فدان بقر في ارض الحولة معاف على
 طرف الامراء المومي اليهم ثالثاً صناعة الطب . فالان بحسب الحال الحاصل في
 حاصيا قد انقطع املي من جناب الامراء بالكلية . وصناعة الطب لا تكفي للمعيشة
 بهذه المدينة اقتضى ان اتركها واعمل مصلحة غيرها . والذي وجدته اوفق من الجميع
 هو معاطات البيع والشرا ثم قبول الامانات حيث لا يوجد عندي راسمال يكفي
 للمعيشة من ارباحه وحدها . فلذلك قد اشتركت مع احد اخواني وهو الخواجه
 الياس ابو قاسم كونه مضبوط للغاية ومتخرج في هذه المصلحة . وقد حررنا للاخوان
 في بيروت وغيرها بهذا الخصوص عن يد اخينا ابراهيم ومولين حسن النجاح بتوفيق
 الباري تعالى ودعا الاخوان مع مساعدة فنصلنا المفخم بهذا الطرف . وحيث موجود
 عندكم جملة تجار معتبرين من جماعتكم ولم اشغال كليسة بمحروسة الشام ولم يكن
 لداعيكم معرفة معهم فاشتهي جداً بان يكون شغلهم عند داعيكم وبحوله تعالى اقدر
 على خدمتهم كمرغوبهم باكثر مما يخدمهم غيري . وسايط المساعدة لداعيكم عن
 مصلحتي بهذا الطرف هي اقوى من وسايط غيري ان كان من طرف الكنسلارية ام
 من طرف الحكم ام من طرف اعيان البلدة حيث لي كمال المحسوبة على كل من
 ذكرته . واما في طرفكم لم يكن لي واسطة عند حضرة التجار الاوروبيين غير سيادتكم
 فلا اشك بان غيرتكم من تحوي هي باكثر من املي فيكم . ومع هذا فمعي حصلت
 التجربة من المومي اليهم فيظهر صدق الخدمة اليهم في مصالحهم . فلذلك ارجوكم
 مساعدتي في هذه القضية على الوجه الذي تروه موافق وتفيدوني عما نستحسن
 لنسلك بموجبه . »

ويتضح من بعض ما جاء في هذه الرسالة ان صداقة ميخائيل مع المرسلين الاميركيين
 كانت قد توطدت وان احتكاكه بهم كان قد كثر وانه كان قد بدأ يشعر بوجوب

(١) محفوظات الدكتور اسد رستم - بيروت : تشرين الثاني سنة ١٨٤٤ .

الحفاظة على مصالحهم. فهو يقول في آخر هذه الرسالة نفسها ما يأتي : « ثم من خصوص
 حاصبيا بسبب تشديد البطررك^(١) على عزل الامير خليل ومساعدته من طرف الوزراء
 عندكم قد صدر الامر بعزله وتنصيب لطيف آغا احد رجال مشير الشام . فعندما
 بلغ ذلك لسعادة قنصلنا المفخم فأظهر مزيد الغيظ ولم يرتضي بذلك وحصل القرار
 على ان يتوجه لحاصبيا جناب عمر افندي الغزي مفتي الشافعي من رجال ديوان
 الشورى وقبوجلر كاهيه سى من رجال الوزراء ويحضر معتمد من طرف سعادة
 خليل باشا وصحبته مائة وخمسين خيال من العسكر لاجل منع وقوع الفتنة. ويحضرهم
 يتحرر جرنال الدعوى وبيان الاسباب التي يطلبوا فيها عزل الامير خليل وبيان
 الذي يريدوه من الذي لا يريدوه . فاذا وجد ان له جنائيات تستوجب العزل وان
 الذين يريدون عزله هم الاكثرية فحينئذ يعزل والا فلا. » والاشارة هنا الى الاضطراب
 الذي وقع في حاصبيا من جراء التبشير بالمذهب الانجيلي بين افراد الطائفة
 الارثوذكسية . وما يجدر ذكره هنا صداقة ميخائيل مع المعلم بطرس البستاني الذي
 كان قد اعتنق المذهب الانجيلي وبدأ بالعمل لاجله . فقد تكررت زيارات بطرس
 الى حاصبيا في تلك الآونة وله فيها رسالات طويلة لا تزال محفوظة لدى المرسلين
 الاميركيين في بيروت .

بيد ان ميخائيل لم يقدم على اعتناق المذهب الانجيلي وترك الكاثوليكية قبل الثامنة
 والاربعين من عمره . فقد جاء في مخطوطته التي نحن في صددها ما نصه : « ومن
 حين رجوعي [من مصر كما سيتضح] توالت علي الافكار الدينية فتارة افنكر بانني
 لا اعرف ما يعرفه فولتير وروسو وامثالهما فكيف هؤلاء الفلاسفة يسمحوا بهلاك
 انفسهم الابدي ويرفضوا جميع الاديان فلو كانوا يجدوا دليلاً على صحة احدها لتمسكوا
 به . وتارة اراجع نفسي بان الحكيم نيوتون هو اعلم واعقل من المذكورين وقد عرف
 بقوة عقله قوة الجذب الضابطة للكون بمجرد مشاهدته لسقوط ثمرة من شجرة وعرف
 ان الارض مسطحة ستة وعشرين ميلاً من جهتي قطبيها بدون وصوله اليها القضايا
 التي لم تدركها ارفع العقول ومع وفرة علمه وذكاوة عقله الفايقة فكان اشد الناس
 تمسكاً بالديانة ومقاومة لشكربها . وبهذه الاثناء عثرت على كتاب طبع مالطة مترجم

(١) بطررك الروم الارثوذكس .

للغربية تأليف المعلم كيث الانكليزي عنوانه البيئة الجليلة على صحة الديانة النصرانية
فعمدت لمطالعته وشعرت بفضل هذا العلامة ونظرته يتكلم بغير الكلام الذي يقرره
علماء كنيسة . فحينئذ اخذت في قراءة هذا الكتاب بكل اصغاء واعتبار . ولم
انته من مطالعته والتروي من براهينه حتى رسخ في ذهني صدق الديانة المسيحية .
فكان تركي لكنيسة سنة ١٨٤٨ وذلك بعد تكراري مطالعة الكتب المقدسة مراراً
وثلاثة كتب للتقليديين رداً على معتقدات البروتستانتين وكتب عدة للبروتستانتين
رداً على المذكورين . وحينئذ اشتهرت نفسي بالمذهب الانجيلي .

وكان قد سافر الى مصر سنة ١٨٤٥ وبقي فيها ثمانية اشهر كثر اجتماعه فيها
بالدكتور كلوت بك « ناظر عموم الصحة » ومؤسس كلية القصر العيني فطلب اليه
ان يسمح له بمشاهدة اعمال التشرح والجراحة فكان له ذلك وواظب عليه . ثم
استحضر الدكتور كلوت بك لمنزله ثلاثة من الاساتذة تلاميذ باريز احمد افندي
وحسين افندي الرشيدى وابراهيم افندي الغبراوي وطلب اليهم ان يمتحنوا مبخائيل
فتردد اولاً لانه تعلم الطب على نفسه ثم قبل . وهو يقول بهذه المناسبة : « فحضعت
لامره وجرى فحصي ولله الحمد لم يوردوا سؤالاً لا اعرفه ولذلك استحسنوا اجوبي
وسلموني شهادة تحت امضاء وختم البك المشار اليه » . وبعد ان زار الآثار القديمة
ودخل حرم الجيزة وشاهد الرصد الفلكي في بولاق وعمود السواري ومسلات فرعون
عاد الى وطنه دمشق « مغموراً بالطاف المصريين » . سنة ١٨٥٩ عُين نائب
قنصل للولايات المتحدة في دمشق فقام باعباء وظيفته خير قيام ثم استقال وانعكف
على التأليف حتى توفاه الله في دمشق سنة ١٨٨٨ .

واشتهر مؤلفاته رسالة الدليل الى طاعة الانجيل سنة ١٨٤٨ واجوبة الانجيليين
ضد اباطيل التقليديين سنة ١٨٥٢ وجواب لصديق من طائفة الروم بمحضر
لاقناعه بصحة المذهب الانجيلي سنة ١٨٥٢ وكشف النقاب عن وجه المسيح
الكذاب سنة ١٨٦٠ والبراهين الانجيلية سنة ١٨٦٣ وتبرئة المتهم مما قذف به
البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٤ ورسالة البرهان على ضعف الانسان
ورسالة في ترجمة البطريرك مكسيموس ورسالة الرد على ابن الحموية والرسالة الشهادية
في قواعد الحان الموسيقى العربية والتحفة المشاقبة في علم الحساب وكتاب المعين على

حساب الايام والاشهر والسنين وكسوفات الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها.
المؤلف «الجواب على اقتراح الاحباب»: ومؤلف ميخائيل مشافه الذي نحن
بصدده الآن هو آخر مؤلفاته فيما يظهر . فهو يقول في اوله انه كان قد بلغ سن
العجز وانقطع عن كل عمل فاحب ان يلبي طلب بعض اخوانه فيضع تاريخاً يدون
فيه اخبار عائلته وما عرفه عن حوادث لبنان وبقية بر الشام ولذا العنوان «الجواب
على اقتراح الاحباب» . ويستدل مما ورد في ذيل هذا الكتاب انه تم في الثاني
والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٧٣ في مدينة دمشق . ويتناول ميخائيل في
تاريخه هذا اخبار بيت مشافه وترجمة احمد باشا الجزائر واخبار عكة وجوارها وبلاد
بشاره في عهده ثم علاقة الجزائر بالامير يوسف الشهابي وعزله ووصول الامير بشير
الكبير الى الحكم وحروبه مع اولاد الامير يوسف وحصار بونابارته لعكة وحركة
الدروز الاولى وابطالها بسياسة الشيخ نجم العقيلي والدور الذي لعبه المعلم حاييم
فارحي في عكة واتفاق جنبلاط وعماد وعصيان شمالي لبنان والحرب بين درويش
باشا وعبدالله باشا واشترك اللبنانيين في ذلك وزحفهم على دمشق وقدم مصطفى
باشا لمعونة درويش باشا ونزوح الامير بشير الى مصر ووصول الامير عباس الشهابي
الى الحكم في لبنان وعودة الامير بشير ونجيم الشيخ بشير جنبلاط وحضور يونس كين
الاميركي والتصاق اسعد الشدياق به وقيام جنوبي لبنان على الامير بشير وشنق علي
العماد واطفاء بصر بعض الامراء والخلاف بين امراء حاصبيا وقيام الدمشقيين على
واليهم سليم باشا وقدم ابراهيم باشا المصري وقيام النكديين للالتحاق بالجيش
السلطاني واستيلاء المصريين على عكة ودمشق وحرب حمص واحتلال حلب
واورفه وادنه وقوته وأسر الصدر الاعظم ووقوع الصلح بين السلطان وبين
المصريين وتعيين شريف بك حاكماً على بر الشام وهدم بيوت النكديين وظهور
العصيان على المصريين في جبال النصيرية وفلسطين وجبل الدروز ووادي التيم
والعودة الى القتال بين السلطان ووالي مصر وضرب بيروت ونزول الامير بشير
الى صيدا ونفيه الى مالطة وخروج ابراهيم باشا من سورية واخبار الامير بشير
واولاده في الآستانة واحتجاج النصاري في لبنان على الاموال الاميرية وموقف
الحكومة العثمانية منهم وغضبها عليهم وايقادها نار الفتنة بين الدروز والنصارى
واخبار الفتنة في دمشق وغيرها . وهو فريد في بابها بما انطوى عليه من اخبار

اجتماعية اقتصادية التي قلما تعرض لذكرها مؤرخ . ولما كان ميخائيل نفسه شديد
الولع بالعلم مجدداً في تحصيله وكان الجواب على اقتراح الاحباب تاريخاً لبيت مشاقه
اصبحت اخبار ميخائيل نموذجاً تاريخياً للعلم والتعليم في لبنان في النصف الاول
من القرن التاسع عشر .

ورواية ميخائيل لها اهميتها لانه لم يكن له مصلحة فيما يروي ولم يزين ويحسن
ليسوف القارى الى استنتاج معين ولم يخضع لظروف قاهرة تكرمه على النطق
بالبطل . ولم يشايخ فئة معينة من الناس ليناصرها على الاخرى . وهذا واضح جلي
في معالجته لاختيار الدروز والنصارى في لبنان . فانه على الرغم من تدينه وتمسكه
بالتصراية يبعد عن الدروز كثيراً من التهم التي كانت تُلصق بهم ويكبر في
بعض زعماتهم مزايهم الطيبة فيرى في الشيخ نجم العقيلي مثلاً مثلاً للثقوى وجودة
العقل واصالة الرأي ويقول : « ومن ارشاد هذا الرجل الحكيم تلاشي تدبير اصحاب
الحركات وبطل عملهم واضى الجميع كعيلة واحدة فلو وجد مثله انسان في
عصرنا من النصارى والدروز لحفظوا بلادهم من المصائب التي لحقت بهم في
حوادث سنة ١٨٤١ و ١٨٦٠ » . ولم يحاول ميخائيل مشاقه ان يتودد الى جمهور
الناس او ان يتسلطهم او يداريهم فهو لا يحصر انتقاده للعقائد في مذهب واحد
دون سواه تراه بعد ان يكيل الكيلة الواحدة الى الكاثوليك ينتقل الى الارثوذكسين
فاليهود والمسلمين . وقد تمتع ميخائيل باكثر شروط المشاهدة العلمية فانه يوضح
طريقته في المشاهدة ويفرق بين ما شاهده بنفسه وبين ما اخذه من غيره ثم يثبت
مفتونه على مشاهدة ما يروي مشاهدة مباشرة . هذا ولا يخفى ان امر العدالة والضيظ
عند الراوي الواحد ليس جامعاً مانعاً فلا يمكننا والحالة هذه ان نأخذ بجميع اقوال
ميخائيل بل يجب النظر في كل خبر من اخباره على حدة .

وقد عرفنا لكتاب الجواب على اقتراح الاحباب نسخاً عديدة أهمها نسخة
بطريركية الروم الارثوذكس في دمشق . فهي في عرف حضرة صاحب الغبطة
البطريك الكسندروس الثالث نسخة المؤلف نفسه . وهي في عرفنا ايضاً نسخة
مؤلفها لانها تتفق في خطوط بعض صفحاتها وما تبقى من خطوط المؤلف لدينا .
وقد جاءت هذه النسخة في مئة واثنين وسبعين صفحة من القطع المتوسط وعلى
ورق من نوع « اثر جديد » الذي شاع استعماله في لبنان وسورية في النصف الثاني

من القرن الماضي . ولدى وراثه جرجس بك صفا نسخة اخرى بقطع هذه النسخة
الاولى وعلى ورق من نوع ورفها . ولعل هذه ايضا من خط المؤلف . اما نسخة
جامعة بيروت الاميركية ونسخة الدكتور ابراهيم مشاقه فانها تعودان الى اواخر
القرن الماضي بدليل الورق والحبر . واما مخطيها فانه في الأرجح خط احد افراد
اسرة صروف الدمشقية الذين عرفوا باستنساخ المخطوطات في دمشق في ذلك العهد .
وليس بين هذه النسخ جميعها من الاختلاف كبير في النص . وجل ما هنالك سهو
وقع في اثناء استنساخ النسختين الاخيرتين نجم عن عجلة في العمل . اما كتاب «مشهد
العبان في حوادث سوريا ولبنان» الذي ظهر في القاهرة سنة ١٩٠٨ لمقتنيه ملحم
خليل عبده وانلدراوس حنا شحاشيري فانه بعيد عن ميخائيل مشاقه بمفرداته واسلوبه
وترتيبه واضافاته . وحبذا لو ان السيدين المذكورين لم يثبتا في ديباجة هذا الكتاب
العبارة : لجامع حوادثه الدكتور ميخائيل مشاقه .

عن راس بيروت

في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥

صبي ابو شقرا

اسد رستم





بسم الله الواحد الازلي

الكاتب بلا برادة الهي الباقي الدائم بلا نهاية
له الحمد والمجد والنفرة والسلطان الى ابد الابدين

اما بعد فيقول كاتبها الفقير مخايل بن جرجس مشاقه المتوطن في دمشق منذ اربعين سنة وقد بلغ سن العجز منقطعاً في بيته عن كل عمل ان بعض اخواني الاعزاء قد طلب مني تقريراً تاريخياً يتضمن ما اعرفه عن اصل عائلتنا وسبب وضع لقبها بمشاقه وعما حدث لها عموماً ولي خصوصاً من البداية لحد تاريخه وعما اعرفه من حوادث لبنان وبقية بر الشام سواء كان فقلاً عن اسلافي او عما جرى بأيامي وعرفته بالنقل او بالمشاهدة فأجبت للمطلوب حسب الامكان وبالله المستعان .

ترجمة كاتبه مخايل مشاقه : هو مخايل بن جرجس بن ابراهيم بن جرجس بن يوسف بنراكي الذي تلقب بمشاقه . ان يوسف المذكور هو من مدينة كورفو التي كانت تحت حكم مشيخة البندقية . وكان له مركب لخاصته يسافر به بنفسه ويتجر به للاقليم المصري والسواحل سوريا . وكان له ميل خصوصي لاسكلة طرابلس الشام وتزوج بفتاة من قرية افقه من عيلة يقال لها بيت القلقاط . وكان يشتري مشاقه^(١) قشر القنب والكتان للتجارة بها الى معامل المراكب في بلاده وبسبب هذه التجارة لقبوه بالخواجه مشاقه .

(١) « المشاقه » ما سقط من الشعر او الكتان والحرير عند المشط او ما طار او ما خلص .
وقيل المشاقه ما يبقى من الكتان بعد المشط وهو ان يجذب في مشقة وهي شيء كالشط حتى يخلص خالص ويبقى فتاته وقشوره . عن محيط المحيط لمعاصر مخايل مشاقه وصديقه بطرس البستاني .

ثم ولد له من زوجته المذكورة ولداً واحداً دعا اسمه جرجس . ثم ادركه العجز وتوفيت زوجته وبعد مدة قصيرة توفي هو ايضاً . حينئذ ولده جرجس كره الاقامة في طرابلس وانتقل الى مدينة صيدا (سنة ١٧٥٢) بعد ان باع مركب ابيه وجمع ما تخلف عنه . ويظهر ان الذي اجتمع معه من المال كان وافراً فتعاطى في صيدا تجارة التبغ (المعروف بالتبن) الى بر مصر . وبسبب هذه التجارة صارت المعاملة بينه وبين مشايخ المتأولة الحاكين على مدينة صور وبلاد بشاره (١) الكثيرة التبغ . وبهذه الوسطة صارت المحبة بينه وبين المشايخ المذكورين . وفي ذلك الحين لم يكن لوزراء الدولة من قوة الحكومة سوى مجرد الاسم واما الفعل كان لرؤساء العشائر . لان مشايخ المتأولة يبيت علي الصغير كانت بلاد بشاره من حدود نهر الليطاني وحسر القاسمية الى الناقورة مع مدينة صور في يدهم . ومن الناقورة الى الكرمل وبلاد صفد مع مدينة عكة بيد مشايخ الزيادة . ثم من نهر الليطاني لجهة صيدا اقليم الشومر ثم بلاد الشقيب بيد المشايخ الصعيبة من المتأولة . فوالى صيدا يبيت في يده الى نهر سابق من جهة صور [مسافة] ميلا واحداً وهكذا ميلا واحداً عن شمالي البحر [الى] اقليم التفاح نابع لبنان ولجهة بيروت مسافة ميلين الى نهر الاولي ومن هناك الشاطئ مع مدينة بيروت ومدينة جبيل وغيرها الى قرب مدينة طرابلس يحكمه حاكم لبنان .

ثم اراد جرجس مشاقه الزواج فاختار بنناً من بيت منسى كون اصلهم من انفه قرية والدته وربما بينهم قرابة وعندما طلبها اجابوا بأنهم صاروا كاثوليك ولذلك لا يزوجوا الروم فطلب منهم معرفة ما هم الكاثوليك فأخذوه لدير في لبنان يبعد عن صيدا نحو ثمانية اميال قد احدثوه باسم المخلص منذ ثلاثين سنة اي سنة ١٧٢٥ التي هي اوائل انخياز البطرك سيروفيم الصيبي الدمشقي المتابعة البابا مع خمسة مطارنة من بطركية انطاكية . وتسمى حينئذ كيرلس الخامس . وعند وصول جرجس المذكور الى الدير قابله بالترحاب وبالقوا في اكرامه فأقام عندهم [بعض ايام] وحضر صلواتهم فوجدوا طبق الصلوات التي يسمعونها في كنيسة . وهكذا انهم يستعملون اللغة اليونانية . واثواب الرهبان وقلائسهم هي نظير [٢] ملابس رهبان الروم . فقال اذا الكاثوليك هم الروم . لماذا تغيروا اسمكم فهذا هو ذات مذهبي .

(١) ما يقع بين صفد وصور من جهة وبين مرجعيون وعكة من جهة اخرى.

فحينئذ اشتهر نفسه بمذهب الروم الكاثوليك وتزوج ا تحت الحاج موسى منسى وحيث نظر دير المخلص يحتاج الى المساعدة حتى ان الكنيسة باقية من غير واجهة ليكلها والمائدة الوسطى بدون قبة وغير ذلك مما يلزمه تكلفة . فأحضر قبة واعمدة رخام من اوروبا للمائدة على مصروفه . وهكذا عمل واجهة وابواب المياكل الثلاث وأوقف على الدير املاك كثيرة قد اشتراها من ماله منها قرية الوردية في جبل الريحان واربعة بيوت في مدينة صيدا وغير ذلك . وكانت مساعداته للرهبنة متصلة التي كافته عنها بترتيب قداس يومي ابدي عن نفسه وبعمل قداس عيد مار جرجس احتفالي باسمه الذي كتبوه منقوشاً بحجر المرمر على جانبي باب الهيكل الكبير هكذا فعلى الجانب الايمن (ادخل الى بينك واسجد في هيكل قدسك بخوفك) وعلى الجانب الشمالي (لقد احب جمال مجدك جرجس مشافه عبدك) سنة ١٧٥٧ ودام ميل بيت مشافه هذه الرهبنة ليوم تاريخه .

ثم ان المشايخ الحاكمين صور استمالوا جرجس المذكور ان ينقل لعندهم وانها اوفق لاشغاله مع اهالي بلاد بشاره لقربها وكثرة الخاضعات من التوتون والحبوب والاشخاب . ولم يكن وقتئذ يوجد احد من المسيحيين ساكناً في مدينة صور . فحضر اليها وحضر معه اقرباؤه بيت منسى وغيرهم . وعندما اجتمع فيها جملة بيوت تكاثر ورود المسيحيين اليها من الخارج وجميعهم من طائفة الروم الكاثوليك .

ولما تكاثر بها المسيحيون صار الشروع بعمار كنيسة على اسم القديس توما الرسول . وحيث البلدة لم يكن فيها جامع للمسلمين حيث اسلامها من فرقة الشيعة الذين لا تصح الصلاة الاجتماعية عندهم الا في شروط لا توجد في جميع المحلات والاقواف خلافاً لمذهب السنيين الذي هو مذهب الدولة مع اكثر رعاياها المسلمين . فاستحسن جرجس مشافه المذكور ان يبني من ماله جامعاً للمسلمين . وحصل الشروع بمارنه مع عمارة الكنيسة . وعندما بلغ ذلك وزير صيدا استدعى جرجس مشافه المذكور لعنده وسأله عن ذلك . فأخبره اني رأيت المسلمين الذين يحضروا الى صور من اصحاب الاشغال او عابري الطريق او من الدراويش السياح الذين لا يوجد لهم مكان بأويهم ولا محل اجتماع للصلاة وان عدم وجود جامع في المدينة هو من الامور الجالبة المذمة لاهاليها عند الناس والباري تعالى

(١) الهيكل الذي يجعل عليه الكامن ما يقده بعد نقله من المدبح .

لا يسمح بقصور كهذا. وحال كوفي توطنت البلدة المذكورة فلا بد من جهدي في كل عمل يعود لعمارها وراحة من يأتي إليها. وهذا يعد من محاسن الاعمال في أيام دولتكم. فالوزير انخط من هذا الجواب وألبس جرجس مشاقه فرواً من جلد السمور. وقال له بارك الله في عملك. لكن يلزم ان تترك بناء المأذنة لي لكي ابنيها من مالي ونكون لي شركة في هذا العمل الخيري. وهكذا تم عمار الجامع والكنيسة.

ثم شرع جرجس مشاقه في توسيع عمار بيته في صور مع عمار بيت آخر في قرية قانا (التي بعد ذلك توفي ودفن فيها). وهكذا جدد في صور جملة دكاكين ومخازن. وصار له اعتبار كلي عند اهالي بلاد بشاره وعند مشايخهم وعلمائهم. وصار له من الاولاد الذكور اثنان ابراهيم وبشاره الذي هو جد عائلة مشاقه القاطنة الآن في مدينة الاسكندرية وهي بشاره والياس اولاد يوسف ابن بشاره واولادهم. واما ابراهيم فهو جد عائلتنا. وهو من الاشخاص النجباء قد فاق على ابيه في حسن الادارة والتدبير. وكان معدوداً بين الرجال المبركين الاغنياء. فهذا تزوج بنتاً من عكة من بيت عوض وولدت له جملة ذكور واناث فالذين عاشوا من الذكور ثلاثة اكبرهم جرجس ولد سنة ١٧٦٥ ثم انطون سنة ١٧٧٩ وايوب ١٧٨٢ (٣).

وفي مدة ابراهيم تولى على صيدا احمد باشا الجزائر الظالم الشهير. وهو اول الوزراء في سوريا الذي ابتدى في ملاشاة قوة روسا العساير الذي انتهى وجودها بالكلية سنة ١٨٦٠ بعد قتل الامير سعد الدين الشهابي امير حاصبيا وكان هو الاخير. فاحمد باشا الجزائر اصله من البشناق حضر الى مصر وخدم عند امراء الغزاة. وكان من الذكاء والحيلة على جانب عظيم كما هو ايضاً قاسي القلب عديم الشفقة والرحمة. وعند موته اكثر الشعراء في نظم نوارنج المهجاء لقبيح فعالة. فما قيل في تاريخ سنة موته سنة ١٢١٩:

فاز الانام وأرخوه بمقصده هلك الشقي وإلى جهنم قد رحل

وقال شاعر آخر في تاريخه بعد الهجو:

انشدت مسروراً لتاريخي اتي هو احمد الجزائر باشا قد هلك

(١) الغز جرجس من الترك واحدم غزي.

فهذا فيه غلط حساب ٣٩ ربما تحريف من الناسخ. فهذا الرجل بمدة اقامته في مصر عمل في بيته وبنية دعى اليها بعض اصحابه من المماليك الغز واسكرهم وعندما رقدوا وهم سكارى فقام وذبح الجميع. المقول انهم كانوا ثمانية عشر. وهرب الى سوريا. ثم حضر لدير القمر في لبنان. وحيث لم يكن وقتئذ منزل للغرباء في البلدة المذكورة سوا حوانيت القهوة فنزل في قهوة الميدان التي يطل عليها بعض طيقان مقعد الامير يوسف الشهابي الذي كان حاكم لبنان حينئذ. وكان اكثر الاوقات ينظر الجزار جالساً في براني القهوة. وقد سأل عنه فأخبروه انه غريب من الاتراك يتكلم بالعربي لغة مصر الى انه ذات يوم بارد نظر الامير لهذا الرجل ليس عليه من الكسوة ما يقيه البرد. فسأل احد الخدام عن ذلك اجابه ان هذا الغريب قد باع جميع حوائجه ونهار امس باع الجبة التي عليه ليشتري لنفسه طعاماً. فالامير قال يجب ان يعطى له خبزاً وطبخاً من مطبخنا ما دام مقبلاً. وكان بجانب الامير كاخوته الشيخ غندور الخوري جد غندور بك الموجود الآن في قرية عين تراز والمدرسة الموجودة بها لبطريك الروم الكاثوليك هي نفس مسكن الشيخ غندور قد اشتراها البطريرك اغاييوس مطر سنة ١٨١٠. فالشيخ غندور قال للامير ان هذا الغريب لو كان يتيسر له خدمة في السواحل يعيش منها ما كان حضر تجميل. فاذا حسن لديك تقبله عندك. وربما يلزم خدمات خصوصية. فاستصوب الامير ذلك واستدعاه فحضر وسأله عن سبب حضوره فآخبره ان كان مستخدماً عند احد السناجق بمصر. وجلس المالك المستخدمين لا يرضوا ان يخدم سيدهم من هو ليس منهم لئلا يتقدم عليهم لانه حر من البشاق وكان ينتقل من خدمة الواحد لخدمة الآخر ويصادف المقاومة من الجميع. اضطر لترك مصر والحضور لبلاد الشام. ولم يتيسر له الخدمة لا عند الزيادة ولا المتأولة ولا عند والي صيدا. فأجابه الامير اني اقبلك عندي. واذا رأيت منك الصداقة والاستعداد فترفع الى الدرجة التي تستحقها. وأمر له الامير بكسوة لائقة وسلاح ومركوب وتعيين مأكولاته وعليق دابته ومكاناً لسكناه.

فامراء لبنان كانوا يقيموا مدة الصيف في دير القمر ومدة الشتاء في مدينة بيروت. فاحمد آغا الجزار ظهر منه حذاقة وشجاعة ونشاط في خدمة الامير يوسف أرحب له التقدم حتى فوض له الاحكام في مدينة بيروت حتى ان اهالي بيروت كانوا يثنوا عليه ويمدحوا من حسن تصرفاته. وبذلك زادت ثقة الامير فيه الى ان احمد آغا قرر للامير يوسف ان اسوار بيروت صاير اكثرها خراب. وليس

لنا أمنية من غدر الدولة خصوصاً فصل الشتاء المعروف وجودك بها مع عدم الاستعداد للمدافعة فإذا (غشينا) مركب في ظلمة ليالي الشتاء ولم يكن فيه غير مايتي (٤) نفر فيتمكن من كلها يريد فعله فينا ولذلك يلزمنا الاحتراز من غدر الدولة . وهذا قد يتم معنا بسهولة ولا يحتاج أكثر من ترميم الاسوار وضبط الابواب الذي نتم أكثر العمل بوضع سخرة على الاهالي من بيروت والقرايا القريبة لان ذلك يعود لدفع الضرر عن جميع البلاد . فالامير تشكر من حسن ملاحظة احمد آغا ولم يخطر في ياله ما هو مكتون في خبايا مكر احمد المذكور وأرخص بترميم الاسوار . فاحمد آغا المذكور بأمر العمل حالا بكل سرعة ونشاط واجتهد في تقليل المصاريف بتكثير السخرة ومناظرته على الاعمال بنفسه وانهى العمل بمدة وجيزة فانشرح الامر من ذلك وانعم على احمد آغا بزيادة مرتبه وفي ألقاب الشرف في مكاتباته له كما ان الشيخ غندور الخوري كان يمن باصاية رأيه باستخدام هذا الرجل النبيه النشيط ولم يدركا ان وراء ذلك الطامة الكبرى والبلاء الاعظم عليهما وعلى عموم رعايا ايالة صيدا لا بل على ايالة الشام ايضاً .

واما احمد آغا المذكور فبعد ما اكمل تحصين بيروت شرع سراً بعمل الوسيلة للاستيلاء على ايالة صيدا . ففي ذلك الوقت لم يكن بوسطة مرتبة لنقل المحررات بين البلدان . فكافت الدولة وولاتها في الايالات يرتبون عندهم رجال مخصوص لحمل الكتابات من السلطنة الى الولاة ومنهم اليها (يسمونهم تانار او ططر) وفي الامور المهمة ترسل الدولة اشخاصاً تعتمد عليهم من اصحاب الوظائف كالقبوحي باشي والشلحشور والبستانجي باشي^(١) الذي يصحب معه ربما اربعين نفراً من التانار . فسفر التانار وهؤلاء يكون بتسخير دواب الاهالي بدون اجرة . وكلما وصلوا الى بلدة يسخروا الدواب اللازمة لهم منها ويطلقوا التي كانت معهم لانها أعيت من سياقتهم العنيفة . ويقال ان التانار الفشيظ كان يتوجه من دمشق الى القسطنطينية في اسبوع واحد . ويرجع بمثله حال كون المسافة بينها على مشي دواب المسافرين اربعين يوماً . فن هنا يعلم مقدار الضرر على اصحاب الدواب باهلاكها . فأما احمد آغا الجزائر حال كونه حاكم بيروت والتانار القادمون لصيدا يمرؤن عليه فكان ينطلق بمسايرتهم وقضاء ما يلزمهم ويكرمهم خصوصاً اذا كانوا من مأموري الدولة اصحاب الوظائف . ويظهر للامير انه يفعل ذلك حتى يمدحوا

(١) القبوحي باشا رئيس الحجاب والسلاخشور لقب شرقي كان يطلق في اوائل عهد السلطنة على الكتبية الاولى من الحرس السلطاني والبستانجي باشي رئيس حرس البستانجي .

الأمير عند الوالي وعند الدولة . ولكن مقصده الباطن مدح شخصه لا فلما تمهد له حسن الاسم عند الدولة تكلم سراً مع احد القبوجية العقلا المارين عليه انه لما اذا الدولة مرتضية بان وزيرها والي الايالة الواسعة الانحاء يبقى محصوراً داخل مدينة صيدا ولا يحكم من الارض سوى ثلاثة اميال طولاً من مصب نهر الاولي الى ساقية سانيق وعرضاً من شاطئ البحر الى حدود قرية الحلالية التابعة لبنان مسافة ميل واحد . واما جميع الايالة فيتمتع روسا العشائر واتباعهم في خيراتها . اجابه ان قهر العشائر يلزمه حروب ومصارف كثيرة والنتيجة من ذلك لا توازي التعب والاكلاف . فأجابه الجزار اذا (٥) كانت تنعم الدولة على عبدها هذا بمنصب ايالة صيدا فأقوم بهذا العمل ولا اكلفها شيء . واول عملي يكون باستخلاص مدينة بيروت من حكومة لبنان . وقد سبقت واصلحت اسوارها وحصنتها جيداً لهذه الغاية . فطلب القبوجي عرضاً لا للدولة بالتقاسم منصب صيدا وبتعهداته وانه بوضوئه يسمى بانفاذ مطلوبه . فحرر له اللازم وبعد توجهه للاستشارة تم له مطلوبه وارسلوا له فرمان الولاية فصار سيده الأمير يوسف تحت امره . فانتقل الى صيدا . فوجه حكومة لبنان على الأمير يوسف كقديمه الا ان بيروت انفصلت عن حكومة لبنان

وعقب ذلك اتى على عكة حسن باشا الجزائري وزير البحر اذ كان فيها الشيخ ضاهر العمر الزيداني حاكم بلاد صفد وسواحل عكة وحيفا . وكان الشيخ المرقوم عمر سور عكة الداخلي وحصنه بالابراج والمدافع وعمر في السرايا برج الخزينة واصلح قلعتها القديمة ورتب لها طوبجية من الاتراك . وطلب حسن باشا اموالاً من الشيخ باسم الدولة وارضى بمبلغ خمسين الف غرش التي تبلغ في اسعار ذاك الوقت نحو خمسة وعشرين الف ريال فرائسه . فالاكثرون من معتمدين الشيخ اشاروا بالدفع . واما الطبيب التاجر الوافر الغنا الذي كان يقدم للشيخ كلما يلزم لمصارفه ويستوفي بدلها الزيت والقطن والحبوب وغير مسموح لغيره ان يتاجر بها وكان الشيخ يعتمد رأيه لحسن عقله ومزيد ادراكه وعلمه وهو المعلم ابراهيم ابن عبيد الصباغ الروم الكاثوليكي جد ابي الخواجه حبيب الصباغ الموجود الآن من معتبري تجار دمشق . فابراهيم المذكور قد خالف رأي الجماعة اعتماداً على ضعف الدولة وحصانة عكة ولم يحسب امكان خيانة الاتراك المستخدمين على المدافع . فأشار على الشيخ بقوله ان يتمنع عن الدفع لان الدولة العثمانية دائماً تطلب التقدم والزيادة فاذا اعطيتهم الآن فتي كل مرة يرجعون اليك ويطلبوا الزيادة وهذا الباب اذا انفتح فلا يعود امكان لغلظه فالاصوب عدم

فتحه وتقطع امل مطامعهم فلا يعودوا لمراجعتك . فاستحسن الشيخ هذا الرأي وجاوب بالمنع فحينئذ أمر حسن باشا باطلاق المدافع على عكة والشيخ أمر بضرب المراكب من عكة . فضربوا ولم يصوبوا عليها لحرمة مقاومة عسكر السلطان دبانة خصوصاً بأن الطوبجية اتراك . وقيل انهم سمروا آلات المدافع وهجمت العساكر البحرية على عكة . فعندما نظر ذلك الشيخ ضاهر بوقوع الخيانة من عسكره فقر هارباً فلحقه عسكر السلطان خارج البلدة وقتل ودفن هناك وقبره معروفاً حتى الآن . ثم صار القبض على اولاده وعلى المعلم ابراهيم الصباغ وضبط كلها وجدره من مال الشيخ واولاده ثم من اموال ابراهيم الصباغ التي قيل بأنه وصل منها الى خزينة السلطان ثلاثة وثمانون الف كبس بأسعار معاملة ذلك الوقت التي تساوي (٦) قيمة خمس مليونات ليرة او خمسة وعشرين مليون فرنك وهذا خلا ما اختلصه حسن باشا لنفسه وما انتهبه المأمورون من طرفه بضبط هذه الاشياء وقيل انه وجد عند الصباغ دواة كتابة من حجر الزمرد وغطاها حجر الماس يقولوا انها دواة يوسف بن يعقوب ابي الاسباط والقول في سبب وصولها اليه ان محمد بن ابي الذهب احد مناجق مصر عندما حضر لبر الشام بقصد اتخلك ورجع من دمشق خائياً فبوصوله لعند الكرمل ادركه الموت فجأة والتصارى يقولون انه عزم على هدم دير ايلياس النبي هناك فلذلك ختفه هذا النبي وكان ذلك سنة ١١٨٨ هجرية وقيل في تاريخه مات ابو الذهب لان هذه العبارة تبلغ في حساب الجمل ١١٨٨ . فالشيخ ضاهر كان حينئذ في بيته الذي بناه في اسكلة حيفا بالقرب من الكرمل فحالما بلغه موت ابي الذهب اتى برجاله الى معسكر المذكور واستولى على خزينته ومن جملة ما وجد فيها هذه الدواة فأوجها الى ابراهيم الصباغ قايلاً له هذه نصيبك كونك من ارباب القلم . ثم بعد ضبط موجودات الشيخ ضاهر واولاده والصباغ اخذوا اولاد الشيخ واولادهم والصباغ الى القسطنطينية فوضعوا الصباغ مقيداً في الترخانة مدة . فصودف ان الملكة اعترها مرض اعجز الاطبا حتى قطعوا الامل من حياتها فواحد من المقربين للملك اعرض لديه بأن الاطباء فرغ املهم من شفاء الملكة وموجود عندنا طبيب محبوس بالترخانة احضروه مع اولاد الشيخ ضاهر العمر يقال عنه انه ماهر جداً فان حسن لديكم يستحضر لرؤية الملكة . فاستحضره وعالجها فشفيت بواسطته فانعم السلطان باعتاقه وتبليسه طوقاً من ذهب وبذلك حصل له شهرة كلية عند كبراء الدولة والعوام بصناعة الطب فاستحوذ عليه الطمع بأن يقدر على جمع مال يرضي به الدولة على ارجاع اولاد الشيخ ضاهر لبلادهم .

ففي أحد الأيام صادفه حسن باشا المذكور في أحد المخلات فعاتبه على عدم زيارته في المركب فاعتذر له فأمره أن يأتي لعنده ثاني يوم يتناول معه الطعام ويوصله لعنده أمر بشنقه فشنقه بالمركب . والذي لحظ من السبب بأن الباشا المسمى إليه اخفى عن الدولة أشياء جسيمة مما اخذه من المذكور فعندما نظره محتوفا ومتداخلا في رجال الدولة اخفى منه أن يقرر عما اخذه الباشا المرقوم ويظهر اختلاسه ويكون ذلك كافياً لقطع رأسه حسب رسوم الدولة في ذلك الزمان فأراد أن يستر خيائنه بقتل البري المظلوم بسلب أمواله وخراب دياره . والمظنون أن غنى الصباغ الذي لم يعهد مثله في سوريا بذلك الأيام لم يكن جميعه من التجارة بل من عثوره على دفاين من أزمرة الصليبيين لأن عكة صادفها تغلبات كثيرة (٧) .

ولترجع إلى أحمد باشا الجزائر فاغتنم فرصة فتوح عكة ليأمن غايلة ما كان يحسبه من الدولة بأنها ستعزله من منصب ولاية صيدا كما تعزل باقي الولاة بمدة قصيرة اما لاحتمالها من تمكن الولاة من طول مدة ولايتهم أن يعصوا عليها كما عرفت ذلك بالتجربة واما لدفع مال تخزينتها مع الرشوة لرجالها ممن يطلب ذلك المنصب . فالجزائر انتقل من مدينة صيدا وجعل مركز اقامته في عكة مظهراً أن غايته تمهيد البلاد التي كان يحكمها الشيخ ضاهر العمر لأن له فيها احزاب لا يفترون عن عمل الفتن والقلاقل . واما غايته الباطنة الأمنية على دوام ولايته بتحصنه في قلعة عكة . ولذلك كان جل جهده في زيادة تحصينها واحتشاد الذخائر والمهمات الحربية ضمنها . وأكثر عنده من العسكر الغريب من البشناق جنسه ومن الارناوط وقساة الاكراد الذين جعل عنده متقدماً أحد مشايخهم الذين يعتقلون ولايته (قداسته) اسمه الشيخ طاهيا ولكن المسلمون يقولون انه يزيدي يعبد الشيطان . ولذلك عقب موت الجزائر ثاروا عليه وقتلوه ومثلوا به وقال الشاعر في تاريخ ذلك العام :

ما حلت يا حول حتى نلت فيك مني قلبي واشفيت قلباً كان محزوناً
واهلك الله فيك الظالمين ولم يعد إلى الجور والعدوان تمكيناً
فتكت في ذلك الجزائر ثم وقد الحقت فيه رجيماً كان ملعوناً
ذاك اليزيدي طاهيا من هوى سقر أرغ واضحى به اسماعيل مسجوناً
كلمات التاريخ تجميع (١٢٠٣) (١٠٢٣) وصحة التاريخ ١٢١٩ ربما وقع تحريف من الناسخ واخرجوا اسماعيل باشا من السجن وسلموه الاحكام لبينا يصدر امر الدولة لمن توليه .

والتراجع للذكر بعض اعمال احمد باشا الجزار . فبعد ان تمكن من عكة وبلاد صفد التي الفتنة بين مشايخ بلاد بشاره والشقيف وبين امير لبنان الامير يوسف الشهابي ولكن ظهر الضعف بالاكثر على المشايخ المذكورين وحيث جهر الجزار العساكر لمحاربهم . وحصل جملة وقايح . اخيراً اصيب كبيرهم الشيخ فاصيف النصرار برصاص اعداه الحياة حالاً . فتبددت رجاله وهرب بقية المشايخ مع خواص اتباعهم ودخلت العساكر في البلاد واهلكوا كثيراً من الرجال مستعملين النهب وتفضييح النساء والعذارى كالأولف عوايد عسكر الاتراك والاكراد . وبعد ايصال تلك البلاد لحالة الضعف بفقد شجعانها بعضهم بالقتل وبعضهم بالفرار حيث خضعت للجزار خضوع المغلوب

ان حالة داخلية تلك البلاد ومرتباتها الميرية ومقدار تحمل كل قرية من المطالبات جميعه كان مجهول عند ولاية الايالة اذ كان يعطى لهم من المشايخ بدلا عنها مالا طفيفاً وهم يأخذون من الاهالي بحسب تحملهم (٨) . فلذلك استحسن الجزار اعطاء بلاد بشاره الى ابراهيم مشاقه على وجه الالتزام بمال سنوي معلوم المقدار لكونه خبيراً بداخلية البلاد وبأشخاصها وله الادارة الكافية وقادر على دفع ما يتعهد به . فاستحضره واعطاه شرطنامه الالتزام مع شخص مسلم برسم حاكم في ظاهر الامر حيث اكثر اهالي البلاد من المسلمين الشيعة . ولكن نصرقانه تكون حسب ارشاد ابراهيم مشاقه الذي جعل مركز اقامته في قلعه مارون^(١) . فأحسن التصرف مع الاهالي ومع ولي امره جزار باشا ولذلك كان في بداية كل سنة يحدد له الالتزام لحين وفاته . فن اعماله انه كان يوجد من طائفة الروم الكاثوليك جملة عيال متفرقة في قرايا بلاد بشاره بين المسلمين حيث لا يوجد عندهم قسيس ولا لهم كتابس للقيام بفروضهم الدينية فجمعهم الى قرية شمسية^(٢) اسمها نفاخية^(٣) وعمرها لهم مع كنيسة ونخوري يتم لهم واجباتهم الدينية كما اجتمع المارونيون في قرية رميش^(٤) وعين ابل .

واما النازحون من بلاد بشاره فكانوا يختفون في احراشها الوسيعة ويسلبون راحة ابناء السبيل بالنهب والقتل ويتعدون على قرايا البلاد وعلى مجاورها بطلب اموال

(١) الى الجنوب الشرق من بنت جيل وعلى مقربة منها .

(٢) اي الى قرية يملكها بكمالها بلا شريك على الاطلاق .

(٣) يفتح النون وتشديد الفاء .

(٤) يفتح الميم وتسكين الياء .

وذخاير فالتزم الجزار ان يرتب رجالا للتفتيش عليهم وكثير ما استقردوا بعض هؤلاء المفتشين وظفروا فيهم واعدموهم الحياة كما ان المفتشين اذا ظفروا فيهم فيقتلوا منهم من لا يستطيعوا مسكه ليأتوا به حياً الى الجزار ويأخذوا عليه الجائزة ودام القلق لبعده وفاة الجزار.

فما حدث لابراهيم مشاقه انه في احدى خطراته لعند الجزار كان المفتشون احضروا للجزار نحو اربعين رجلاً من النازحين الذين يسلبون راحة البلاد . فأمر الجزار بامانتهم على الخازوق خارج باب عكة . فكانوا يرمونهم على الخازوق هذا على مقعدته وهذا على جنبه وهذا على كتفه فصودف مرور ابراهيم مشاقه عليهم وهم يتسمون هذا العمل البربري وكان باقي لانعام عملهم اربعة شبان فتكلم مع المأمورين ان يتوقفوا عن قتل الاربعة شبان لينبأ يدخل لعند الوزير فيرسل اليهم خبر اما في اطلاقهم واما في اعدامهم وبما ان المأمورين هم من جماعة الشيخ طاهيا ويعرفوا تردد ابراهيم على شيخهم وان بينها مودة فامتلوا كلامه . ومن التوفيق صودف وجود الجزار جالساً في باب السرايا القريب من باب البلد فتقدم لمواجهة الجزار فاستقبله بالترحاب وبالحال القميص العفو عن الاربعة انقار المرقومين وانه يدفع عنهم فدية للخرينة فقبل القامه وصدر الامر بتسليمهم له فأرسلوهم اليه فأخبرهم عن مرحلة الوزير بالعفو عنهم بحيث يتوبوا عن تصرفهم السابق وبقيهم في بيوتهم مطمئنين فكان جوابهم اننا كنا من المقتولين نظير ما قتلوا رفاقنا بأشنع الميثاق . ونجائنا كانت بواسطتك . فاذا انت الذي اشترينا وصرنا عبيد لك مدة حياتنا فلا تفارقك ونخدمك بأرواحنا ولو طردتنا فنقيم على ابوابك واحسينا من جملة (٩) اتباعك . فأعطاهم كسوة كونهم تعروا للقتل وعند نهاية شغله في عكة اخذهم صبيته لصور وبلاد بشاره .

فهذا العمل جعل الاسم الحسن لابراهيم مشاقه ليس عند المسيحيين فقط بل بنوع اخص عند المسلمين وبالاكثر عند الشيعة في بلاد بشاره كون الذين تخلصوا من القتل هم منهم . وكان هؤلاء الاربعة اكثر نشاطاً في مصالح ابراهيم المذكور من بقية اتباعه اذ كانوا يزيدوا عن الاربعين فارساً من الشيعة والنصارى اذ الطريقة العشائرية لا تجعل الفرق بين الاتباع باعتبار مذهبهم بل باعتبار صدق ودادهم .

فصودف ان البعض المتعصبين لمقاومة الحكومة افكروا بأن يغدروا بابراهيم مشاقه ثم بالحاكم المسلم الرسمي الذي بمعينه ليكون ذلك واسطة لارجاع الحكومة

في بلادهم ليد المشايخ . فحضر منهم جماعة وطلبوا مواجهة ابراهيم فخرج لمقابلتهم وفي اثناء مكالمته معهم هجم عليه احدهم ويده خنجرأ ليضربه به . فدخل بينهما احد الاربعة الاشخاص الذين سعى في خلاصهم من القتل واسمهم رجال وتلقى ضربة الخنجر في صدره فوق قتيلا وقبل مفارقتها الحياة قال الآن امكنتي اكافي منقذي من الخازوق . فاجتمع خدام ابراهيم حوله وكان هو من الشجعان فشتوا الغادرين بعد ان قتلوا بعضهم . ولكن ابراهيم احتسب من اجتماع الكثيرين عليه وليس عنده من القوة ما يكفي لمقاومة الكثيرين ولذلك حالاً ترك مكانه وتوجه لعند الجزائر واخبره بما حصل وانه عقيب خروجه من محله لحقه الخبر عن حضور جمهير كثيرة من رجال القرايا والتازحين يطلبونه ونهبوا كل ما وجدوه في منزله من نقود وامثلة ولم يتركوا من الموجود شيئاً وانه حضر لاغراض ما وقع ويلتمس الاعفاء من هذه الخدمة وان يقيم في بيته مشمولاً بأنظار دولته .

فاشتاط غيظ الجزائر من هذا العمل ولم يقبل استغفاه . وامره ان يرجع لمكانه ويصحبه بالعساكر لتدمير المتجاسرين وبالحال اصدر اوامره لضباط العساكر من بشناق وارناؤط واكراد بأن يتوجهوا صحبة ابراهيم مشاقه الى بلاد بشاره بعدد عينه لم من العسكر ويلقوا القبض على جميع المتداعلين بهذا التعدي . وان حصل بممانعة فيقهرونها بقوة الاسلحة . ففي يومين تجهز العسكر وتوجه اليهم وصحبته ابراهيم مشاقه . وفي دخوله البلاد قابله العصاة بالرصاص فهجمت عليهم العساكر . وبعد محاربة شديدة حق الانكسار على العصاة واعمل السيف فيهم حتى قتل منهم ما يفيف عن ثلثاية رجل واستأسروا منهم جملة رجال ارسلوهم لعكة وبوصلوهم صار رفعهم على الخازوق . ثم اخذ من البلاد اموالا جزية بمقابلة مصارف العسكر . وغب ذلك همدت الحركات داخل البلاد فقط وبني تعدي المشايخ واتباعهم الذين يختفون في الاحراش ويسلبون امنية الطريق ويكلفون أهالي البلاد (١٠) وما يجاورها لتقديم ذخائر واموال والتفتيش عليهم من طرف الحكومة متصل . والذي يقع منهم باليد حالاً بصير رفعه على الخازوق .

وعندما ارتاح فكر الجزائر من جهة بلاد صفد وبلاد المتاولة اعني بلاد بشاره وبلاد الشقيف وصارت قلاعها بيده وهكذا اساكل البحر من حيناً الى بيروت ليس فيها ادنى رابطة للعشائر وجه اهتمامه لفهر جبل لبنان الحاكم عليه الامير يوسف الشهابي ولي نعمة الجزائر المتقدم بياحه فابتدى يتطلب منه متطلبات المتعنت الذي لا يقنع بشيء حتى طلب منه رفع يده عن اقليم الخرنوب واقليم

التفاح وجبل الريحان واقليم جزين . فأجاب لطلبه . وحصل تغلبات كثيرة ومطالب لم يعد في امكان الامير القيام بها . فأجمع رأيه ان يترك الحكومة ولكن اختشى من تحكيم احد اقرباء مكانه فينتقم منه ومن اولاده وانحصاه لان الامير يوسف كان وحشي الطباع وقتل اخاه الشاب الامير افندي وطنى عينا اخيه الامير سيد احمد والد الامير سلمان والامير فارس المتوفي قريباً بقرية الحدث من ساحل بيروت . وقتل خاله الامير اسماعيل والامير بشير فاذا كان تصرفه مع اخوانه واخوانه وهم اقرب الناس اليه هكذا فكيف يكون مع البعيدين عنه . ولهذا جميع آل شهاب تركوا وطنهم دير القمر وسكنوا بالخارج بعضهم في ساحل بيروت وبعضهم في دردوريت ثم مجدل معوش وشمثلان وعبيه وذلك احسباً من غلده . وكان من المختصين به شاباً من اقربائه وهو الامير بشير بن الامير قاسم بن الامير عمر بن الامير حيدر الجدد الجامع لعيلة الامراء الشهابيين في لبنان وهو من امراء حاصبيا ابن الامير موسى المنقوش تاريخ جسر نهر حاصبيا باسمه . وفيه يلتقي نسب امراء شهاب اللبنايين مع نسب الامير سعد الدين امير حاصبيا المقتول في حادثة سنة ١٨٦٠ . ولكن امراء لبنان اجتذبتهم المارونيون لمذهبهم تدريجاً . واما ساير عيلتهم في حاصبيا وراشيا باقون لتاريخه متمسكون بدين ابايهم المسلمين بالمذهب الحنفي . واصلهم من العرب من بني غزوم حضروا مع عشيرتهم حبة خالد بن الوليد لفتح الشام وقتل في حصار دمشق على باب شرقي الامير حارث جد الامراء الشهابيين .

وعندما الامير يوسف استحضر خاله الامير بشير من حاصبيا وقتله غدرًا ارسل من قبله الشاب الامير بشير المذكور ليضبط موجودات الامير بشير المقتول . فحضر لحاصبيا وتم المأمورية ونظر الى ارملة المقتول التي كان له منها بنتين خدوج ونسيم وهي السيدة شمس المريد اخت الامير قعدان القاطن في قرية عبيه من غرب لبنان القوقافي . وفي ذاك الوقت كانت هذه العيلة يتزوجون من بعضهم واختلاف الدين لا يمنعه حتى انهم كانوا يزوجون ويتزوجون من امراء المثن حال كونهم بذاك الوقت من الدرور ثم تنصروا تدريجاً . وكان آخر من مات منهم درزياً منذ سنين قريبة الامير احمد والد الامير بشير برمانا الذي صار حاكماً على شمالي لبنان . فالامير بشير الشهابي عند نظره لجمال الارملة المذكورة صمم على طلبها زوجة له . وقد تم ذلك وتزوج بها وولدت له فيما بعد اولاده المذكور الثلاث الامير قاسم والامير خليل والامير امين (١١) .

﴾ اخيراً استصوب الامير يوسف ان يجعل الامير بشير هذا يتوجه لعند الجزائر

ويتعهد له بدفع مبلغ للخرينة بناء يعطيه حكومة لبنان لكونه يؤمن جانيه فاحضره
واخبره عما يتحسن عنده فأجابه انني فقير لست املك مال ولا رجال ومع
هذه الحالة ربما بأمر الجزار يعمل لا تريده . فالآن انني محسوب عند الجميع
كولدك ولكن متى خدمت الجزار فأصير كولدك واضطر للسلوك حسب امره ولا
اخدم الا بالصدقة . فربما يرسل معي عسكرياً وبأمرني بضربك فكيف افعل
حينئذ . اجابه اذا امرت بضربي فلا احاربك واقوم من وجهك . ولا اطلب
منك اكثر من خبر لحوقك بي قبل بيوم واحد فاذهب من امامك واعطيك
عشرة فرسان من خاص رجالي يكونوا تحت امرك وعشرة اكياس (تساوي بذلك
الوقت نحو خمسية ليرة) لاجل مصروفك . وبالحال امر عشر فرسان يكونوا في
خدمته منهم ابراهيم الطرابلسي جد اولاد الطرابلسي بدير القمر المشهور بالقرسية
ويوسف عزيز وثمانية من خاص فرسانه . فتوجه الامير بشير بهم الى عكة
وفي مروره على صور استقبله ابراهيم مشافه وانزله في بيته واجرى كل ما يمكنه
من الاكرام . وارسل بخدمته لعكة احد اتباعه المدركين . وحرر معه توصية
بمصلحة الامير لاصدقائه الشيخ طاهرا رئيس الاكراد وابناء السكرج الروم
الارثوذكسيين ذوي النفوذ عند الجزار ووظيفتهم ادارة الخزينة والحسابات . والنس
من الامير بان يكون بيت مشافه لخاصته ومنزلا له في ذهابه لعكة وايابه منها
فوعده بذلك . وهذا اول تعلق عايلة مشافه بالامراء الشهابيين . وكان ذلك سنة
١٢٠٣ هجرية . وهكذا اخذ الامير الاوامر بحكومة لبنان واصعبه الجزار بعساكر
لكي يضرب الامير يوسف ويلحقه حتى يخرج من حدود البلاد . فالامير بشير
رجع الى صور وارسل البشائر الى الجبل بتفويض احكامه اليه . وارسل خبراً
للامير يوسف بقدمه لدير القمر بعد يومين فتاني يوم وصل لصيدا . وفي ثالث
يوم قام لدير القمر . فلاقاه وجوه البلاد القريبة وقدموا له الطاعة واخبروه عن
قيام الامير يوسف من امامه اخذاً طريق المتن . فارتاح يوماً ارسل فيه خبراً للامير
يوسف انه مأمور في حقوقه حتى يخرج من حدود لبنان وان في الغد ينهض من
دير القمر في اثره . فتاني يوم انتقل الامير لجل قريب لكي يكون وقتاً للامير
يوسف يبعد فيه من وجه العسكر . وثالث يوم نهض بالعسكر وهو مطمأن البال
بأن الامير يوسف صار بعيداً وتخلص من مداومة العسكر له . فبوصوله الى
مضيق بين الجبال نزل عليه الرصاص مثل المطر واذا بالامير يوسف برجاله
رابطون عليه الطريق . فعندما نظر هذا الغدر الفاحش اشتد غيظه من هذه
المعاملة بالغدر وكان من اشجع فرسان عصره واعرفهم بتدبير الحروب حيث في

جميع حروبه التي باشرها بمدة حياته (١٢) لم تصادفه الخيبة . فحينئذ امر العسكر بضربهم والمجوع عليهم وكان هو بنفسه في المقدمة . فاشتد الحرب بينهم . وعندما كثرت القتل والمجارج في عسكر الامير يوسف فولى منهزماً والامير بشير يتبعه بالعساكر الى ان خرج من حدود لبنان . فرجع الامير بالعساكر منصوراً الى دير القمر واعرض للجزار فيما حصل . وحالا امر يجمع اموال الجبل الاميرية وتوريدا لخزينة الجزار . فسر من نشاط الامير وصدق خدامته .

ثم ان الامير يوسف لم يقطع امله من الجزار . فتوجه لعهده مع كاخيته^١ الشيخ غندور الخوري الذي كان ايضاً استحاصل لنفسه وظيفة قنصل لفرنسا على مدينة بيروت وبوصلها لعهده استقبلها وعين لها منزلاً . ثم وضعها بسجن الحرمين الذي هو قبو كبير مظلم مبنية سرايا الحكم عليه . وكبلها بالقيود الحديدية . واذا كان الجزار بنفسه محارباً لبلاد نابلس ومحصراً لقلعة سانور وكان ابراهيم عزام الروم الكاثوليكي مسجوناً بجانب الامير لا لذنب لكن لبينا يدفع مبلغ الجريمة التي رتبها عليه الجزار بأكثر من مقدرة كان ولده خليل مستخدماً في استلام الذخائر الحربية من عكة والتوجه معها ليعلمها في معسكر سانور .

فصودف ان الجزار امر في تلغيم القلعة فلم يتقنوا عمل اللغم وعندما اشعلوه ارتد على المعسكر واتلف منه الكثير . وحصل بشللة من ذلك لذات الجزار . فخليل عزام عندما رجع من سانور كتب ذلك لوالده في الحبس بأحرف اصطلاحية بينهم وبسبب منع دخول الكتابات الى المحبوسين ادخلها ضمن رغيغ الخبز مع الطعام فالسجان عثر عليها فأرسلوها الى الجزار فسلمها الى الكتاب ليستخرجوا له مضمونها فكان بشاره لوالدة فيما حصل لمعسكر الجزار من ارتداد اللغم عليهم وبشللة احوال الجزار وان يبشر الامير يوسف بذلك وانه يؤمل ان هذه الحادثة هي آخر ايام الجزار ويكون الامير يوسف الحاكم في عكة بعده . فلما وقف الجزار على مضمون الكتاب صدر امره بشتق الامير يوسف والشيخ غندور وابراهيم عزام وولده خليل فشنقوا الاربعة . فالحبوسين ليس لهم ذنب في ذلك وانما هذه مكافاة لفضل الامير وكاخيته سابقاً على الجزار .

ان الجزار كان في اول امره يتعاطى شرب المسكرات . وكانت تصرفاته اقل شراً مما صارت اليه عقيب توبته عنها . ولكنه في قبيح اعماله حفظ التسوية بين الرعية مع اقتراق مذاهبها فيحبس علماء المسلمين وقسوس النصارى وحاخاميين

(١) من الفارسية ومعناه رب البيت وبالتالي مدير الامور .

اليهود وعقال الدروز سوية . وهكذا في اجراء انواع العذابات الجهنمية عليهم لا يفرق بينهم ولا ذنب لهم الا التوقف عن دفعهم ما يطلبه منهم من الاموال بوجه الجريمة وربما كانوا لا يملكون ما يطلبه منهم . واذا رغبنا في شرح قبائح تصرفات الجزار يلزمنا كتابة مجلد كبير (١٣) .

وقد وقع حادثة وكادت تلتحق بابراهيم مشاقه وهو انه بمدة تصرفه في بلاد بشاره حصلت الرغبة للمسيحيين في الزراعة لان المذكور كان يعمل الترغيبات الزائدة لاجل تعمير البلاد التي كثر فيها الخراب بسبب العساكر الغير مرتبة تحت قوانين وحصول الحروب الكثيرة بينها وبين المشايخ والاهالي ونقص كثير من رجالها بالقتل والفرار . فكان من جملة المسيحيون الصوريون الذين رغبوا الزراعة رجل اسمه موسى رزق . فهذا صادف دفيئة قديمة من الذهب . والذي تقدر انها كانت عظيمة المقدار . فهذا الرجل لكي يتمكن من اخفاها عن أعين الحكم اخذ منها مقداراً جسيماً وبذره في اراضي مختلفة سراً . فصار الفلاحون يجدوا من الذهب فشاخ الخبر . فتوارد الناس لالتقاطه . وكان موسى المذكور من جملتهم يلتقط معهم . فبلغ ذلك مسامع الجزار . فأرسل امراً بالفحص عن اسماء جميع الأشخاص الذين حضروا للالتقاط وعن امكنتهم وعن اول يوم حضورهم وعن مقدار ما التقطه كل منهم مع الوعيد لكل من ينكر شيئاً . فكان جميع القادمين للالتقاط لم يزالوا في تلك الاراضي يفتشون على الذهب . فالأمور امكنه بكل سهولة ان يكتب اسمائهم وعملاتهم ويوم قدومهم وما جمعه كل منهم . فأخذ منهم كل ما وجد معهم . ثم فحص هل حضر غيرهم . ففروا ان موسى رزق حضر متأخراً يومين عن حضر قبله . وقتش معهم يوم واحد . وصادقه التوفيق بوجوده جملة من الذهب . وتوجه ليحفظه في بيته ويرجع . ومضى ايام ولم يره في هذه الاراضي . فاستحضره وقبض منه ما اعترف به . وكتب اسمه وقصته . وارسل ذلك الى الجزار . وكان على جانب عظيم من الخدافة . فلم يوقع الشبهة سوى على موسى رزق بأنه لو كان من المحتاجين للذهب فلم يفتنع من التفتيش عليه بيوم واحد . فصدر امره بأحضاره لمكاً . وحصل استنطاقه بالترغيب ثم بالترهيب فبقي مصراً على الانكار . والحسد اوجد كثيرين من المتقولين بان هذا الرجل ينتمي الى ابراهيم مشاقه ولا بد انها تقاسما المال . وهذا الرجل ليس هو كفاية للتصرف في قضية كهذه بدون ارشاد ذاك . فوضعوا هذا الكلام في مسامع الجزار . فكان كلامه انني اعرف جيداً درجة عقل وتدبير ابراهيم . فلا يتصرف كهذا . ومع ذلك لا وجه الآن لسؤاله . فأذا ظهرت الشبهة عليه فنجري اللازم . ثم اصدر

أمره بتسليم موسى رزق لطغمة الاكراد الموظفين للتعذيب كذبانية الجحيم .
فأخذوا يعذبونه اولاً بضرب السياط . ثم في تعذيبه من يديه ورجليه ووجهه لجهة
الارض . ويضعون على ظهره اثقالاً . ثم باحساء طاسة من حديد محمى على
رأسه . ثم ادخال المسامير تحت اظافره وانواع اخرى غيرها . وعندما يفرغوا من
تعذيبه في كل يوم يحبسونه في بئر عميقة قليلة الماء مغطاه . وبعد ايام تحمل فيها
اشد العذابات واقواها استقر بانه وجد الدفينة وهي كلية . فبدر منها جانباً واحضر
ليته جانباً وبقي البقية مطمورة . فسألوه عن المكان اجابهم انه ضاعت عليه
معرفته . فأخبروا الجزار بذلك . فاستحضر المذهب الذي قال عنه انه احضره
ليته وامر ان يتركوه اياماً بدون عذاب (١٤) وبعده استحضروا زوجته لتتصحبه
بان يقرر عن كل شيء ويخلص نفسه من العذاب واذا كان له شركة بذلك
مع احد فليقرر الحقيقة وجعلوها تتكلم معه من فوق غطاء البئر وهم يسمعون
كلامها . فقالت له اني استأذنت الجزار بمواجهتك سراً لاجل نهاية هذه الواقعة
وخلاصك مما انت فيه فسمح لي ووعدني بكل خبر اذا قلت الحق فاشتغى على
نفسك وعلى عيالك واسعى في خلاصك فما عليك اذا اقربت عن ابراهيم مشاقه
الذي جميع الناس تقول بانه شريكك ويا ترى ما هو باقي من الدفينة في محلها
وما هي منفعتك منها حيث لا بد من موثك تحت العذاب اذا لم تعترف بالصحيح .
اجابها ان هذه الدفينة لا يعلم بها غير الله وغيري وليس فيها شريك لا ابراهيم
مشاقه ولا غيره ولا اعرف مقدارها . بالتحقيق بل يمكنني القول بانها تبلغ قناطر
من الذهب موضوعة في قبو واسع كبير الحنطة ولا يمكن ادل عليها لانها اعانة
كبيرة واذا استولى عليها الجزار فيقتل على السلطنة ولا تجوز اعانة الظالم ولذلك
خير لي ان اموت تحت العذاب وهذا هو عزمي ونهاية كلامي . فأخبروا الجزار
بكلامه فاشتد حنقه عليه وامر بترجيع العذاب القاسي عليه ويحترسوا من موته
تحت العذاب املاً انه مع المطاولة يحصل على تقرير الصحيح . فداروا عليه
العذابات المريعة واذا كانوا في احد الايام عذبوه بالدخان اذ ربطوه الى حايط
واكثروا التدخين تحت وجهه فاختنق ومات . والجزار ارسل معتمدين حفروا
كثيراً في الاراضي التي كان يتردد اليها موسى رزق المذكور . فلم يحصلوا على
ثمرة . وهذا قد تزوج بزوجته ميخايل حلاج واولد منها ابراهيم المتوفي بالاقليم
المصري . وفهمت هذه الواقعة منها سنة ١٨١٤ بمدينة صور .

ولا بد من ذكر شيء من اعمال الجزار الخارجة عن اطوار الوحوش فضلاً
عن اطوار البشر لانها انما تفترس لتأكل او لتحمي نفسها او لتكبلها ما يرشدها

اليه الانسان المخلوق على صورة الله وقد عصاه وارتضى لنفسه ان يصير اشرف من الوحوش الضاربة لا بل هي تتعلم منه التوحش ضد افراد نوعها لاننا نرى ان الاسد والفيل والبريين ولا نوع منها يتعدى على نوعه الا اذا تربى عند الانسان . فاننا نرى الكلب الذي هو اونس الوحوش للانسان فيمعاشرته له يتعلم منه على اضرار افراد نوعه . فالانسان لا يكتفي بالتحريش بين البشر ليهلكوا بعضهم . ولا بل الحيوانات الانيسة كالغنم والدجاج يحرش الانسان بين كبش وآخر وبين الديكة حتى يهشم بعضها بعضاً .

فمن اعمال الجزار انه في ذات يوم امر بجمع ارباب الحرف والصنائع . فجمع في دار سرايته كل من وجدوه من تاجر وسوق وصناعي . فوقف الجزار في باب السرايا وامر بتقديعهم اليه واحداً فواحداً فيأمره ان يكشف جبهته فيئاملها فبصر البعض الى حال سيلهم والبعض يقبض عليهم . فقبض على نحو ٢٣٠ شخصاً مختلفي المذاهب والمراتب والصنائع . وكان من جلستهم جد الخواجه روافيل (١٥) فنواني ومبغايل الياسا من اقرباء الخواجهات باشا وكلاهما الآن من سكان بيروت . وفي اواخر النهار امر باخراجهم الى خارج المدينة وذبجهم من ثقرة القفا على شاطئ البحر وبقوا مطروحين على وجوههم لثاني يوم لتأكل الوحوش كفايتها . ثم بدفنوا الباقين . فسأقنهم الزبانية الى المشهد وذبجهم حسب الامر وتركهم عند الغروب . فصودف ان فلاحاً مسلماً من اهل النجوى كان يتسم شقلاً له في عكا . وعندما اراد الخروج منها كان بابها مقفولاً حتى الزبانية تنهي من عملها ولم تفتح الى المغرب حتى يدخل الجزارون . فخرج المذكور راكباً على حماره وطريقه على المذبوحين . فنظر الى واحد منهم يتحرك . فتقدم لنحوه فبطلت حركته . فناداه اني نظرتك بالحياة فلا تخشاني لاني تقدمت لاسعافك ابتغاء الثواب من الله . حينئذ اجابه بصوت مذبوح حزين نعم اني باقى في الحياة . فنزل الفلاح عن حماره ونظر ان الذبح لم يبلغ قطع الرقية والاعضاء الرئيسية فيها فربط جرحه حسب امكانه واركبه على حماره واسنده ببديه ومشى بجانبه حتى اوصله الى ضيعته واختفاه في بيته وخاط له جرحه على قدر معرفته وثاني يوم نزل الى عكة استحضر له مرهم وصار يدبره حسب امكانه الى ان شفي . حينئذ اخبره انه يخشى من اقامته في بلاد الجزار لان ذلك ربما كان سبباً لهلاكها سوية ولا يؤمن دوام كتمان القضية . فقدم له الت شكرات الواجبة كونه لا يملك غيرها والتمس منه ان يرسله الى الشام حيث يمكنه بها عمل طريقة لمعاشه . فانفلاح احتسب من ارساله هدية احد لبلد يفتضح الامر . فازكبه دابته وخرج

به ليلا ولم يزل سائراً مجدداً في سببه حتى خرج من بلاد الجزائر . حينئذ اخذ الراحة وسافر لدمشق على مهل . فوصلا اليها والفلاح استأجر محلاً لمعتوقه انزله به ودفع له ما يصرفه على نفسه لينتقل يحصل على وسيلة يعتاش بها وودعه وسافر لقريته . وهذا المذبوح هو ميخائيل الباشا .

فهذه القضية ذكرتها ما ورد في الانجيل الشريف عن السامري الذي صنع جراحات الواقع بين اللصوص . ولكن ما عمله هذا المسلم مع المسيحي هو اعظم لانه خاطر بنفسه لكي ينقذ الغريب عنه الذي لم يكن يعرفه قبلاً . فهكذا يوجد من الصلاح والمروءة بين المسلمين بسدون المعروف مع الغرباء عنهم . وكنتي دليلاً ما شوهه بالعيان من اعمال حضرة الامير عبد القادر الجزائري والرحوم صالح آغا المهابني والكثير غيرهم من اتقياء المسلمين من طبقات مختلفة في حادثة سنة ١٨٦٠ قد صانوا ستة عشر الف نسمة مسيحية عن الذبح بسيف الاشقياء الثائرين الذين حكومت دمشق لم تصنعهم لغاية بقيت مكتومة لم تعترف بها واما القران ثبتها ومنوع التفوه بها .

ومن اعمال الجزائر في هذه القضية قد قرر له احد العوائد^(١) ان ميخائيل الباشا الذي كان من جملة الذين صدر امرهم بذبحهم لم يمت ولم يعلم كيف كانت نجاته وتحفقت وجوده الآن في مدينة صور يشغل معماراً وان رقبته محمية الى الانام (١٦) فان حسن يصدر امرهم باحضاره والفحص عن كيفية خلاصه وعن اسم الشخص الذي خلصه وعن الذي باشر ذبحه ولم يتم خدامته بالصدقة والنظر لكم فيما يجب من القصاص هؤلاء الخائنين مع الذين خلصوه . بخيانهم بما حكم به اعدائنا . فاجابه الجزائر يظهر من ذلك ان هذا الرجل كان غير مستحق القتل والباري تعالى عمل الوسطة لخلاصه وارسلت لتكون بديلاً عنه . وحالا امر بذبح هذا العواني . فذبحوه من نقرة القفاء . فصر الناس لذلك .

ولنذكر قصة ثانية من قباج اعمال الجزائر . ان المعلم خليل عطية الروم الملكي من اهالي دير القمر المهندس الذي احضر الماء من نهر الباروك لدار الشيخ بشير جنبلاط في قرية اختاره ثم الماء من نهر الصفا لسرايا الامير بشير الكبير في بيت الدين وذلك سنة ١٢٣٠ فهذا خليل كان له اربعة اخوة . فمنهم اثنان توجهتا بتجارة لبلاد مصر سنة ١٧٩٨ ففي سنة ١٧٩٩ فتحها الفرنسيون والانكليز ربطوا عليهم البحر وبذلك توقفت التجارة . فالذين هناك من بر الشام

(١) جمع عواني كما يوضح ما يدل من النص . ويقول المؤلف في مكان آخر « كان العواني قدام يعيش من العوان على عباد الله وكان ذوي الاموال يخشون شره » .

أكثرهم اجتهاداً في الرجوع إلى بلادهم. وكان من جملتهم أولاد عطية الاثنين وكاهناً مارونياً من بيت القبيالة بالجبل قادمين من مدرسة رومية. فسافروا في مركب صغير قاصدون ميناً صيدا. فالرحل منعهم من الوصول إليها. فدخلوا ميناً عكاً. فالجزار أمر بضبط كل ما يوجد بالمركب وأن جميع الركاب يوضعوا بالقيود الحديدية داخل الحبس. وهكذا صار حسب أمره. وكانوا ينف عن أربعين شخصاً. فبلغ الخبر إلى دير القمر. فبیت عطية أرسلوا لعنده ولديهم أخاهما الثالث بمبلغ من الدراهم لكي يخدمها ويقدم لها لوازمها ما داما بالحبس. فحضر لعندها وكانا محبوسين في القبو الكبير تحت دار الحرم الكاين بابه أسفل الدرج الذي يصعدون عليه إليها. وإلى الخزانة ورجها. ففي ذات يوم كان قادم بالطعام لأخويه المحبوسين فصودف نزول الجزار على الدرج وشاهده. فسأل عنه وأخبروه أنه قادم بطعام لأخويه المحبوسين فأمر بحبس لجانها فحبسوه معها. ففي ذات يوم تشكى وكيل الحبس بأنه لم يبق عنده سلاسل حديدية ليقيد بها الذين يصدر الأمر بقيدهم. فأمر الجزار أن يفتح المربوطين الذين حضروا من مصر وبلقيهم في البحر. وإذا كان ذلك قليل فيأخذ غلاظة مائة شخص من بقية المحبوسين. ففي الليل حضروا الأكراد ومعهم الجمالين وزنايل الخوص^(١) فلم يستعملوا الخنق بل كانوا يعرفون ذلك المسكين ويجلسونه ضمن الزنبيل ويكسرون سلسلة ظهره بمطرقة حديدية ثم يحيطون عليه الزنبيل ويرسلونه إلى البحر. وهكذا تمت العملية. وكان أولاد عطية الشبان الثلاث مع الكاهن الماروني المتقدم ذكرهم من جملة المنكودي الحظ الواقعة عليهم هذه المصيبة الشنيعة (١٧).

أن أولاد السكر وج المتقدم ذكرهم كانوا من المتقدمين عند الجزار وبيدهم أعمال الخزانة وهم من أصدقاء إبراهيم مشاقه ويوثقون به ويعتمدون رأيه فتغير عليهم الجزار واعتقلهم وطلب منهم تقديم أموال الخزانة. فأشار عليهم إبراهيم بدفعها فتعهدوا بدفعها تدريجاً. فرضي الجزار عنهم وأرجعهم لوظائفهم. وعندما تمموا دفع ما كان مطلوب منهم فاعتقلهم ثانية فأخبروا إبراهيم مشاقه بذلك وأنهم صمموا على عدم التعهد بدفع شيء وأن الذي عندهم قد دفعوه وذلك حتى لا يعود الجزار بطلب ثانياً ورابعاً فأرسل إليهم الجواب خطأ بأن يتعهدوا بدفع ما يطلبه منهم ولا يفرروا بأنفسهم. فإذا لم يبق عندهم مالا فعنده ما يدفعه عنهم. فوصلهم جوابه فما استحسنوه وبقيوا على عزمهم وأجابوا بعدم التعهد بدفع شيء فأمر الجزار بأعدامهم فقتلهم وجمعوا أوراقهم وقدموها إلى الجزار وكان بينها جواب

(١) الخوص يضم الخاء وتسكين الواو ورق التخل.

ابراهيم مشاقه للمذكورين الذي حالما بلغه مخالفتهم لرأيه وقتلهم وقع بمرض الحمى فحملوه من بلاد بشاره الى بيته في مدينة صور. واما الجزار عندما وقف على جواب ابراهيم مشاقه ثم بان عنده ما يدفعه عنهم قال لم يضيع علينا شيء وحالا ارسل في طلبه لعكا فوجدوه مريضاً جداً في بيته. فأعرضوا للجزار بذلك. فأمرهم بالانتظار فان شئ فيحضره وان مات يحضروا اكبر اولاده. فبعد ايام توفي وكان عمره اثنين واربعين سنة واكبر اولاده جرجس كان عمره نحو العشرين سنة. فحالا اخذوه لعكا ولم يصبروا حتى يدفن اياه. وهناك اخذه الشيخ طاهها لعنده ولم يضعه بالسجن نظراً لسابق مودته لآبيه. وصار تفهيمه ان الذي كان مطلوباً من المقتولين خمماية الف غرش التي تساوي في عملة الآن خمسين الف ليرة. ولذلك في كتابته لم يتعهد لهم بالدفع عنهم فريد اقتدينا انك تدفع هذا المبلغ وتطلع مكان ابيك ويكون نظره عليك كما كان على والدك. فأجابه ان والذي كان بالحياة وكذلك المقتولين كانوا احياء ويعرفوا كيف يتصرفوا وانما لم اكن اعرف شيئاً من اشغال والذي اكثر من ورقة يأمرني بكتابتها. فلا اعرف ان عنده مبالغ نقدية لكي اتعهد بدفع مبلغ عظيم كهذا. نعم انه يوجد لوالدي املاك وحواليات فلاحية ومواشي كثيرة من غنم وبقر وجمال وحيول وغير ذلك فأقدم الجميع لخزينة افندينا وليس عندي مقدرة على اكثر من ذلك لكي اقدمه والامر آيه. حينئذ اخذوه لمواجهة الجزار واعرضوا لديه عما جاوبهم به وعندما نظر اليه الجزار انه صغير السن ولحييف الجسم وجاوب بالانضاع أمر ان يؤخذ منه ثلثان المبلغ فقط مقسطاً على ثمانية عشر شهراً ويتوجه عليه التزام بلاد بشاره كآبيه وأمر بتبليسه فرواً علامة لانشرائح خاطره عليه. فحرر جرجس على نفسه سنداً لخزينة بمال الالتزام وبالثفاسيط المذكورة ان يدفعها لمرتبات (١٨) العساكر. ورجع لبيته ولم يجد من تركه آيه الا القليل من النقود. فابتدأ يبيع من المواشي والمنقولات فباع الحمل بثلاثين غرش والنعجة مع خروفها بخمسة غرش وصار يدفع الثفاسيط بأوقامها ولكنه لم يبيع شيئاً من الاملاك الثابتة كاليوت واخازن والدكاكين والاراضي والبساتين. وكان ذلك سبباً لوقوعه ثانية وسلب نعمته باللكاية كما يأتي بيانه.

ان ابراهيم مشاقه في السنة التي مات فيها افنكر ان يزوج ابنة جرجس. فكان له في صور شركة تجارة مع رجل دمشقي اسمه جرجس سرور. وهذا هو والد مخايل سرور الذي كان فيس قنصل فرانساً بدمياط. فجرجس المذكور حسن لبراهيم مشاقه في خطبة اخت زوجته ابنة حنا عنحوري جد حنا عنحوري من

معتبري تجار دمشق على انه يحضرها لزيارة اختها في صور وحينئذ ينظر في صلاحية اخذها او تركها فانفقنا على ذلك واحضرها لصور وكانت بدعة الجمال والعقل. فصدف ان ابراهيم كان بالخارج ولم يرجع لصور الا بمرضه الذي توفي به. فلما انقضت ايام الحداد عليه تزوج جرجس مشاقه بالابنة المذكورة. ثم عندما تم جرجس المذكور دفع التقاسيط مع اموال الالتزام كان يؤمل زيادة انشراح خاطر الجزار عليه فخاب امله. فحضر اليه ضابط من المغاربة وألقى القبض عليه واخذه لعمكا. فأخذه الشيخ طاهرا ووضعه في محل في ديرة وظيفته ولم يسمح بوضعه في السجن. وقرر الجزار ان هذا مربى الرفاهية وصغير السن وقد دفع كل ما ترتب عليه ولم يكن له ذنب يستوجب القصاص. فاذا كان المقصود هو اخذ المال منه فاذا وضعناه في سجن الخيرمين فنهلكه ويضيع مقصودنا فالاصوب هو معاملته بالرفق فارتضى الجزار بذلك. وكان السبب لحصول هذا الغدر ان احد العوانية من مسيحي صور كان يعيش من العوان على عباد الله وكان ذوي الاموال يخشون شره (لا تريد اشهار اسمه رعاية لخاطر ذريته) فكاتفوا يجتهدون على استحصال رضاه يدفعهم له ما يرضيه من اموالهم. اما جرجس مشاقه فلكونه واقع بجانب الجزار وترتب عليه دفع اموال جسيمة وتقسطت عليه ومباشر بيع موجوداته لدفعها فلم يحظر في فكره ان هذا الانسان الردي مع كونه من ابناء كنيسته وبلدته يسعى في مضاعفة مصيبته مجافاً بدون سبب يلجئه لهذا الفعل القبيح. وصورة الواقعة ان الجزار كان في احد جلساته يمدح صداقة بيت مشاقه ومع كون جرجس مشاقه صغير السن ولم يعارك الايام فقد احسن التصرف وتعهد بكلمة طلبناه منه واقام بدفعه تماماً بأوقاته وباع موجوداته لكي يصدق في تعهده. فكان هذا العواني حاضراً فاستأذن للكلام وقال انني ابن بلدته وخير بأمواله والذي دفعه للخرينة من فضلات ما عنده لان والده وضع يده على نحو ثلثماية قرية مدة ثمانية سنوات وهو الآن له سنة ونصف مستولي (١٩) عليها. والذي يدفعه عنها للخرينة ليس اكثر مما يأكله شيخ واحد من مشايخها. هذا فضلا عن مال ابيه وجده الاغنياء. ولنترك دعوى الدفينة الذي وجدها موسى رزق وانه كان شريكه بها. فما هو الذي باعه من موجوداته. نعم انه باع اكم حمل واكم نعجة ليظهر امام الناس بان لا مال عنده. ولكن اين الدور والمخازن والدكاكين والبساتين والاراضي التي يملكها في صور وصيدا وبلاد بشاره. ان صيغة والدته بالكفاية فضلا عن تجارته بالدخاخين لير مصر. فأثر هذا الكلام في مسامع الجزار وكان عديم الشيع من سلب اموال الرعايا. واعظم مذنب لديه من يتوقف عن

تقديم ما يطلبه منه . فاذا عامله بالرحمة ولم يمتعه فيقطع الله ثم اذنه اليمن ثم يقطع عينه اليمنى ولو كان من خواص خدامه . فالمعلم حنا العوره جد حنا افندي الموجود الآن كان كاتب تحريرات الوزارة فتعرفه مقطوع الانف . وهكذا المعلم حايم فارحي الاسراييلي الرجل الشهير بالمعارف وحسن ادارة الاعمال وارضاء مخدومه مع استجلاب محبة عموم الرعايا لنحوه كان مقطوع الانف والاذن ومقلوع العين اليمنى . فبالحال الجزار استكتب من هذا العواني املاك بيت مشاقه في جميع الجهات واسماء الشركاء بالتجارة وجعل جميع ذلك من حقوق خزينته واستحضر جرجس مشاقه كما تقدم وصار وضعه عند الشيخ طاهها تحت الحفظ . وطلبوا منه اموالاً خارجاً عن المضبوطات للخزينة . فأجاب اني اقدم كلما املكه بحيث انني ابقي حاصلاً على انشراح خاطر افندينا . وحينئذ قدم لهم دفترًا بكلمة له ديون بدمه الناس وقال اني لا املك شيئاً غير هذا . فالعواني لم يكتب بذلك وأشار بارساله لصور لكي تراه والدته وزوجته مع اقربائه ويجري عليه الاصول اللازمة بالتعذيب فلا بد ان والدته عندها اشياء كثيرة وربما هو نفسه لم يطلع عليها ولا يعرفها . ففني نظرت تعذيب ابنها تدفع ما عندها لكي تخفف عنه العذاب

. . . فكان الجزار مع جوره اعدل وارحم من هذا المسيحي . نعم انه اصدر امره بارسال جرجس مشاقه الى صور ولكن اوصى بأن لا يمسه بعذاب مائة فقط يهددون والدته واقرباءه بتعذيبه ليدروا عند العذاب بدفع المال . فأحضروه لصور محبوساً وايتدوا يشيعوا الاخبار على والدته واهله انه سوف ترد اليهم الاوامر بتعذيبه . ثم يقولوا بأن ورد الامر بأن تجلده خمسين جلدة فترسل اليهم والدته انني اشترتها من الخزينة بكذا فيقبلوا منها الدراهم . وبعد ايام يضعون الحبل في عنقه ويمرون به على بيتهم فتسمع زوجته بذلك فتدفع مصاعها فيرجعوا به وانهم يلتمسون له العفو من الجزار فيقبضون المصاغ . ثم بعد مدة يحملونه خشبة ويمرون به على بيتهم قايلين انه (٢٠) صدر الامر برفعه على الخازوق فتدفع والدته مصاعها فيرجعوا به . وما زالوا يتوعون تهديداتهم في كل مدة حتى انهم اخذوا مصاغ العيلة من امه وزوجته واخواته وارملة عمه المتوفي وبناته حتى باعوا كلها عنده من اواني ومفروشات حتى ان اقرباء صاروا يدفعوا عنه وهو يقول لهم لم يبق عندي ما اوفيكم حتى انه صار عليه ديون لا قاربه واصدقائه ما تساوي قيمته نحو عشرة آلاف ريال . فعندما تحقق حال افلاسه

بالكفاية صدر الامر باطلاقه

فجرجس المذكور لم يبق عنده مالا ليتجر به . ووالده كونه غنياً لم يعلمه صناعة ليعتاش منها . ولا يستخدمه احد كاتباً احسباً من غوايل الجزار . فأعطى لوالدته ما حصل له من رئيس العام فقط اخذ لنفسه خمسين غرشاً لمصرفه بالطريق وسافر لبر مصر املاً بان يحصل على شغل بواسطة اخوة زوجته هناك ميخائيل وروفايل وبطرس عنحوري من تجار العمدة . فعندما وصل لعندهم وفهموا مقصده اجابوه لا نقدر نقبلك هنا ولا نعمل لك شغلاً فالعوانية (٢١) عند الجزار هم كثيرون فلا بد يقولوا له انك حضرت لمصر لكي تستولي على اموالكم الكاينة بيد اخوة زوجتك فيطلبنا واياك لعنده . وسناجق الغز في هذه البلاد حالاً يجيبوا لمطلوبه ونحرب بيوتنا فنعطيك الآن ما يسد ضروريات معاشك وتتوجه تخفي في جبل لبنان لينبأ بفرجها الله . فأعطوه الف غرش عبء عن اربعة ريال . وبعد تمضية فصل الشتاء بمصر ودمياط وارساله نصف الذي صار معه لوالدته سافر الى بيروت وطلع الى دير القمر وجعل اسمه جرجوره بدون لقب . ولم يخبر اهله عن مكان وجوده . ولم يعرفه احد سوى اثنان صوريان هناك احدهما ابراهيم داود منسى من انسابه مستخدم عند الأمير بشير وثانيهما يقال له جرجس بطرس يشتغل صائغاً . وهو عم ابراهيم الطرابلسي الشجاع جد العائلة الموجودة الآن بدير القمر المتقدم ذكره . وهو صوري الاصل ربي يتيماً ووالدته تزوجت برجل ماروني في طرابلس فتيها . فجرجوره مشافه المذكور افترس ان الباني عنده مما اعطاه اياه الحاجات عنحوري سيفرغ بالمصرف ويحتاج فيما بعد الى التوصل . فعمد لتعليم الصواعة عند جرجس بطرس الصوري المذكور . فتعلمها بشهر واحد لان طبيعته كانت مائلة لأعمال اليد . فاشتغل صائغاً . ويرع بهذه الصناعة ويوجد لآن من عمل يديه ما لا يصل لعمله صواغ بر الشام .

واما والدته جرجس المرقوم اختشت من الاحتياج عند فروغ الدراهم التي ابقاها لها ولدها . فعملت لليلة شغلاً يعتاشون منه وهو عمل الخبز للبيع . فاشتريت حملاً قوياً بعشرين غرشاً جعلته لحمل الحنطة وطحنها في راس العين . واقامت عليه يوسف ابن سلفها بشاره المتوفي قبل زوجها . وولدها انطون يحمل العجين الى القرن لاجل خبزه . وولدها ابوب مع يوحنا الابن الثاني لسلفها بشاره يحملون اطباق الخبز على رؤوسهم يدوروا بها الاسواق لبيعه . واما هي وبناتها وسلفتها وبناتها يجهزون العجين ويغربلون الحنطة ويصولونها وبذلك اكتشوا

عن التسول . وكان لها ولدان اصغر من ايوب نقولا وقسطنطين فحصل مرض الجدري امامها واعمى اختها مريم التي بقيت بالحياة عمية الى سنة ١٨٤٨ وتوفيت بالريح الاصفر بدمشق . وكانت على جانب عظيم من الذكاء المفرط وعمل اليد بأنواع الطبايخ المتقنة وبأبناي الاعمال اللازمة للبيوت حتى انها تضم الخيط بالابر وتخط قصاتها ولوازمها وتحيك طباق القش وتحكم نقشها بالوان مختلفة وتغزل الخيوط الكتان بغاية النسوية والمناسبة الى غير ذلك من الاعمال المتقنة كأنها بصيرة . قضى مدة على هذا الحال تقاسي هذه العيلة شدة الفقر بعد ذاك الغنا الوافر . وكان جرجس فارق زوجته بعد ان ولدت له ابنة الاول في ٢٩ تشرين الثاني شرقى سنة ١٧٩٤ ودعى اسمه ابراهيم على اسم جده (٢٢) . وبهذه السنة صمم الجزائر على قضاء فريضة الحج وصدق عليه قول الشاعر :

حج التميم وضيعت امواله وازداد حجباً بالانام بما فعل
ويظن ان الحج يغفر ذنبه فالكلب انجس ما يكون اذا اغتسل

فانحس من الدولة الادن فوجهت له منصب ايلة الشام وامرية الحج اضافة على ولاية صيدا فتوجه بطريق الحج وقضى فرضه الديني وبرجوعه امر العساكر بمحاربة لبنان وجعل قائدها سليم باشا احد مماليكه . وكان الضابط على عسكر الاكراد الملا اسماعيل الشهير الذي تنقاد لطاعته جميع كهراء الاكراد في سورية . كذلك كان بمعية سليم باشا صديقه ابراهيم قالوش من روم كاثوليك صفد الذي هو زبينة المشايخ الزيادنة وكان شجاعاً كريماً وعند لزوم يركب باربعماية فارس من اصحابه . وصارت له الصداقة المتينة من جميع مماليك الجزائر . فعند وصوله لحاية صيدا بالعسكر اتاه الخبر بأن الجزائر حين قدومه من الحج تقرر له عن خيانة جميع مماليكه وانضالهم بحريمه مدة غيابه فأبعدكم عنه ليسمى في هلاككم وبعد خروجكم من عكمه قد قتل جميع من هو داخل بينه عدا عن مملوكة صغيرة عمرها ثمانية سنوات . وكان قتله لمن يشاء وجوهن فقتل باب الدار من داخل ومعه الطواشي فاشعل فحماً كثيراً في فسحة الدار وكان بمسك المرأة من شعرها ويضع وجهها على الخمر دايساً على رقبتها حتى تموت . وبهذه العملية الشفيعه اهلك سبعة وثلاثين امرأة .

فعندما عرف سليم باشا بذلك صمم على قتل الجزائر وتخليص البلاد من شره . فاتفق على هذا مع الملا اسماعيل وبقية القواد مع صديقه ابراهيم قالوش ورجعوا في طريقهم على مدينة صور ليأخذوا منها لزوم العسكر من مأكولات مع علب لدوابهم . فحافظو صور قفلوا باب المدينة ولم يسمحوا لهم بالدخول خوفاً من

غضب الجزار مع انهم قلائل لا يقدرّون على المدافعة . فتقدم اليهم ابراهيم
القالوش وخاطب كبيرهم بالمعروف وكان بينهما معرفة قايلا ان العسكر لا بد له
من الخبز لما كوله ومن الشعير لعلف دوابه . فاذا شتم نحن فتوجه بالعسكر نبات
في راس العين فقط اعطونا لزوم العسكر من مخازن الحكومة كما اعطينونا حين
قدومنا عليكم من عكة ولا تجعلوا سبباً لطباح العسكر ومجومه على المدينة ووقوع
حوادث تضر بالاهالي . فجاوبه انكم قبلا اخذتم بأمر الجزار والآن لا نقدر
نعطيكم بدون اذنه ونكون تحت المسؤولية . فعلينا ان نمانعكم بقدرتنا ولو هلكنا .
وعندما بلغ الجواب لسليم باشا أمر بهجوم العسكر على البلد فدخلها عنوة ومهب
بيوتها وكنايسها وملايس رجائها حتى النساء لم يتركوا فن سوى السترة الضرورية .
وخرجوا لراس العين وعملوا هناك سوقاً لبيع المنهوبات فن كانت عنده نقود ولم
تقع بيد الناهيين استغفك منهوباته بالدراهم . ومن (٢٣) لم يبق له شيء استدان
من الذي بقي له او من الخارج واستغفك من امتعته ما لا يستغني عنه . واما عيال
مشاقه فكانوا اشد ضيقة مما عداهم وصاروا بحالة محزنة جداً ولا يوجد لهم معين
حيث الجميع تحت المصيبة . فبالجهد وجدوا من يقرضهم القليل استغفكوا به من
امتعته ما هو اشد لزوماً . واما كلما يخص المأكولات لم ينهبه العسكر بل ابقاه
لهم لان مخازن الحكومة فيها اكثر مما يحتاجونه . ولم يقتل بهذه الحادثة سوى
شيعيان ونصرافي لمقاومتهم ناهيهم .

ثم قامت العساكر ونزلت خارج عكة . فالجزار لم يبق عنده عسكراً لضربهم
سوى الطوبجية على الاسوار وبعض انفار الضابطة . فجمعهم و اضاف لهم ما وجده
من القلعة في عكة والسوق والسوامس واغراب المصريين باعة الاسماك المجففة والقول
المدمس والمش القديم وحملهم الاسلحة واكثرهم لا يعرف كيفية استعمالها . وكان
الشيخ طاهها ارسل رسولا الى المتلا اسماعيل يستميله . فرجع منه الجواب بأن لا
يضر به ولا يضر به . وكان هو عمدة العسكر مع سليم باشا . فالجزار حينئذ
خرج اليهم بنفسه محبة العسكر الذي لفقه . وابتدا القتال مع المماليك وجماعة
القالوش . واما المتلا اسماعيل فانحاز عنهم برجاله . وبقية ضباط العسكر اقتدوا
به ولم يبق ثابتاً مع سليم باشا غير المماليك والقالوش الذي عند مشاهدتهم ما
حصل من المتلا اسماعيل وبقية الضباط احتسبوا من انطباق الجميع عليهم مع
الجزار فسلموا انفسهم الى الفرار وتشتتوا في الاقطار . فايراهم قالوش توجه لعند
اولاد موسى الحنا في بلاد الحصن مؤملا الحصول على الامنية كونهم نصارى وحكام
البلاد وكان صحبته اولاده يعقوب وناصر والياس واسعد . فاقتصى الجزار خبرهم

حتى عرف مكان وجودهم وانهم ضمن ايلة الشام التي تولى عليها غيره . فالتمس من الدولة التولية عليها فولوه . وبالحال طلب من اولاد موسى الحنا تسليم ابراهيم القالوش فسلموه واحضروه لمدينة حماه . وفيها اخبروه ان الجزار طالب قطع رأسه وأشاروا عليه ان يحضن دمه بدخوله في دين الاسلام فما ارتضى وقطعوا رأسه . واما اولاده فهدروا والنجاوا الى بكاءوات بلاد عكار . فقبلوهم واجروا معهم كل معروف . وكان لايبهم اخ في بلاد صفد اسمه ابو غرما مسكه الجزار وشتقه في عك . وعندما صارت ولاية صيدا الى سليمان باشا مملوك الجزار حضر لعنده اولاد القالوش ورتب لهم معاشاً وسكنوا مدينة صور .

وفي آذار سنة ١٧٩٦ استدعى جرجس مشاقه غيلته لدير القمر فحضرت لعنده وفي ٢٩ تشرين الثاني شرقي سنة ١٧٩٦ ولد له ولداً ثانياً بينهما سفتين من دون زيادة ولا نقصان وسماه اندراوس لان مولده ليلة عيده . واما اخيه انطون فلم يريد الحضور لدير القمر فتوجه لمصر واستقام في بيت تاجر معتبر يكون ابن عم ابيه للخواجه يوحنا فرج القاطن الآن في مدينة بيروت . فهذا الرجل اعطى بتربية انطون المذكور بتعليم حسن الخط والحساب ولغتي التركي والايطالياني واتخذ معه لاوروبا وغب رجوعه توفي . فحضر انطون لدمياط واقام مدة في عمل الخواجه نقولا كحيل . ثم اشترك مع الخواجه بطرس عنحوري اخي زوجة اخيه . وبعد (٢٤) ان تزوج واثاه ثلاثة اولاد توفي وعمره اثنين واربعين سنة وذلك سنة ١٨٢١ .

فصودف نزول الامير بشير لعكا ماراً على صور فوجد حاكمها مقيماً في دار مشاقه كونها صارت في تملك الحكومة . فتذكر ابراهيم مشاقه وسأل عن ابيه الكبير اخبروه بكلاما جرى عليه وانه مع العيلة في دير القمر يشتغل صابغاً فناسف عليهم . وعند رجوعه لدير القمر طلب جرجس مشاقه لمواجهته فكان عنده خوفاً عظيماً حيث كان الامير في عكا . واقتكر بان الجزار قد طلبه من الامير الذي ما كان يسأل عنه قبلا مع انه في اكثر الايام يمر تحت طيقان مجلسه . ثم راجع فكره بانه لربما الامير نظر شيء من اعمالك في الصوغة ويريد عمل شيء منها . فتوجه مع الرسول مختاراً وبوصوله لعند الامير قبل يده فاستقبله بالبشاشة فسكن روعه ثم أمر له بالقهوة فاطمان فكره . ثم صرف الخدام الوقوف امامه وطلب منه شرح كلام وقع عليه فقص على الامير بكلاما حصل له وانه ما تخلص حتى ذهب كلاما يملكونه وصار عليه مبالغ كذا من الديون دفعها عنهم اصدقائهم لاجل خلاصه وانه توجه لمصر فخافوا ان يقبلوه ولذلك التجي لتحت افطار سعادته

وتعلم صناعة الصواعة يشتغل بها ليحصل على المعاش الضروري ليعيسته . فالامير
ظهر منه مزيد الكدر وطلب ان يربه خطه فأراه اياه فقال له كن مرتاح الفكر
وانشاء الله ستحصل على الراحة . فمن الآن كن في خدمتي كاتب يدي بينما
انظر لك وظيفة تنفعك اكثر ومن الآن ربت لك ثلاثة آلاف غرش بالسنة
مع خمماية غرش في كل عيد كبير ومرفع وخمماية غرش ثمن كساوي مع ثلاث
غراير حنطه بالسنة تصل لبيتك . واما الديون المتأخرة عليك لصانعي المعروف
معك فهذه لازم وفاها لاربابها وانت لا تقدر على دفعها فاسمى بتقسيطها وانا
ادفعها عنك . وأمر بأعطائه كسوة لايقة مع زخيرة لبيته . حينئذ قبل يده وخرج
مسروراً وثاني يوم لازم خدمته .

ان راحة جرجس المذكور لم تطل بسبب اعمال الجزار في خراب الجبل
وتبديل حكاهم ووضع المغارم عليه . فقصود انفراد الامير بقليل من خواصه
في ساحل بيروت بين عساكر الجزار فألقوا القبض عليه وعلى اخيه الامير حسن
وعلى الشيخ بشير جنبلاط واخذوهم لعكا . فوضعهم بالقبو الحديدية داخل
السجن . وبعد مضي نيف عن عشرين شهر رضي الجزار على الامير واطلقه
من السجن معمن معه . وفوض اليه حكومة لبنان على شرط القيام بكلمة صار مترتب
على الجبل من الدفاع التي تقدمت منه ومن تفوضت اليه حكومته قبلا وان
يوضع ولده الامير قاسم رهناً عنده . فأحضر ولده الامير قاسم وطلع لدير القمر
والشيخ بشير غلله مفوضاً اليه احكام بلاده الشوفين مع الحاق اقليم جزين والريحان
واقليم الخرنوب والتفاح والشيخ المذكور كان على غاية ما يكون من الاستقامة
وصار عمدة الامير عليه وكلاهما يعتمدان في الادارة على رأي الشيخ نجم العقيلي
القاطن قرية السمقانية الكاينة بين دير القمر والمخشارة . (٢٥) وهو من عمدة
عقال الدروز وشهير في لبنان بالتفوى وجودة العقل واصابة الرأي حتى انه في
ايامه جرى تحريكاً للدروز ليعملوا حركة على الامير والنصارى كما تكررت في
هذه السنين القريبة فعملوا حجة الاتفاق بين كبرائهم من مشايخ وعقال واتوا بها
للشيخ نجم لكي يضع بها امضاءه وختمه . فأبى الحجة عنده ليتبصر بها جيداً
ثم توجه لعند الامير سراً وسأله عما عنده من اخبار الحركات في البلاد . اجابه
انني ما علمت بشيء . فقال له انه موجود حركة كبيرة ولكن يلزم استحصال
الامنية لجميع الداخلين بها من القصاص الذي يستوجبونه عدلاً لان هذا اوفق
للصالح . وحينئذ اطلع سعادتك على الواقع . اجابه الامير ليس عندي شك في
استقامتك وصوابية رأيك . فليكن ما طلبته وطلبه . فحينئذ اطلعه على الحجة

وامضاواتها وكرر الرجا بكتان القضية حيث لو عرفوا اصحابها بان الامير عرفهم
فيضطروا لعمل الفتنة حيث لم يبق لهم امنية على انفسهم . ومن ثم قال للمعتمدات
انني تأملت في مضمون الحجة وجدتها الواسطة القوية لخراب طائفة الدروز دون
النصارى لانهم في نفس هذا الجبل هم اكثر منا اخضاعاً فضلاً عن كثرتهم بالمملكة
العثمانية فهم نصفها ولم بالخارج جملة ملوك اقوياء . فلو اقتدروا على الحال واهلكنا
جميع نصارى لبنان فهل يمكن نفس الدولة العلية السكوت عنا اذا فرضنا ان
ملوك النصارى يهمل التعدي عن ابناء دينهم . فبمن ندافع عن انفسنا . افتشكروا
بان السبعة آلاف رجل الموجودة منا في لبنان يكون منها اكثر من خمسة آلاف رجل
نصلح للقتال

فماذا نقدر ان نعمل مع الاربعين الف نصرا في الموجودة في الجبل
فضلا عن غيرهم . فيلزم الاحتراز من السقوط في الفخ الذي سقط فيه امثالنا .
فاذا لم نخترزوا وتكونوا مع النصارى كعيلة واحدة فمن الآن اخبركم بانني مع كل من
يقول قولي نكون مع النصارى ضد مقاومهم . فمن ارشاد هذا الرجل الحكيم نلاشي
تدبير اصحاب الحركات وبطل عملهم . واضحي الجميع كعيلة واحدة بالمنية لعمله
الذي حفظ البلاد من الخراب . فلو وجد مثله اثنان في عصرنا من الدروز والنصارى
لحفظوا بلادهم من المصائب التي التحقت بهم في حوادث سنة ١٨٤١ وستة ١٨٦٠
حيث انتهت بحسرة الدروز الدائمة بفقدانهم الاستقلالية التي كانت لهم لكل امير
وشيخ على بلاده . نعم ان خسارة النصارى كانت عظيمة في مالهم ورجالهم لكنهم استعاضوا
عن المال من خزانة الحكومة واما الرجال فاذا لم يموتون بالفتنة كانوا يموتون تدريجاً
ويجد غيرهم . وقد رجحوا بانه كان يحكمهم امير منهم ليس له ادنى سلطة على الدروز
بل هم تحت حكم امير درزي فصاروا مع الدروز تحت حكومة وزير مسيحي
من طرف السلطنة السنية يتصادق على توليته من ملوك النصارى العظام وكثير
من البلاد التي كان يحكمها بعض مشايخ الدروز قد رفعت عنها (٢٧) يدهم
وتقرر دوامها تحت يد مدير مسيحي . ودير القمر قاعدة لبنان التي كانت تبعاً
للمشايخ ابي نكد ومركزاً لسكنائهم صارت تبعاً للمدير مسيحي مع منع الدروز من
التوطن بها . وبيوتهم مع بيوت المشايخ المذكورين ومشايخ بيت القاضي وبيت
ابي هرموش مع محلات عبادتهم قد دثرت ونقيت اساساتها . فهذه هي نتيجة
التصرف بالحمية الجاهلية وعدم التبصر بالعواقب .
ولنرجع الى الامير بشير فحكم البلاد . وكان كاخوته في اشغال الرعايا

وتحرير الاوامر لداخل البلاد الشيخ ابو خنطار سلوم الدحداح الذي هو جد المطران نعمة الله الحالي على كرسي مطرانية الموارنة بدمشق . وهذا اول مشيخة بيت الدحداح بكتابة الامير لهم : ايها الاخ العزيز . ولما كانت البلاد واهاليها ومشايخها حتى امرايها من نصاري ودروز منقسمة الى فريقين احدهما جنيلاطي ورأسه بيت جنيلاط والآخر يزبكي ورأسه بيت عماد وكان الامير يوسف يميل الى اليزبكية واما الامير بشير يميل الى الجنيلاطية وعمل جهده بايجاد الالفة بين الفريقين فما امكنه يوفق بينهما . بخلوص قلبي لان كبراء الجنيلاطيين اصحاب ثروة واليزبكيين اكثرهم لا يقدروا على المعيشة اللايقة بمقامهم الا يبسط يد الامير الحاكم لمساعدتهم فلكونهم كانوا عضداً للامير يوسف وهكذا بعد مقتله كان ميلهم لاولاده القاصرين الذي صار وصياً عليهم الشيخ جرجس بن باز ابو شاكر من دير القمر وهو ابو داود بك باز مديرها الآن فكان الامير بشير لا يركن الى صداقتهم وشديد التمسك بالشيخ بشير جنيلاط لاستقامته وغناه . واما مشايخ بيت ابي نكد فهم فرقة لوحدها فتارة يميلوا مع جنيلاط فيقوى على عماد وتارة يميلوا مع عماد فيقوى على جنيلاط . ولذلك في الجبل يقولوا ان بلادنا حمل جنيلاط ويزبك واما نكد فهو فردة فاذا اضيفت لاحد فردتي الحمل ترجحها عن الاخرى . فوجود هذا الانقسام كان لا يدع الجبل يرتاح من القلاقل مدة طويلة والجزائر دائماً يلقي الخلاف بين كبرايه ليتمكن من اذلال الجميع . وهذا هو دأب دولة الاتراك . ولترجع الى جرجس مشاقه فالامير جعله اميناً على صندوق المالية ويسمونه صرافاً . ففي سنة ١٧٩٩ اتى بونابارته بعسكر فرنساوي من مصر وحاصر عكة مدة شهرين وبمساعدة مراكب الانكليز ضدهم وانقطاع المدد عنهم اضطر للقبام عنها . فالامير بشير حال كونه استعمل غاية الحيادة عن مساعدة الفرنسيين فالجزائر التي عليه التهمة بانه كان يقدم لهم ذخائر الدعوى التي ليس لها اساس فقط كان يوجد اناس من الجبل وغيره يبيعون مسكرات على المعسكر لاجل ربحهم الخاص بهم . فالجزائر اظهر غيظه على الامير حتى اضطره للقيام من الجبل . فقام (٢٨) ومعه جميع خدامه من جملتهم جرجس مشاقه الذي وضع عينه في قرية رشميا . وقام معه من يخصه كالشيخ بشير جنيلاط ومن يلوذ به من كبراء عشائر الجنيلاطية وتوجهوا الى بلاد الحصن وعكار وكانت تابعة ايةالة الشام . وحينما حضر الصدر الاعظم يوسف ضياً باشا المعدني بالعساكر السلطانية الى قلعة العريش ليطرد الفرنسيين من بلاد مصر فالامير بشير حرر كتاباً الى الكومندانت سميت قايد البحارة الانكليزية واخبره عن عبوديته للدولة العلية

وصدق خداماته وعما عمله به الجزار بغير الحق وانه يلتمس مرحمتها بانصافه فحضر الكومنداء بمركبه الى قرب طرابلس وطلب الامير لمواجهة فحضر لعنده ببعض خدامه . وغب المواجهة اصحبه معه لمقابلة الصدر الاعظم في قلعة العريش . فقابله به وحصل الامير على الاكرام ووعدده بارجاعه لبلاده حاكماً كما كان . فرجع الامير لعند جماعته في عكار . وبعد ايام وردت له الاوامر من الجزار بان يرجع لبلاده حاكماً عليها وذلك سنة ١٨٠٠ فرجع واستولى على البلاد .

وفي هذه السنة في ٢٠ آذار غربي نصف نهار الخميس الموافق ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هجرية ولد لجرجس مشاقه ولداً بقرية رشميا قبل رجوعه من عكار ودعوا اسمه مبخايل وهو محرر هذه النبذة . وبعد رجوع الامير بشير لدير القمر ورواقه الامور ارجع جرجس مشاقه عائلته لدير القمر . ولكن لم يرح الجزار يلقي الخلاف بين الامير بشير واولاد الامير يوسف المتوكل عليهم الشيخ جرجس باز الشهير بالكرم ولطف الاخلاق مع الفروسية والشجاعة . وكانوا يقيسونه في الحرب بخمسة فارس . فاستمال اليه قلوب الناس بالكرم ومكارم الاخلاق وكان بعضده بني عماد معمن ينتمي اليهم من المشايخ . وهكذا الامير بشير بعضدونه الجنبلاطية . وبذلك كانت المحاربة بين الفريقين لا تفتر . ومشايخ النكدية تارة يتفقوا مع الفريق الواحد وتارة مع الفريق الآخر . فيتراجع (الذي) يتفقون معه . فعندما ظهر للامير بشير ان الغلب كاد يتحقق عليه وان عساكر الجزار مع اولاد الامير يوسف بجبهة ساحل بيروت يقاتلونه بقوة لم بعد في امكانه دفعها بالقوة فاستصوب المصالحة معهم وارسل سراً الى الشيخ جرجس باز يقول له الى متى هذه المقاومة التي نهلك فيها رجالنا ونحرب بلادنا . ولنفرض انه حصل لكم تمام الانتصار ودخلتم البلاد عنوة مع العساكر الاجنبية المستبيحة الدم والمال والعرش ممن نحاربها خصوصاً اذا كان درزياً او مسيحياً افهل يعود في امكانكم صدها عن سلب اموال البلاد ونفضيح حربيها وسفك دماء رجالها وتكونوا المسيبين لبلادكم بوقوع هذه المصائب عليها . وهل تعود الرعايا تريد النظر الى وجوهكم . فيلزم تنظر في العواقب وتفيدني عن رأبك وعزمك بهذه القضية المهمة . فكان جوابه الى المعتمد انني اكره كلها يسوء بلادي كما يكره ذلك سعادة الامير . والندي اضطرني لذلك واجب ذمتي نحو اولاد عمه الذي صرت وصياً عليهم . ومع هذا تقول لسعادة الامير انني بهذه الليلة عندما يسترق الظلام احضر لعنده بنفسه للمكاملة بهذه القضية . وارجو بانه يصبر وجهاً مناسباً لنهايتها على وجه مرضي الى الفريقين . (٢٩) ثم عندما صار الظلام حضر لعند الامير وحده وقبل يده

عند المواجهة وشرعا بالمكاملة بافتتاح كلام الشيخ جرجس باز انكم يا آل شهاب انتم اسباد جميع سكان لبنان من رفيع ووضيع فلا نشك في غيرتكم الحسنة نحو جميعنا مسيحي كان او درزي ونحن رعييتكم . واذا استخدمتم احدا وجب على ذمتهم ان يخدمكم بكل صداقة ويغلبكم بكلمة هو عزيز لديه ويسفك دمه فيما يرضيكم . ولا يخفى سعادتكم بأنني احد الرعايا من دير القمر والامير يوسف استخدمني فخدمته بصداقة وهو قد احسن الي بأكثر مما استحق . وهو الابن الاكبر للامير ملحم الذي هو الابن الاكبر للامير حيدر الشهابي الذي تولى على لبنان بعد ابن خالته الامير بشير الذي توفي بلا ولد . وقد استوليا على الجبل بوصية من خالهما الامير احمد المعني آخر امراء بيت معن . فكان للامير يوسف حقاً بوراثة حكم الجبل اكثر من باقي اقربايه . فالجزار قد غدر به وقتله وله ثلاثة اولاد قاصرين تسلموا لوصايتي ويجب على ذمتي الجهد في صوالجهم والقيام بطلب حقوقهم الواجبة لهم بالارث عن ابايهم . فسعادتك استوليت على حقوقهم ولم تترك شيئاً يسد احتياجاتهم . فهل اكون ملام على الصدق في خدامتهم . ونعم ان هذه المدافعة معهم تجلب ضرراً على بلادنا مما لا نرغبه . ولكن اذا نظرنا في اسبابه نراها عدم التفاتك لراحة اولاد عمك الذي لا يهتم عليك حق التربية . وكونه اختصك دون اخوته وابناء عمه الاقرب اليه منك . وسعادتك بلزم تمدح غيبتني على صوالج ابناء عمك الذين يقربون اليك دوني . ومع ذلك ها انتي حضرت بين يديك وحدي متكللا على شهامتك لكي اعرف ما يحسن لديك لحسم هذه الشرور حتى تسلك بموجبه . فأجابه الامير ان كلامك جيد وهو مقبول عندي . فالذي اراه موافقاً لدوام الراحة وقطع اسباب النزاع بان تعطى بلاد جبيل لاولاد الامير يوسف ويكون اخوك الشيخ عبد الاحد كاخية عندهم وتبقى لي حكومة دير القمر وما يتعلق بها . وانت تقيم بدير القمر كاخية عندي . واما ارباب المقاطعات من بزكي وجبلاطي وفكدي فكل منهم يبقى متصرفاً في البلاد التي تخصه حسب عادته . فارتضى بذلك الشيخ جرجس باز وطلب من الامير العهد بذلك وعدم النكث . فعاهده على الانجيل والقرآن بانه لا ينكث عهده معهم ولا يغدر بأحد منهم . حينئذ رجع الشيخ جرجس الى المعسكر واخذ اولاد الامير يوسف وكل من يخصهم وحضر بهم لعند الامير ليلا . فعسكر الجزار عندما اصبح لم يجدوا عنده احداً من الامراء والمشايخ وعرف اتفاقهم مع الامير بشير فرجع على عقبه . وحصلت الافراح عند عموم اهل الجبل بوقوع هذا الصلح وتوجه كل لعله الذي تعين له . واستعدوا لمدافعة عسكر الجزار عنهم .

فهو لم يحرك لهم ساكن فاستكنوا (٣٠).

ولنورد هنا حادثة من أعمال الجزار . انه بعد قتل السكر وج مديري خزنته استحضر من دمشق رجلا عاقلا من معتبري يهودها يقال له المعلم حايم فارحي واليهود يسمونه الحاخام حايم لانه كان يقرأ ولفظة يقرأ في اصطلاحهم تفيد انه يعرف كتاب التلمود جيداً . وهذا الكتاب كبير جداً مقسوم الى اكثر من ثلاثين مجلداً اشغل علماء اليهود بتأليفه مدة تزيد على اربعة اجيال نصفها كان قبل التاريخ المسيحي . وهو يحتوي على تفسير الكتب العهد القديم المقدسة وآراء علمائهم في معانيها مما اختلفوا وانفقوا فيه وبيان شرايعهم واحكامها . وهو كتاب معتبر ولئن كان يوجد فيه بعض قضايا تمجها الطبيعة الانسانية ولا تضلها العقول السليمة التي لسنا بمعرض ايضاحها فلا يقال عنه الا كتاب يستحق الاعتبار لما حواه من المباحث الدقيقة . فالمعلم حايم كان قليل النظير في حسن اطباعه ومكارم اخلاقه وقوة ادراكه في تصرفاته بالذي يناسب او لا يناسب في امر ما . فاستخدمه الجزار مديراً لأعمال خزنته وكان احياناً يزعل عليه بغير ذنب ويسجنه ثم يرضى عليه ويرجعه لوظيفته اذ يرى احتياجه لحسن رايه وتديبره حتى انه في زعله عليه قطع انفه ثم اذنه اليمنى ثم قلع عينه اليمنى فهذه مع اعدام الحياة كانت اكثر قصاصاته . وكان الجزار يتأخر عن دفع الاموال المتوجبة عليه لجانب السلطنة ويعتذر عن الدفع بكونه محتاج لتعيين العساكر لاجل ادخال الجبل في الاطاعة فستمت الدولة من تعللاته الطويلة وكتبوا له ان المدة طال وتظهر انك غير قادر على تمهيده فلذلك صممت الدولة على ارسال وزير مقتدر بعساكر كافية لاختضاع لبنان لسلطوتها . فحرر الجواب اني بعد ايام قليلة ان شاء الله اقدم البشارة بفتحها حيث ظهر عليهم الضعف عن المقاومة وانقلاص منهم كثير عن مواقع الحرب . وقد منعنا وصول الذخاير اليهم من البقاع والسواحل وهم لا يقدرين على المعيشة بدوتها لان الجبل اراضيه قليلة بالنسبة لعدد سكانه . وبعد مدة وجيزة حرر للدولة بشارة كاذبة صعبة زوج من النатар بانه فتح الجبل فوجد فيه من السكان النصارى مائة وعشرون الف رجل ومن الدرروز ستون الف عدداً ثلاثين الفاً من الاسلام الشيعة ومثلها من اهل السنة فاتحفوه بسيف مجوهر ومدحوه على همته . ان المعلم حايم كان محبوساً ولم يعلم بتدبير الجزار المشروح . فبعد مدة ارسلوا له من الامانة اوراق خراج النصارى المعتادة وزادوا عليها مائة وعشرون الف ورقة برسم نصارى لبنان . فاستحضر المعلم حايم لوظيفته وطلب رايه بتدبير هذه الواقعة . اجابه الآن يجب دفع ثمنها من

خزيتك تصديقاً (٣١) لما عرضته للدولة عن فتح الجبل وعن كمية النصارى فيه . وعقب ذلك تتدبر في رفع هذه الزيادة . فدفع ثمن هذه الاوراق وبعد اشهر ارسل بشاره للدولة بان نصارى لبنان دخلوا في دين الاسلام . فعند دخول السنة الثانية ارسلوا له اوراق خراجها مزادة كالماضية فارجع الزيادة بقوله ان نصارى لبنان تقدم الاعراض عن دخولهم في دين الاسلام وارتفعت عنهم الجزية شرعاً . فهكذا كانت امور الدولة بذلك الوقت مهمله من التحقيقات على صحة ما يعرضه لها مأموروها .

ولترجع للذكر حوادث الجبل . ان مشايخ عماد وجنبلاط اتفقوا على تدبير المشايخ النكديّة على انهم السبب الاكبر في ايقاع الاختلاف بين جنبلاط وعماد لانهم تارة يتحدوا مع جنبلاط وتارة يتحدوا مع عماد ويكون ذلك داعياً لوقوع الفتنة بينهما . وكان الامير قد (صغرت) نفسه من تصرفاتهم لانه مقيم بدير القمر وهي كرسي الحكومة واما رجالها وحكمها الخصوصي فهو للمشايخ النكديّة . فلو اذنب انسان في باب سرايا الحكومة وهرب لقاطع مجرى مياه الشالوط الفاصل بين السرايا وبيوت المشايخ فلا يسمح لاتباع الامير بلحقه لقاطع الماء ومسكه . فارتضى الامير فيما عزم جنبلاط وعماد على عمله . فقي ذات يوم اجتمع المشايخ المذكورون عند الامير والنكديّة لم يشعروا فيما تمها لم فوق القبض على ستة اشخاص من كبرايمهم الذين يخشى باسمهم فاعدموهم الحياة وكان من جملتهم الشيخ قاسم واخيه الشيخ سيد احمد جدي قاسم بك وبشير بك الموجودين الان . فهذه العملية جعلت زيادة تعلق لنصارى دير القمر بالشيخ جرجس باز . فالشبان الجبلية منهم كانوا يتعدون احياناً كثيرة على كثيرين من الدروز الذين يحضرون لفضاء مصالحهم بدير القمر . ويعاملوهم بالشتائم وانواع السفاهة التي يتحاشا الدروز التلفظ بها . فكان المهازون يشكون لكبرايمهم مما يجري عليهم فيعرضوا الشكوى للامير فيحبس المتعدي لاجراء قصاصه فأهاليه تلجج للشيخ جرجس باز فيرفع عنه القصاص وحياناً يطلق محبوسين في سجن الامير بدون استئذانه . فامتدت سطوة الشيخ جرجس باز حتى ان الامير ومشايخ الدروز جميعاً ضاق صدرهم من امتداد يده فانفقوا سراً على اعدامه مع اخيه عبد الاحد في جليل يوم واحد . وكان الامير حسن اخو الامير ساكناً في قرية غزير وكثير التشكي من عبد الاحد . فأظهر الامير غيظه على مشايخ بيت عماد ووضع عليهم حواليتته بطلب اموال حال كونهم لا يقدرون على دفعها وذلك عن اتفاق سري معهم ليكون ذلك سبباً ظاهراً لتوجههم الى جليل يلتصقوا من الشيخ عبد الاحد بالتوسط

عند الأمير وصفاة خاطره عليهم ويغندوا (٣٢) به . فتوجه المذكورون . واما الشيخ بشير جنبلاط حضر لعند الأمير ببعض خدامه كعادته واكن كثير من رجاله في ظهور السبقانية مقابل دير القصر احتساباً من قومة رجالها ضد الأمير . واوصاهم اذا سمعوا صوت البارود من السرايا حالاً يهجموا على دير القصر . ففي اليوم المحسوب لدخول مشايخ بيت عماد الى جبيل بعد الظهر ارسل الأمير احد اتباعه يدعى الشيخ جرجس باز لمواجهته . فالشيخ كان نائم . فأيقظوه . فعادته ان يشكل خنجراً في زنازه . فثلث الساعة استنقل حمله وكان يتوجه بحملة من الاتباع ماراً في الميدان . فیتبعه من الاهالي كثير من الشبان . فذاك اليوم لم يأخذ معه غير خادم واحد بدون سلاح وخرج من باب السري في قفا بيته ودخل في انطوش رهبان الموارنة حيث يوجد لدار مجلس الأمير باب سر بنفذ اليه . فدخل منه وكان الأمير جالساً في حجرة فدخل عنده وجلس كعادته . وبعد جلوسه نهض الأمير كأنه ليقضي حاجته وخرج من الباب واغلقه خلفه وكان داخل الحجرة مخدعاً مخفي فيه عشرة رجال من عيلة زين الدين وظيفتهم حبس المخبرين واجراء القصاصات . فحالما خرج الأمير هجموا على الشيخ جرجس وخنقوه وطرحوه في دار انطوش الموارنة وهكذا توجه مأمورون احضروا يوسف آغا الترك الروم الملكي من بيته وقتلوه لانه كان من المعتادين عند جرجس باز . واما الأمير اختشاء من عدم نجاح العملية في جبيل ركب حالاً بحملة من اتباعه قاصداً جبيل . وبوصوله لمكان يقال له قبر شمون لاقاه رسول بكنابة من جبيل يخبروه بقتل الشيخ عبد الاحد والقبض على اولاد الأمير يوسف من بعد الخالدة وقتل بعض انفار من الطالبيين والمطلوبين . ثم بوصوله الى جبيل امر بطفي اعين اولاد الأمير يوسف فتولج بهذه العملية قاسم بن العرب صالح احد عبيد والد الأمير . فأطفي ابصارهم بعملية كلية القساوة . فكان يحيي قضبان الحديد ويدخلها في عيونهم . واعاد لهم هذا العمل الشنيع ثلاثة مرات في يوم واحد . وكان ذلك في شهر آب سنة ١٨٠٨ .

ولترجع الى الجزائر فانه توفي سنة ١٢١٩ الموافقة سنة ١٨٠٤ مسيحية على فراشه اذ كان عمره اربعة وثمانون سنة . وكان فرحاً عظيماً عند جميع رعايا ابالة صيدا بموته وتخلصهم من ظلمه . وحضر من طرف السلطنة راغب افندي الذي بعده صار والياً على حلب وذلك لضبطه متروكات الجزائر لانه كانت قوانين الدولة وقتئذ انها تأخذ كل ما يتخلف عن مستخدميها من املاك واموال وامتعة . فحرر التركية مع سندات الاموال التي كان يحررها على امراء ومشايخ

البلاد خارجاً عن الاموال الاميرية وذلك حين توليتهم . ثم يعزلم قبل استحقاق دفعها . فهذه الديون القائلة حسبت من حقوق الدولة وعندما وجدوا فقرتها وعدم امكان تحصيلها فحملوها على رعايا بلاد اولئك الامراء والمشايخ مضطه على عدة سنوات . فجبل لبنان كان يدفع المال مضاعفاً . فالمال الواحد (٣٣) يبلغ اربعمائة كيساً . ويوجد في الجبل بعض اقلام مبرية نظير مال تعداد الماعز واملاك اميرية ومال جوالى " على النصارى ومال فريضة على الدروز وهذين المالين يتوزعا على رؤوس الرجال بمنزلة الجزية ويعنى منه بعض البلدان كدير القمر ومحلات غيرها فيجمع من هذه الاموال مطلوب خزينة وزير المالية . وما زاد يكون لمعاش الامير وخدومه . فالتقسط الذي توجب على لبنان من مطلوبات الجزر يبلغ ستة اموال مبرية فتقسم طرماً فصارى الاهالى تدفع مالبن المبري وستة (او ستة) اموال الطرح الذي لم يعنى منه احداً سوى دير القمر لانه كان مرتب عليهم خدامات خصوصية للحاكم لا يلتزم بها غيرها من البلدان ولما كان الفايض له من الاموال المبرية لا يقوم بمصارفه فاشترى من الدولة ارضاً من قضاء البقاع اسمها الحلة الغربية بالقرب من بلدة زحلة باسم اولاده على شروط المالكه التي اذا مات صاحبها قبل ان يفرغها لاولاده ام لغيرهم ترجع محلولاً للدولة وتبيعها ثانية بالمزاد ومها بلغ فاولاد صاحبها مقدمون على غيرهم في مشتراها . فعمريه هذه الارض قوية سماها المعلقة . وكذلك اخذ من والى الشام ارضاً واسعة يقال لها النل الاخضر بموجب امر وزيرى وحجة شرعية من محكمة دمشق بان يصلح اراضيتها ويعمرها فتكون ملكاً له . واذا تعدى عليه احد الولاة فيما بعد يأخذها منه بحق له ان يأخذ منه كلما صرفه على اصلاحها وتعميرها . وهكذا صار للامير محلات في اراضي البقاع ارادها يكنى لسد نقص اراده من الجبل عن مصارفه . فتل الاخضر قد صرف عليه مبالغ وافرة حتى ازال منه مناقع المياه وفتح لها الخنادق لتصرفها وقطع من الاراضي ما كان بها من الاشواك والنبانات البرية وعمر بيوتها لسكنى فلاحها فصارى من اقرباى المعتبرة .

فبعد موت الجزار توجهت ولاية صيدا على احد مماليكه سليمان باشا . وهو كرجي مسيحي ارتوذ كسي الاصل . فخطف اذ كان صغيراً وبيع للمسلمين ووصل الى الجزار . فهذا الانسان كان حلیم الطباع بسيط القلب محباً للسلامة يكره كل شر متواضع بمقت الكبرياء ويعمل جميع اعماله بما يوافق الشريعة وامر الدولة العلية يعامل جميع الرعايا بالتسوية والانصاف من مسلم ومسيحي ويهودي

(١) الجواله يفتح الجيم النفاية وجواله المال نقايته وعيابه . والجواله عند العامة الجزية .

ودرزى ونصيري فلا يسمح لاحد من الرعايا والعسكر والخدام ان يتعدا على آخر بشيء . وكان له صديقاً ورقيقاً كالاخ من مماليك الجزائر جركمي الاصل اسمه علي باشا برتبة ميرميران احضرها له من السلطنة وجعله كتخدائه . فاستحضرا المعلم حايم فارحي الاسرائيلي المتقدم ذكره وقال له تريد استخدامك لمعرفةنا بصداقتك في خدمتك الى الجزائر . اجابهم نعم انني خدمته بكل صداقة لكن مكافأته لي كانت بتشويه خلقتي واعدام عيني اليمنى ولم يكن لي ذنباً سوى تقديم النصيحة بالتوقف عن بعض اعماله الموجبة لاتباعه وتخريب بلاده . فان كان عزمكم ان تسلكوا في طريقه فارجوكم ان تغفوني من الخدمة وتسمحوا لي بالاقامة في بيتي او بالتوجه لبيت اهلي في دمشق . فكان الجواب من سليمان باشا انني من صميم قلبي اكره كل عمل يضر الناس ويغيظ الله واطلب راحة البلاد ورضي (٣٤) الدولة العلية بدفع الاموال المرتبة لها سنوياً مع كمية الذي تقرر لها بدلا عن ممتلكات الجزائر ولا اطلب منك لنفسك سوى الف ربيع ذهب فتدقلي توضع في جيبك يوم الجمعة لكي اوزعها على الفقراء حين خروجي من الصلاة . واما مصاريف بيتي وكسوتي هذا مفوض لتدبيرك كما انني افوض لك جميع الاعمال بالابانة . فلا اصدر امرأ بشيء الا بتدبيرك واعاهدك على ذلك والله يشهد على عهدي ايضاً بانني لا اغدر بك ولا اخالف رايتك بشيء . فاسمى باعمالك في كلامه نراه حسناً . اجاب المعلم حايم ان عمار البلاد يلزمه العمال ذوي الكفاية بادارة المصالح الموجبة بها عيني الانفس عما يابدي الرعايا لاجلهم عن الحق وان الرعايا تكون امينة على انفسها واموالها من حكامها الملتزمة بتأمينها وصيانتها من اعمال الاشقياء وان المأمور بخدمة ما اذا خدم بالصداقة يكون له حسن المكافاة والترقي واما اذا تحقق عليه عدم الاستقامة في عمل من اعماله او تناوله رشوة على مصالح الحكم او مصالح الرعية فيخاصص ولا يستخدم فيما بعد بمصلحة من اشغال الحكومة مدة حياته . ثم المشايخ المتأولة التازجون من اوطانهم بعد استيلاء الحكومة على بلادهم وهم على الدوام بسلبيون راحة الاهالي بالتعدي على القرايا وقطع الطرقات وسلب المارين بها وقتل من يمانعهم وتضطّر الحكومة لتوظيف عساكر خصوصية للفحص عنهم واهلاك من يجادونه منهم وكثير ما يظفرون بالعساكر ويقتلون منهم بالجملة . ان ما يسببونه من الخسائر على الحكومة والاهالي ينوف على نفع الخربة من البلاد المأخوذة منهم . هذا وانهم مضطرون للاعمال المغيرة لكي يستحصلوا ما يعيشون منه . فلذلك كان الاوفق تأمينهم ويعطى لهم معاشاً وتكون سكناتهم خارجاً عن بلادهم لاجل منع الفلاقل . ثم قال هذا وان احوال

والي صيدا صارت ثقيلة مما ترتب عليها للدولة بدلا عن متروكات الجزار التي لم يكن بها شيء من النفود بل جميعها اشيء تلزم لمهام الولاية . فالانوال الاميرية والرسومات بالكاد تكفي لمصارف الولاية . ودفع المال السنوي المرتب عليها لجانب السلطنة . فاذا يلزمنا استحصال ما نسد به ما يبقى علينا . فلو اردنا ان نوضعه على الرعايا بأي وجه اردناه فيثقل عليهم حمله . وعوضاً عن قصدنا بعمل راحتهم نجلب عليهم ارباكات جديدة . فيلزم ان نوفر المال على الرعايا ونحملة على الاجانب . ويكون ذلك بان بيع الغلال والزيت والقطن للاجانب فقط في نفس عكا يكون مخصوصاً واما الاهالي فيأخذون لزومهم من يد القلاح بدون معارض ويتعين مأمورين ثقة لهذا العمل . ففي كل يوم في آخر الشهر كلما يقبض من واردات هذه الثلاثة اصناف عن لزوم الاهالي يؤخذ من اربابه ويدفع لهم اثمانه حسب السعر الذي بيع به في ذلك اليوم . والذي يؤخذ يوضع باخازن ويباع من يد الحكومة (٣٥) لمراكب تجار الاجانب بالاسعار العالية حسب الامكان . فاجابه الوالي سليمان باشا وكتخابه علي باشا بانه قد تفوض كلما يتعلق باعمال الولاية لرايك وتديرك . فاعمل ما تراه موافقاً واكتب الاوامر اللازمة والوالي بمضها . فتقررت حكومة لبنان للامير بشير الشهابي واعطي له امتياز الالقاب في الكتابة بان الوالي يلقبه بلقبه ولدنا ويرفع اسمه فوق السطر اجلالاً له ولا تكون الكتابة له كخدام بل هكذا (افتخار الامراء الكرام مراجع الكبراء القحام ولدنا المكرم الامير بشير الشهابي زيد مجده غب الفحية والتسلم بمراسم الاعزاز والتكريم والسؤال عن خاطركم بكل خير المنهى اليكم ما هو كذا وكذا) .

ثم اعطيت حكومة طرابلس لمصطفى آغا بربر واصله من القلمون التابعة لطرابلس . كان في الاول من خدام الامير حسن اخي الامير بشير . فهذا الرجل بحسن ادراكه وشجاعته توصل الى المناصب المعتبرة وحاز على الاعتبار عند الوزراء والرعايا . واعطيت حكومة بلاد باغا وغزة الى محمد آغا ابي نيوت احد مماليك الجزار وبقي حاكمها الى ان طمع بالاستقلال فيها . وعندما تحقق ما في نفسه الى سليمان باشا ركب عليه بالعاكر فهرب الى مصر . ثم توجه للاستانة وفيها حصل على التقدم لرتبة الوزارة . ثم ارسل حاكماً على بلاد بشاره ابراهيم آغا الكردي من اهل الصلاح ونواحي الاكراد . وهكذا ارسل لكل محل حاكماً يناسبه مع تفهيم الجميع مضمون القرار ان المستقيم لا يعزل من عمله الا لزوم تقليده وظيفه اعظم وان من يظهر عليه ادنى حيادة عن جادة الاستقامة فخلا عن القصاص الذي يترتب عليه فلا يمكن فيها بعد ان ينال خدمة في اعمال الحكومة مدة حياته .

ثم نصب امنا لمشترا الاعلال والاقطان والزيوت في عكا ونخزنها وبيعها
للإجانب بأثمان ربما تكون في بعض الأحيان بثمان مضاعف عن رأس المال. ثم حرر
أوامر بتأمين لمشايخ المتأولة النازحين بأن يكونوا مطمئنين ويحضر منهم لعكة عمدة
مفوضاً من جميعهم للمكالمة معه بعمل طريقه لراحتهم وبعيشتهم وقطع القلاقل .
وعندما وصلهم الأمر اجابوا بالامتنان وحالا حضر كبرائهم لعكا بأنفسهم معتذرين
عما كان يتوقع منهم بأنه لم يترك لهم الجزر شيئاً من املاكهم ليعاشوا به ولا اماناً
على ارواحهم . فلوقاية انفسهم من الهلاك اضطروا للاعمال المغيرة فتجاوبوا
بالتأمين والتطمين واعطى لهم اقليم الشومر الواقع ما بين صور وصيدا بجميع
قراياه ملكاً ابدياً لهم ولذريتهم معافاً من الاموال والتكاليف الاميرية وذلك بدلا
عن املاكهم في بلاد بشاره . ومعرفتهم صار تقسيم محلات هذا الاقليم بين
افرادهم وتحررت لهم سندات وزريرة بذلك لتبقى محفوظة بيدهم . وخرجوا من عكا
مسرورين عما حصل لهم . وكل منهم توطن (٣٦) في القرية التي تخصصت له .
وحصلت الراحة لبلاد بشاره وثأمنت الطرقات وصار جميع الاهالي بالايالة في
ارغد عيش . ولم يعد لزوم لكثرة العساكر . فاقصر الحكم على ضابط من
الانباؤوط متوطناً في صور اسمه محمد آغا النعمان عنده نحو مائتي نفر مشاة وعلى
ثلاثة ضباط من الاكراد شحدين آغا ونعمه آغا واجليقين آغا على نحو خمسية
فارس وعلي ابو زيد آغا وموسى الحاسي آغا ضابطين على نحو اربعماية خيال
من عرب افواره ويتبعهم بعض انفار في باب سراي عكا مشاة نظير الضبطية
عليهم ضابط يسمى سكيان باشي يقيم في باب السرايا . كذلك جماعة الطوبجية
على اسوار المدينة كما انه يوجد في كل مدينة من الطوبجية والضابطة كفايتها .
واما الكتاب فكانوا غير كثيرين حيث الكمارك والاقلام تعطى الى ملتزمين
بمبالغ معلومة فقط في عكا كان كتاب الخزينة المعلم جورجس مسدبة وارايم
الصايونجي مع مساعدين معروفون بالاستقامة . وكتاب التحريات العربية المعلم
حنان العمور وهو من المصايين بوحشية اعمال الجزار فكان مقطوع الانف ومعينه
اولاده ميخائيل وارايم وجميعهم من الماهرين بالخط والانشاء . فالمعلم حاييم كان
يميل لاستخدام الروم الكاثوليك وقليل الشفقة بالروم الاثوذكسيين لميلهم الجنسي
نحو اسلافه بيت السكر وج لانهم منهم بخلاف اهلهم الذين كانوا يدمشق متوظفين
على ادارة خزينة دمشق منهم لا يوثقون بصداقة كاثوليكها لميلهم الى بيت البحري
الكاثوليك الذين كانوا يزاحمونهم على الخزينة بمدة ولاية كورد يوسف باشا .
وسبقني الكلام على ما حصل بينهم .

فجميع اهالي ايالة صيدا حصلوا على الراحة التامة بالمعمورية وتأمين
الطرق مع قيام الحق وهلاك الباطل بين الاهالي بعضهم مع بعض وبينهم وبين
الحكومة. هذا وانه لم يقع في الايالة امراً مكثراً. فقط مشايخ بيت عماد حيث قلة
ايراداتهم كان يقع منهم بعض (تعديات) توجب التشكي من تصرفاتهم والامير بشير
لا يوثق بصداقتهم لكونه اشتهر بميله الجنبلاطي ولا يكون يجتمع لتدبير المصالح
الا مع الشيخ بشير جنبلاط دونهم. فزاد نفور الفريقين من بعضهما ولم يبق
للامير صديقاً من اليزبكية سوى الشيخ شبلي عبد الملك المتولي على الجرد.
فهذا الشيخ كان من اهل الاستقامة مكثفياً بالمعيشة من حاصلات املاكه.
فالشايخ العادية لم يعد عندهم امنية على انفسهم من مناظرهم الشيخ بشير جنبلاط
لان يد الامير الحاكم كانت تعضده ضدهم. وهم اضعفوا حزبه بموافقتهم على
قتل المشايخ النكدية الذين كانوا ينضموا اليهم عندما ينظرون زيادة امتداد يد
الجنبلاطيين لا بل بمساعدتهم على قتل جرجس باز واخيه عبد الاحد واعماء
اولاد الامير يوسف الذين كانوا السند القوي للفيتة اليزبكية لم يبق لهم من بعضدهم.
فلهذا اضطر كبرائهم الى مهاجرة بلادهم. وتوجه الشيخ علي العباد كبيرهم مع
من ينحصر الى مصر يقيم بها الى ان تمكنه العودة لبلاده. (٣٧) فبعد خروج
العباد رقت البلاد وهدمت الحركات الى سنة ١٢٢٥ وردت الاخبار بتقدم
الجيوش الوهابية الى المزريب في حوران من بعد استيلائهم على بلاد الحجاز.
وكان والي الشام حينئذ الكنج يوسف باشا الكردي. فهذا كان من الفرسان
المشهورين وضابطاً على عسكر من الاكراد عند سالفه عبد الله باشا العظم الذي
تعطل طريق الحج بمدة ولايته بسبب استيلاء الوهابية على الاقطار الحجازية.
فانتمى الكنج يوسف من الدولة توليته على الشام وتعهده بنمشية الحج. فانتعشت
عليه بالوزارة وولاية ايالة الشام مع امرية الحج. وتوجه سالفه بقم بمدينة حماه.
واما يوسف باشا لم يقدر على القيام بتعهده حيث لا يقدر على اتصال عساكر
كافية لطرد الوهابي من الحجاز مع ذخايرها ومهاجمها اذ يلزمها تمشي في الرمال
الحارة اربعون يوماً لا يوجد في طريقهم مأكولات لهم ولا لدوابهم حتى ولا مياه
تكفي لشربهم وزاد على ذلك لا يوجد عنده من المال ما يكفي للقيام بمصرف
حسابه خيال بطريق كهذا ولا شيئاً عنده من المهات الحربية. فأين هي قدرته
الكلية الضعف حتى يمكنه بها مقاومة مقدرة الوهابيين الكثيرة العدد والعدد مع
بعده الشاسع عن مركز ولايته وانقطاع المدد عنه. ان تصديه لما لا يمكنه الاقتدار
عليه بحسب من اكبر الخبايا. فلما لم يقدر على نمشية الحج جعل يلهي الناس

بأعمال خفيفة يأمر بأجرائها في كل مدة بنوع جديد . فأمر أن كل مسلم يلزمه أن يلتحي ولا يبنى بينهم امرداً وأن الحلاق الذي يخلق ذفن مسلم تقطع يده . فكنت ترى كثيراً من شبان دمشق هاربين الى السواحل ولبنان ليتخلصوا من اطلاق شعر لحاهم لانه في عوايد الشرق لا يجوز حلقه من بعد اطلاقه مدة الحياة . لان هذا من اعظم العيوب عندهم . وإذا انسان تجاسر على حلاقة ذقته من بعد اطلاقها ولو اضطراراً بسبب مرض في وجهه فيلحقه العار مدة حياته ويمتد الى ذريته . فيلقبهم الناس ببيت حلاق ذقته . وهذه الجهالة كان نظيرها عند الاوروبيين بان الرجال يطلقون شعر رؤوسهم كالنساء ويحلقون اللحى والشاربين حتى ان العادة كانت عندهم بان شعر الرأس بمنزلة الاعين عند الشرقيين . فان الشرقيين من الملوك والامراء كانوا اذا اختشوا من واحد منهم ان يراهم على قبض زمام الحكومة يمتثلون في قتله او اطفاء ابصاره . وهكذا كان الاوروبيون يمتثلون في قتل من يغشون مزاحمتهم لم او يقصون شعر رأسه فلا يعود فيه لياقة ان يكون حاكماً . فواحد (٣٨) من ملوك فرنسا الغابرين توفي عن امرأته وله منها ولدان قاصرين . فاختطف اخوه الملك لنفسه وبقي مخفياً من ابناء اخيه حتى بلغا سن الرشاد ان يطلبها حتمها بالحكومة . فوضع يده عليها وخبر والدتهما بين قص شعورها او قتلها . فاختارت لها القتل . فقتلا . وبقي لشعر الرأس هذا الاعتبار الى ان نابوليون بوناپارته الاول ابطل هذه الخرافة وقص شعر رأسه فتابعه الناس . ثم عندما صار عند الشرقيين مألوفاً حلق لحى الشبان حتى العساكر فاستحسن الاوروبيين للشبان اطلاق اللحية عكساً للشرقيين . اذ لا يليق عند شيوخ الاوروبيين ان يطلقوا لحاهم وبالاخص القضاة والكنائسيين من شماس وقسيس ومطران حتى ذات البابا منهم يحلقون اللحية والشاربين لتكون وجوههم كوجوه النساء ويمتازون عن النساء بأن كل منهم يخلق شعر رأسه ولا يترك منه سوى مآلة مجوفة كالفصوص القطا يسمونها اكليلا .

ولنرجع لاعمال يوسف باشا فكان احياناً يحتم على الاسلام بان يكحلوا عيونهم بكحل اسود ويمدون للكحلة ذنباً طويلاً من الجهة الوحشية للعين . ثم أصدر امره بان نساء النصاري عند خروجهن من بيوتهن في الشوارع يتزرن بغطاء اسود اللون ورجلهن يتعممون بعمامة سوداء واليهود بالعمائم الخضراء . وكذلك في دخول النصاري واليهود من نساء ورجال الى الحمام يتزرون بالاسود والامر كمي يمتازون عن المسلمين . (ان العمامة السوداء كان يلبسها الخليفة من الدولة العباسية دون غيره علامة للخلافة عن حضرة نبيهم لانه حين فتوحه مكة ودخوله للكمبة

صعد المنبر وخطب بالاسلام وهو متعمماً بعمامة سوداء . فعندما القاطميون حضروا من المغرب واخذوا بلاد مصر من يد العباسيين حتموا على النصارى بان يتعمموا بالاسود تحقيراً للخلفاء العباسيين) .

ومن الحوادث التي جرت بمدة ولاية يوسف باشا المذكور انه كان بخدمة رجلاً مخصباً من طائفة الروم الكاثوليك يقال له عبود البحري . فهذا الرجل كان من العقلاء الخاضعين مهذباً على يد والده ميخائيل البحري الذي كان شهيراً بحسن الخط والانشاء ومعرفة اللغات التركية والعربية وينظم الاشعار الاربعة . وقد ابني مدة بخدمة الجزار لحسن خطه وذكااته فجازاه بقطع اثفه وتشويه صورته . وكان عبود فاق كثيراً على ابيه بمعرفة التركية والعربية مع بلاغة الانشاء . واما حسن الخط بجميع اشكاله تفرد به حيث لا يوجد له مثيل في بلاد العرب . وكانت وظيفته كاتب تحريرات الولاية . وكانت ادارة الخزينة واموال الولاية بيد بيت فارحي الاسرائيليين وهذه منها منافع جمة لا تقاس بها وظيفة اخرى . فعندما نظروا زيادة نفوذ عبود وشدة ميل يوسف باشا اليه اختشوا على وظيفتهم ان يأخذها من يدهم وهو اعرف منهم بطرق المحاسبات وحسن الخط العربي والتركي . فيوماً كان كبيرهم عند الباشا لمصلحة ما فسمع (٣٩) الباشا يثني على عبود وانه عديم المثل في خطه وانشائه ومعارفه الا انه نصراني فلو كان يصير مسلماً كنت ارفعه لرتبة عالية . فالاسرائيلي عندما سمع ذلك زاد اختشاه على ذهاب وظيفته ولكن قريحته الجيدة فتحت له حالا باب الخيلة فقال للباشا ان المعلم عبود هو من الرجال المحترمين ونظر سعادتك فيهم بمحله وغالباً انه يميل لمحبوب دولتك . فاذا اشهرهم له خاطركم فلا يخالف امركم لكونه على ما بلغني هو غير متعصب في دين النصرانية (حال كونه شديد التمسك به) وغايته ان عبود لا يترك دينه ويضطر لاحتفال غضب الباشا عليه ويمكن ان يقتله فيرتاحوا منه . فواحد من الحاضرين نقل الذي حصل لمسامع عبود فاخذ بتدبير امره ليتخلص من المصيبة . فثاني يوم اذ كان في شغل عند الباشا صدر امره بخروج الحاضرين وابتداء في الكلام مع عبود وترغيباته بالدخول بدين الاسلام . فكان جواب عبود اني لا اخالفك بشيء مما تأمرني به . فانشرح الوزير لذلك واراد ان يحضر له الكسوة الاسلامية ويستحضر القاضي والاعيان ليشهدوا على صحة اسلامه ويثبتوه . فقال له عبود انك تريد اسلامي لاجل راحتي ام لاجل تعبي . اجابه بل لاجل راحتك في الدنيا والآخرة . قال عبود فاي راحة تكون بمفارقة اعيالي واخوتي فأرجوك طولة البال ايام قليلة لئبنا اتدبر في اقناع عيالي واخوتي بان يسلموا معي هكذا يكون

احسن . فحصل السرور من ذلك عند الوالي وقال له يا عبود انك عاقل فدير ما تراه اوفق . وخرج عبود مظهراً علاميم الفرح . وثاني يوم بكر عن عادته بالحضور لعند الباشا وعلاميم السرور تلوح على وجهه . وكان يقضي مصالح وظيفته بكل رغبة ونشاط وبقي هكذا مظهراً رغبته بعض ايام حتى دير احوال بيته وفر لدير القمر لعند الشيخ جرجس باز ملتجياً الى الامير بشير ليخلصه من هذه المحنة التي اوقعها عليه بيت فارحي .

فيوسف باشا عندما تحقق عنده فرار عبود الى لبنان اغتم لذلك لانه كان يحبه جداً فحرر للامير بشير بطلبه فجأوبه مع معتمد خصوصي حاملاً كلام شفاهي يشرح الاسباب التي اوجبت عبود الى الفرار حال كونه صادق في خدمته ويعلم انتشار خاطر مخدومه لتخوه . فعندما وقف يوسف باشا على الاسباب اجاب انني استخدمه لصدافته لا لاجباره على ترك ديانته وحرر امراً الى عبود بالثأمين والتطمين الكافي ليرجع الى تعاطي وظيفته . فرجع حالاً ونال من مخدومه كل ما يسره . فهذا سبب النفور بين البحري وفارحي (٤٠) .

(ان سبب غنى يهود دمشق هو وجود بيت فارحي في باب الحكومة التي كانت تتصرف بأعمالها بتدبيرهم . فكانت بلاد الشام مع قراباتها وامواها الميرية ومصارف الحكومة جميعها بيدهم . وكانوا مع اقربائهم كما يقال بلسان العامة الولاة ماسكون قرون البقرة واوليك يأكلون حليبها . فالمصارف على تثبيت الوظيفة بيدهم كانت خسارتها عليهم وحدهم لا يشركهم بها احد من اقاربهم ومن ينتمي اليهم لانهم كانوا معهم بمثابة شريك المضاربة الذي يأكل من الربح ولا يلتزم بالخسارة .)

ولنرجع بالكلام الى يوسف باشا فعوضاً عما كان يؤمله من فتح بلاد الحجاز وطرد الوهاب عنها قد اتى عليه الوهابيون الى حوران ومنها كتبوا الى اعيان دمشق بدعوتهم الى التسليم وان يتركوا الشرك ويدخلوا في دين الاسلام (بزعمهم ان اهل السنة هم من المشركين) فيوسف باشا عرف انه لا يقدر على دفعهم فاستغاث بسلطان باشا والي صيدا لمعنته على طرد الوهابي عن البلاد الشامية . فأجاب لمطلوبه وحالا امر بتجهيز العساكر وانه ينهض بنفسه . (٤٤) وحرر بذلك للامير بشير ان يوافيه الى طبريا بعسكر من اهالي لبنان بقدر ما يمكنه . فالامير قابل الامر بالامتنان واصدر اوامره لجميع جهات لبنان بان كل امير وشيخ من

العمال باقي اليه مع جميع رجال بلاده حاملة السلاح من مسلم وشيبي ونصراني ودرزي بأسرع ما يمكن . فحضر الجميع مع الأمير الى طبريا . وحضر اليها سليمان باشا بعسكر وافر من ترك واكراد وارناوط ومغاربة وهوارة ومشى الوزير وصحبه الأمير واعيان بلاده قاصدين دمشق بعساكر لم يسبق لوزراء سوريا ان يجمعوا مثلها . وبوصولهم الى ارض القنيطرة البعيدة عن دمشق نحو ثلاثين ميلا ارسل اليهم يوسف باشا خيراً بان يرجعوا حيث لم يعد لحضورهم لزوماً لانه حضر افادة للوهابي بان محمد علي باشا والي مصر استولى على بلاد الحجاز وطردهم منها ولذلك تركوا حوران ورجعوا لبلادهم . اما سليمان باشا فبقي ماشياً بالعساكر وقاصداً مدينة دمشق وكان الباعث لذلك ان الدولة العلية عندما وجدت قصور يوسف باشا عن القيام بتعهداته وانه عوضاً عن طرده الوهابي من بلاد الحجاز قد وفد عليه لبلاد الشام قد اصدرت اوامرها بعزله وتنكيله وتفويض احكام ايالة الشام وامرية الحج لعهد سليمان باشا اضافة على اياتي صيدا وطرابلس وملحقاتها المتولي عليهما . وصار بيده جميع المعروف الآن بولاية سوريا . وبوصول سليمان باشا والأمير بشير بالعساكر الى ارض جديدة عرطوز غربي دمشق مسافة سبعة اميال قابلهم يوسف باشا بعساكره ليصدهم بالقوة الجبرية عن الدخول لدمشق . وبعد محاربة قليلة انكسرت عساكر يوسف باشا وهو هرب الى مصر بخواصه ومعه المعلم عبود البحري والتجى الى واليها محمد علي باشا الذي استحصل له رضى الدولة وان يقيم بمصر فأقام بها لنهاية عمره . اما سليمان باشا فدخل بالعساكر لدمشق بدون تشويش على احد منها . وجميع الاهالي فرحوا بولايته لما تكيدوه من اطوار يوسف باشا لا سيما ان طريق الحج المنقطع من عدة سنين قد انفتح بايامه . وكان استحضار من عكة بمعيته المعلم حاييم فارحي والمعلم حنا العوره كاتب العربي واولاده المتقدم ذكرهم فنزلوا في بيت المعلم روقايل اخي المعلم حاييم . وبعد ان استقرت الامور رجع الأمير بشير ورجاله الى الجبل وسامان باشا عندما حان وقت الحج توجه بطريقه مع الحجاج واصحب معه المهابات اللازمة والعساكر الضرورية لصيانتهم . وهكذا قضوا فروض الحج ورجع الجميع لاوطانهم بكل راحة . واما المعلم حاييم قد رتب مصالح الايالة وخدامها والاموال الاميرية على احسن وجه حتى انه منع اخذ رسم التحصيل من الاهالي (٤٥) على حقوقهم . قالوا انه في يوم نظروا واحداً من اولاد كاتب العربي يتناول نحو ثلاثة غروش بوجه الاكرامية من انسان حرر له امراً من الحكومة بتحصيل حق له فقال المعلم حاييم لايه ان هذا العمل لا يليق وهو دفاة فالاحسن تركه . فني عشية ذلك

اليوم اذ كان كاتب العربي جالساً بمحضر المعلم حايم ابي ولده بدرهم مصرورة. فقال له ابيه افتحها واخبرني عن عددها فعددها بلغت نيف عن مائتين وخمسين غرش . فنظر في المعلم حايم وقال له حضرتك نهيتني عن اخذ الثلاثة غروش فهذا هو محصول اليوم قصدت اريك اياه . ان المثل يقول نخذ من كل ذقن شعرة فشعرة فيصيروا ذقن . اجابه ان ذلك صحيح ولكنها نصير ذقن رذيلة لا يقبلها القوم الكرام .

(وفي هذه السنة اي سنة ١٢٢٥ هجرية صار رفع ايدي امراء راشيا عن التصرف بقرايا اقليم البلان وتبعث خزينة دمشق . وكانوا الامراء يدفعون مالا سنوياً معلوماً جملة واحدة عن بلاد راشيا واطليم البلان بدون فصل مقدار ما هو على كل منها . وكانت حكومة راشيا مقسومة بين الامير افندي الشهابي وبين ابن عمه الامير منصور الذي الامير افندي قتل اخيه الامير بشير غدرأ . فلذلك كانا اعداء لبعضهما وكل منهما له قرايا ورجال يسكن بينهم غير ان الامير افندي اطول باعاً لكون ميله جنبلاطي كميل الامير بشير حاكم لبنان الذي تنقاد اليه جميع عشائر سوريا . واما الامير منصور ميله يزبكي الذي استحوذ عليه الضعف ورأسه ابن عماد نازحاً لمصر . فوجود العداوة بين اميري راشيا جعلت كل منهما يخشي الآخر ويحتاج لكثرة الاعوان . وهذا يستدعي لكثرة المصاريف التي تجوز الامراء ان يجوروا على الرعايا بأخذ الاموال . فكانوا يزيدون الثقل على اهالي اقليم البلان بأكثر من ثقلتهم على رعايا وطنهم بلاد راشيا . فولاة الشام كانوا ضعفاً عن انصاف الرعية من الامراء المستدين الى مساعدة كبيرهم حاكم لبنان . فعندما صارت ولاية الشام تحت احكام سليمان باشا والي صيدا الذي يحكم على امير لبنان اغتتم الفرصة اهالي اقليم البلان وقدموا تشكيهم لديه . فصدر امره الى المعلم حايم ان ينظر في تشكيهم ويعمل راحتهم . فطلب منهم دفترأ في بيان ما يكلفهم الامراء لدفعه . فقدموه وبالقوا فيه . ثم اوضح الامراء تشكي الاهالي من زيادة المطالب عليهم فأنكروا وانهم لا يكلفونهم لدفع شيء خارجاً عن المرتبات القديمة . فطلب منهم دفترأ مفصلاً مبين فيه مفردات ما يأخذونه منهم . فكتبوا الدفتر ولكنهم نقصوا كميته ولم يكتبوا فيه اكثر من ربع الذي يأخذونه لكي يتفوا شكوى الرعايا . ولم يفتكروا فيما هبأه لهم المعلم حايم لانه بعد ايام ارجع لهم الجواب ان افندينا يرغب راحتكم وراحة الرعايا ولذلك أصدر امره ان الذي تأخذونه من (٤٦) اقليم البلان بموجب الدفتر الذي قدمته

يخصم لكم تماماً من الاموال المرتبة عليكم بدون ان يخصم عليكم شيئاً بمقابل ما تصرفونه على التخدام لتحصيل الاموال وحفاظة البلاد وذلك بوجه الانعام لاجل تحسين احوالكم ورفعوا يديكم عن الاقليم فتكون لكم الراحة بقطع بلايل اهلاليه كما نرتاح الحكومة من تشكياتهم فاشكروا هذه النعمة واستدعوا الدعاء بدوام ولائته عليكم . فالامراء لم يعد في وسعهم انكار صحة دفتهم لما يترتب عليهم من الخيانة بكذبهم على الوزير فالتزموا بأظهار المسنوية واخفاء غمهم . ثم استحضر المعلم حاييم وجوه قوايا اقليم البلان وقال لهم ان افندينا فاضت مكارمه بالشفقة عليكم وصدر امره الكريم برفع ايدي امراء راشيا عنكم وان ادارتكم تكون تبعاً لخزينة الشام بنسبة قوايا المرج والغوطة لاجل راحتكم من اثقال الامراء واتعابهم . وزادت مرحته لكم بان يرتفع عنكم خمس الذي كنتم تدفعونه الى الامراء بموجب الدفتر المتقدم منكم وان يترتب عليكم اربعة اخماسه فقط . فادعوا لحضرته بطول العمر . فالمذكورون ايضاً لم يسعهم الاقرار بانهم كتبوا زيادة بدفتهم نحو نصف ما يتكلفونه للامراء بل اسدلوا الشكر والدعاء . فهكذا^(١) هي اراء الغير صادقين في كلامهم اذا ارادوا التخلص من مصيبة بطرحون انفسهم في اعظم منها

ومما حدث بعد ذلك ان الدروز المتوطنين في الجبل الاعلى من بلاد حلب حصل عليهم الجور الزايد في تلك البلاد حتى لم يعود لهم امنية على انفسهم . ومع كونهم اشداء لم يروا في امكانهم حماية انفسهم لقله عديدهم وكثرة مقاومهم . فالتجوا الى الامير بشير بواسطة الشيخ بشير جنبلاط . فارسل استحضرهم لدير القمر بنسايهم واولادهم ووزعهم في البلاد . وشبانهم اللابقين للخدمة صار استخدامهم فيما يليقوا له عند امراء ومشايخ لبنان . وبالاخص الشيخ بشير جنبلاط قد استخدم منهم الكثيرين لانه كان يعتني بتكثير خدامه الفرسان والمشاة الشجعان واما الحلبيين قد زادت رغبته فيهم عندما تحقق لياقتهم وشجاعتهم الا انه وجد منهم من يحفظ المعروف نحو المحسن الى جنسهم ولتذكر شيئاً من ذلك .

ان للشيخ بشير حجرة صغيرة في براني سرايته بالختاره كايه في آخر ممشا يعلوه دار الحرم . فكان فيه مجلسه بفصل الشتاء هرباً من البرد . ففي ذات يوم حضر عنده شاباً درزياً حليياً صبح عليه وقبل يده كعادة الجبل ووقف قابلاً ان لي شغل يلزمني اعراضه سراً . فهض الحاضرون وخرجوا خلا خورباً علمانياً يقال له الخوري اسطفان من طايفة الروم الكاثوليك كان طيبياً حاذقاً عند الامير بشير وقاطن بعيثته دير القمر فبقي جالساً . فقال الحلبي ارجوا من حضرة الخوري ان

(١) هكذا في م وفي ج ب هذه .

يتكرم بالخروج . قال الخوري ان جناب الشيخ لا يكتم عني شيئاً ومع هذا احبب لمغوبك . وخرج مشغول الفكر من هذا الرجل . ولذلك بقي على الباب المسدولة عليه البردابة لمنع البرد . فسمع شيئاً داخل الحجرة . فكشف البردابة وجد هذا الحلبي (٤٧) راكباً على صدر الشيخ يخنقه بيديه . فهذا الخوري كان متقدماً بالعمر الا انه قوياً جداً . فأسرع قابضاً على خصيتي الحلبي بيده الواحدة بكل عزمه وعلى يديه بيده الاخرى . فأنحل عزمه وأغمي عليه . وصرخ على الخدام فتراكضوا فامرهم بوثاقه جيداً فأوثقوه ثم التفت لتدبير الشيخ لانه كان مغشياً عليه . فبعد المعالجة انتبه . فلامه الخوري على خلوته باتسان يحمله وهو ايضاً كالفيل حال كون الشيخ وان كان كبير العقل الا انه صغير القامة نحيف الجسم كثير الاعداء . فبعد ان حصلت الراحة للشيخ التي هذا الغادر^(١) تحت العذاب ليقر عن سبب صنيعة القبيح . فبعد ان اذاقوه العذابات الشديدة مراراً اعترف بكونه مرسلًا من مصر لاعتبائه من طرف الشيخ علي عماد ولم يجد واسطة لاتمام مرغوبه اسهل مما عمله ولولا وجود هذا الخوري^(٢) كان تم قصده بخسة دقائق وخرج سالماً ويعلق الباب ويقول للاتباع ان الشيخ لا يريد ان تسمحوا لاحد بالدخول عليه حتى ياذن لكم كونه مشغولاً بمطالعة الكتابات التي أحضرتها (له) وبذلك تكون لي الفرصة بالخلاص . فبعد وقوف الشيخ على هذه الحقيقة اعرض للامير عن المتوقع فتجاوب بهنيئاً بسلامته من المكيدة وارخص له بقتل الغادر لان اجراء القتل قصاصاً لا يكون في لبنان الا بامر الامير .

ان من عادة الامير بشير في مسامراته لا يسامر احد الا بما يعرفه فيسامر التاجر بامور التجارة والفلاح بالفلاحة والعالم بعلمه الخ . وكذا اذا ارسل احداً من اتباعه بامورية ما ولو كانت طفيفة فلا بد عند رجوعه ان يساله عن كل ما حدث له او شاهده او سمعه مما يكون له ولو بعض اهمية مع تحري الصدق لان الكذب عليه والخيانة بخدمته لم يكن لها عنده مغفرة . فصودف ارسال اثنين من البازدارية عنده لبلاد حلب لشترى طيور للصيد لانه كان شديد الرغبة فيه . فعند رجوعهما استقص منها ما جرى لها ذهاباً واياباً . فأخبراه عن مرورهما في بلدة ربحا من بلاد حلب . فترلا في خان كمادة المسافرين فسألها الخاناني من اين انما والى اين تذهبون وما هو مقصودكم . فقالا له ماذا يخصك من ذلك نحن عابري طريق نيات عندك هذه الليلة وفي الصباح نتوجه في طريقنا . اجابهم

(١) مكذا في ص وفي ج ب الغالب .

(٢) ساقطة من ج ب .

كلامكم مناسب لا يخصني من ذلك شيئاً ولكن علينا الحتم من حاكمنا سعيد
آغا بان تخبره عن كل من يتزل عندنا من اين هو واين مقصده فيصدف انه
يطلب البعض لمواجهته . ولذلك انني مضطر لهذا الاستعلام منكم . فأخبراه انهما
من اليازدارية في خدمة الامير بشير حاكم جبل لبنان وقادموه بأمره لمشترا طيور
باز للصيد من ارض العمق بموجب تذكرة بيدنا تحت خدمه لعدم معارضتنا .
فتركهم وتوجه فلم يلبث حتى اتاهما الطلب من سعيد آغا فتوجهها لمقابلته . فأمر
فما بالجلوس والقهوة ثم قلما له تذكرة الطريق تحت ختم الامير المعلنة بالمصلحة المرسلين
اليها . فقرأ التذكرة ثم قبلها ووضعها على رأسه وارجعها اليها قايلاً ان سعادة الامير
هو كبير جميع عشائر سوريا وروس العشائر بحسبون انفسهم كأولاده ومحلائهم
(٤٨) هي محلاته فكيف لاق لديكم النزول في خان المسافرين مع وجود بيت
لسعادة الامير في بلدنا . يلزم ان تكونوا عندي وبعد ثلاثة ايام تتوجهوا لقضاء
مصلحتكم مصحوبين بفارسين من جماعتي لانكم تجهلون الارض . وهكذا اقاموا
عنده ثلاثة ايام ثم اصحبهم بخياليين من احسن رجاله واوصاهم بان لا يسمحوا
لاتباع الامير ان يصرفا شيئاً لانفسهم ودوابهم بل يقدموا لهم جميع لوازمهم من ماله
ذهاباً واياباً . ثم عندما رجعوا لعنده ألبس كل منها عباءة لائقة واعطاهما خسياء
غرش نظير ما يصرفانه حتى يبلغا لبنان . فعندما وقف الامير على تقريرهما انشرح
لذلك وقال ربنا بقدرنا ان نكافيه على جميل عمله مع اتباعنا بدون معرفة سابقة بيننا .
فلم يمضي مدة طويلة حضر جويان اوغلو وزيراً على حلب وعصت عليه
ومنعته عن الدخول . فحاربها ودخلها عنوة وقتل بها فتكاً ذريعاً . وحضر
فرمانات من الدولة بأسماء كثيرين من كهراء اياؤها ان تقطع رؤوسهم وترسل
لجانب السلطنة . وكان من جملة سعيد آغا المذكور آنفاً . فعندما بلغ الخبر
لسعادة الامير فغضب الاستيذان من سليمان باشا ارسل اليه ان يأتي لعنده بكل من
يريده . فحضر لدير القمر وصحبته نحو ثلثمائة نفر بخيولهم وبغالهم . ومنهم اثنين
مطلوبة رؤوسهم للدولة اسم احدهما اوزون علي واسم الآخر طويل علي اي
علي الطويل وعلي الاخرج كمعادة الترك ينعنون الانسان بعبوبه الطبيعية . وكان
كاتبه من جملة المتفرجين عند وصولهم . فسعيد آغا كانت صورته كلب المشابهة
لصورة الامير بشير الذي استقبلهم بكل ترحاب وبشاشة وانظم في قرية كفرنبرخ
بعيداً عن سرايته المسماة بيت الدين بمسافة ميلين . فرتب لهم كل ما يلزمهم لما كولاتهم
وعليق دوابهم . وبعد اقامتهم نيف عن ثلاثة اشهر حضر فرمان من طرف
السلطنة لسليمان باشا بحجة مأمور كبير من رجالها به يطلبون منه ارسال الثلاثة

آغاوات المذكورين وانه تقرر للباب العالي قرارهم الى لبنان . فسلمان باشا ارسل نفس الأمور لعند الأمير بشير وكان معه من الاتباع نحو اربعين رجلاً مختلفي الاشكال في ملابسهم . فقابله الأمير بالكرام والرجاء بينهما نفس سعيد آغا المطلوب كون الأمير لا يعرف اللغة التركية كما ان الأمور لا يعرف سعيد آغا . ثم انزله في سراي دير القمر . وقرر الأمير للأمور المذكور ان الطريق من جهة السواحل لجهة دمشق وبغداد مفتوح لكافة المارين في لبنان . ولا نعرف كل من يمر فيه . هذا وان لبنان يقبل كل من اتي اليه . فاذا كان الاشخاص المطلوبين استقروا في احد جهاته تفحص عنهم وتلقي القبض عليهم ويتسلموا ليديك حسب الامر . وبهذا اليوم ارسل الاوامر لجميع العمال في جهات الجبل ليجتمعوا في دير القمر ويصير الفحص منهم عن الاشخاص المطلوبين عسى نجدهم . فالأمير ارسل اوامره لجميع امراء ومشايخ لبنان ان يجمعوا لدير القمر بكافة رجال بلادهم تحت السلاح . فاجتمع رجال ضاقت بهم دير القمر وما حوطا . فالأمور قال لماذا هذا الجمع الغفير . فقيل له هؤلاء هم خدمة الامراء والمشايخ (٤٩) فقط الذين استدعاهم الأمير فلا يأتوا بدون اتباعهم ايما توجهوا . حينئذ طلب من الأمير انه يكفي السؤال من الخواص . فجمع الأمير نحو خمسين رجلاً منهم وتليت عليهم اوامر الوزير ومضمون الامر السلطاني فأجابوا بكلام واحد انه منذ ثلاثة اشهر سمعنا انه مر في طريق الشام ضمن الجبل جانب خيل وبغال وتوجهوا في طريقهم . وقيل انهم من بلاد حلب . ومن المعلوم ان سعادة الأمير لا يسمح بمعارضة احد من ابناء السبيل . وعلى هذه الصورة سافر مأمور الدولة واقتضت الجمعية التي يسمونها بالجيل جمعية الخلاوة لانها كانت والنصارى صامون يعطى لهم الفطور خبز وخلاوة طحينه مقادير جسيمة من طرف الأمير . واما سعيد آغا ومن معه بعد ايام طلبوا التوجه الى بلاد مصر فتوجهوا عن غير طريق الساحل . وارسل الأمير معهم معتمدين احسباً من تعرض احد لهم في الطريق فأوصلهم الى العريش حدود بلاد مصر .

ومما حدث بعد ذلك ان شاباً مرزياً من الغرب القوقازي اسمه سليمان الحكيم له من العمر ما لا يبلغ العشرين سنة نزل لدار حريم الشيخ بشير جنلاط ليلاً ليخبر به فما ظفر بمغربه حال كون الدار المرقومة كلية الحصانة لا يمكن التسور على جنرائها . وقد وقع هذا الشاب باليد واحضره لسجن الأمير بدير القمر لاجراء قصاصه . ففي احد الايام اذ كنت خارجاً من عند والدي بالسرايا فوجدت هذا الشاب احضره لدار السرايا والسلسلة الحديدية الغليظة في عنقه لكي

يجلدونه امام الناس وهو لم يكن الشعر كاسياً لحينه وشاربيه . وكان نحيف الجسم جداً . فطرحوه ووضعوا ارجله بما يسمونه فلقاً وانتصب اثنان من القساة لضربه بعصي متينة من خشب السنديان وابتدوا يضربونه بكل قساوة . فحزنت عليه جداً . واما هو فكان يحتمل الضرب المؤلم بكل تجلد ولا ينطق بكلمة حتى انه علق يديه بالقلق ورفع ظهره عن الارض فضربوه نحو ثلاثين عصاً على يديه حتى رفعها عن القلق وهو لا ينطق بكلمة . وعندما صار مضروباً نحو مائة وخسين عصاً اغمي عليه فتوقفوا عن ضربه ورشوا الماء على وجهه وارجله باقية بالقلق وعندما اتته رجعوا الى ضربه وهو صامت الى ان سال الدم على القلق من ارجله . حينئذ رفعوا عنه الضرب فحملوه لداخل السجن لانه ما بقي له مقدرة على الوقوف وجميع الناظرين اليه حزوا لاجله كثيراً وكنت اشد هم حزناً . فبعد ايام اذ ادخلوا له الطعام فما وجدوه فقط وجدوا القيود مكانها حال كون المحبس كلي الحصانة . فهو حجرة حصينة البناء بابها ضمن قيو فيه باب السرايا الخارج وباب مقابله للدخول اليها وعلى دابر القيو مصاطب للمحافظين يجلسون وينامون عليها تهاوراً وليلاً عندما يفتلون عليهم الابواب . ثم المحبس يضعون فيه ذوي الجنائيات الخفيفة وله طاقة مظلة على ميدان متسع حوله الاسواق وهذه الطاقة محصنة بتشبيك حديد متين ويعلوها نافذة للضوء تعلو عن الارض نحو خمسة اذرع وعرضها وارتفاعها كل منهما نحو ثلثي (٥٠) الذراع لا يمكن الوصول اليها بدون سلم وعلى فوحتها مثبت بلاطة متينة محزمة ينفذ الضوء منها . وفي احد زوايا هذا السجن مبني حجرة صغيرة مسقوفة على ارتفاع اربعة اذرع وليس لها منفذ غير بابها الذي يفتح لداخل السجن . فأصحاب الجنائيات الثقيلة يحبسونهم في هذه الحجرة والتقيد الحديدي الثقيل في اعناقهم وطرفه مخرج من ثقب في حائط الحجرة موثق في خارجها . ثم يقفلون عليهم الباب ولا يفتح عليهم الا وقت ادخال الطعام او اخراجهم لقضي الضروري او للتعذيب . وصودق ان السجن في ذلك اليوم لم يكن محبوساً فيه غير هذا القتي فما وجدوا اثر المهربه غير البلاطة المخزومة التي في فوطة نافذة الضوء فهي مكسورة من وسطها باستدارة قطرها نحو شبر وبجانبيها سكة حديد كالتي يغرزونها في الارض ليربطوا فيها رسن الدابة . فضرروا الواقعة لمسامع الامير فأرسل اناساً ذوي نباهة لرؤية البلاطة المثقوبة وكيف تمكن المحبوس من الفرار . وبعد الفحص قرروا ان طوق القيد الذي كان في رقبته المحبوس هو مقطوع بالمبرد وهذا ممكن . واما الخروج من ثقب البلاطة فيضيق عن خروج الانسان منه . ومع التسليم بإمكان وسعه جسم الحارب نظراً لدقته

فلا يمكنه ذلك لان حوافي الثقب لم تكن مستوية بل على استدارتها زاوية جارحة
كون البلاطة مخزومة . ثم اذا المارب اخرج رجلاه اولاً فيعلق من تحت ابطيه .
واذا اخرج رأسه اولاً فمع علو المكان يسقط على رأسه ويقتل . فحينئذ ترجحت
الشبهة على محافظي السجن اولاد زين الدين بان هروبة المحبوس كانت بمعرفتهم .
وحيث ما وجد بينة كافية لثبوت ذنبهم فاكتفى الامير بقصاص عايلتهم ان تكون
مطرودة من خدمته مؤيداً حسب قاعدته بان الخاين ولو مرة لا تقبل توبته . والامير اذا
مات او اذركه العجز فوظيفته لابنه بمعاشها . والعاجز يبق له معاشه مدة حياته عدا
عما يعطى لابنه بالوظيفة . ولهذا ما كان يوجد في خدمته غير امين رحمه الله .

فبعد مضي ايام فاحد الخادومات في بيت الامير توجهت بالسهرة الى حجرة
منامة ولده الامير امين لتصلح فراشه فرجعت صارخة بانها وجدت بها شاباً غريباً .
فسكرته فصر بها على يدها فخلع اصبغها وانفلت منها . فاخبروا حارس باب
الحريم . واحتاطت الرجال بدار الحريم وقتلوا على الغريم فما وجدوا له اثر . هذا
وان دار الحريم كلية الحصانة لا يمكن التسلل على جدرانها ولا الدخول اليها من
غير بابها المحفوظ باناس ثقة . فقالوا ان الخادمة كاذبة وان خلع اصبغها كان
من سبب آخر كوقعة استلقت الارض بيدها . ولكنه غيب التدقيق تحققوا فقد
زوج الغدارات الذين يقولوا دائماً بجانب فراش الامير امين . فحينئذ لم يعد شكاً
بصدق الخادمة . ولكن وقعت الحيرة في كيفية دخول هذا الرجل الى دار الحريم
ومخروجه منها مع شدة حصانها وعلو جدرانها والمحافظة هم ليلاً ونهاراً على بابها
الذي يبقى مقفولاً ولا يفتح الا وقت الاحتياج اليه . وبعد ذلك باشهر اذ كان
المكارون على دوابهم قادمون من دمشق الى دير القمر وصحبهم بضايغ وركاب
(٥١) نزلوا على نبع نهر الباروك حيث هناك خاناً يباع فيه ما يحتاجه المسافرين
ومكاناً لا يواء دوابهم فصدوف ان واحداً من خدام الامير من اهالي قرية الباروك
حضر لبشترى شيئاً من الخان فبحروره على منزل المكارية نظر الى شاب من
الركاب القادمون صحبتهم في زي اولاد نصارى دمشق ولكنه لم يكن حاملاً في
حركاته ولا ظاهر عليه التعب كاولاد المدن ذوي الرفاهية بل كان يمشي ويقمر
بكل رشافة كالغزال خلافاً لباقي الركاب فهم مطروحون كالموتى . فارتاب منه .
فاشترى لزومه من الخان ورجع الى القرية واخبر اصحابه عن ارتيابه بهذا الشاب
وعدد لهم اوصافه . فواحد منهم قال هذه صفة سليمان الحكيم المارب من سخن
افندينا الامير وانا اعرفه جيداً هلم اليه . فاذا وجدنا انه هو سليمان فنمسكه ونقدمه
لسعادة الامير فيكون لنا صدق الخدامة عنده . فتوجهوا نحو عشرة رجال وعندما

قربوا الى الخان تحقّقوا انه هو سليمان الحكيم بذاته . فتقدموا نحوه فابتعد عنهم .
فنادوه ان يقف ليسألوه سوّالا اجابهم اني استع كلامكم من دون تقريركم .
فسالوه من اين انت وما جنسك . اجابهم انني نصراني من دمشق . قالوا له
اصدقنا لان لفظك يدل انك ابن البلاد وانك فلان . حينئذ فر من امامهم
فتراكضوا خلفه فلما امكنهم لحوقه . فاجتمع عليه رجال ثلاثة قرابا الباروك
والفريدبس والبشلون واحاطوا به من كل جهة وهو ينفر منهم كالغزال ويروغ
عنهم كالعلب . وبعد ان اعياء التعب امكنهم القبض عليه وشدّدوا وثاقه فوجدوا
معه فرداً من زوج الغدازات المفقودات من محل منامة الأمير امين الذي تقدم
الكلام عنهما . فاحضروه لعند الأمير فامر بتقييده في حبس " بتدين ضمن سرابته
والاحتفاظ عليه جيداً وتقريره عن مقصوده وعما فعله بكل تدقيق . وارسل كاتباً
لتحرير استنطاقه . فستلّ اولاً عن مقصوده واعلم برغبتهم معرفة الحقائق بدون
تعذيبه بالضرب وغيره وان النجاة بالصدق واذا تعهد بالثوبة فحلم الأمير يشمله
ليس بالعنف فقط بل غالباً يجعله من جملة خدامه لانه يحب الشجعان الشيطيين .
فكان جوابه ان غرضي هو يزبكي متمكن في جميع اعضاي فلا أحيد عنه ما
دمت حياً واني بخدمة مولاي الشيخ علي العباد وتغربت معه الى بلاد مصر . واما
رجوعي منها هو لاجل قتل الشيخ بشير جنبلاط وقتل الأمير بشير بأي طريقة
امكنتني حسب امر سيدي . وحصانة دار حريم الشيخ بشير منعني من الدخول
اليها ليلاً . فاحتلت ودخلت مع الماء الداخل اليها من قناة ضيقة كادت اخنق
بها حتى توصلت الى الداخل ولم اظفر بمطلوبي فهربت من الباب والنقادير
اوقعتني باليد ووضعوني في حين دبر القصر الداخلي مفيداً بالحديد . فستلّ عن
كيفية خلاصه وماذا عمل مع اولاد زين الدين حتى سمحوا في مهربه . فتنهد
وقال هؤلاء الملاعين هل يوجد ادنى رحمة في قلوبهم نحو احد من البشر حتى
يرحموني سباً انني يزبكي وهم جنبلاطية وجنايتي كانت ضد من ينتمون اليه
خصوصاً اثنين منها ابو غوش وثانيه صعب ما اصعبه . فكانوا يضربوني بكل
قساوة (٥٢) ويكزون على استائهم كانوا يأخذون ثاراً من قاتل ابيهم لعنة الله
عليهم . فكان الكاتب يكتب كلما ينطق به . ثم قال ان الخلاص ممياً لي بالصدفة
اذ كنت يوماً امهد ارض السجن بكفي لاجل اصلاحها مكان جلوسي ونومي
حيث لا فراش تحتي ولا ضوء النهار يصلني وكنت كالمحبوس في صندوق لا ارى
الضوء سوى عند فتح الباب لمّا ولّي الطعام الذي لا اقدر ان اتشكى منه لانهم

يقدمون طعاماً الى المحبوسين مما يقدم على موايد الامراء فعُذرت يدي على مبرد
يظن ان احد المحبوسين قبلي استحضره ليتدبر في قطع قيده وتركه في السجن .
فأخذت اولاً في قطع الطوق الذي في رقبتي . ثم احتلت لفتح الباب ليلاً وخرجت الى
الحبس البراني ولم يكن فيه احد سوى اشياء تخص بيت زين الدين منها سبيبة
عملوها بدير القمر لكي يرسلونها لبيتهم حيث تلزمهم لاجل اشياء كثيرة كالسالم .
ووجدت عدة فرس وسكة حديد فصعدت الى نافذة الضو على السبيبة . ثم
خرقت البلاطة المظومة بالسكة وسع راسي فخرجته مع يداي حتى صار نصفي
بالخارج . فاستعنت بكيس كفوتي على وجه الحائط بشدة فتصلصت من الثقب
وزلت الى الارض واقفاً وهربت الى دمشق . وبعد ايام عزمتم ان لا ارجع اصر
بدون قضي غرضي فحضرت الى بتدين لكي احتال بقتل الامير فوجدته دائماً
مخاطباً بالرجال لا يتمكن منه سوى عند انفراده للنوم . فوجدت التي قادر على
التسلق من جهة الاسطبل حيث عمار الحائط بحجارة مقصوبة يمكنني تعلّق
اظافر يدي ورجلي بها واصعد عليها . (وبالكاد ان الهز يمكنه ذلك) . ثم افكرت
بزولي ورأيت اني اقدر افتر عن احد الاسطحة الى ارض الجنبنة الشمالية وكان
معي خنجراً ماضياً . فتسلقت على الحائط عند تحميم الظلام . وغب صغودي
نظرت الى حجرة مضوية فتقربت اليها واصغبت . فلم اسمع فيها حركة . فدخلتها
ووجدت فيها فراشاً معتبراً وبجانبه غدارتان فما بقي عندي شكاً انه المكان الذي
ينام فيه الامير وانه واضع الغدارتان لضرب من يأتي عليه ليغدر به . فأخذتهما
ورفعت بجانب الباب لكي عندما يعبر الامير اضربه بالخنجر في ظهره واتمم عملي .
فضلماً ارتب موقفي دخلت امرأة ونظرتني ولا يلبق بالرجال قتلها . فازادت تتعلّق
بي فلطمتها وخرجت فصرخت بأعلى صوتها فتراكض من بالدار وقام الصياح .
فاحتسبت من اجتماع الرجال فيصطادوني ولو مها قتلت منهم . فتوجهت على
السطح لجهة الجنبنة وقفزت اليها فنزلت سالماً وخرجت منها . واشتد تراكض
الرجال بالكفتيش بكل المخلات حول السرايا . فتقدت ولم افتر عن المشي حتى
وصلت لعند الشيخ فلان البزكي بالعرفوب . فبعته احدي الغدارتين بدون اخباره
بشيء مما حصل . وابتعت لي اثنائية التي اخذتموها مني . وبالليلة الثانية توجهت
لدمشق وكهرت الرجوع لمصر بدون قضي غرضي . فقضيت هذه المدة حتى
تناسى القضية وينقطع الامل من وجودي . والآن حضرت متذكراً املاً بحصولي
على فرصة تمكنني من نوال منصودي . فوقعت باليد ووصلت الى هنا . واما

(١) هكذا في مر وفي ج ب متذكراً .

وعندكم لي ان سعادة الامير ربما يستخدمني عدا عن العفو عني اذا قررت الصدق وتمهدت بالتوبة فهذا تقرير ي بكل صدق . ولكن التعهد بالتوبة والرجوع عن غرضي اليزبكي فهذا غير ممكن واي وقت امتاكت الفرصة لا تؤمن غايلتي . فاعرضوا تقريره على الامير وقال انني كنت ارجب العفو (٥٣) عنه واستخدمه لان شجاعته عديمة المثال ولكن هو حذونا^(١) من غلبه وصار من الضروري اعدامه فاشفقوه عاجلا . فاشفقوه وتأسف عليه كثير ون .

ومما يحكى عن افراد شجعان الجبل ان الجزار كان استوثق على ثلاثة شبان من اولاد مشايخ ابي نكد فوضعهم مقيدين بالحديد في حجرة داخل قلعة صيدا المحاطة بمياه البحر والوصول اليها من المدينة على فناطر^(٢) مبنية قواعد اعمدها ضمن المياه . ولم يمكن ابايهم ارضاء الجزار بأطلاقهم . فواحد اسمه حنا بيدو من قرابا ساحل صيدا من طائفة الروم الكاثوليك تعهد بانه يختال في استخلاصهم . فاقتنى حمرا يحمل عليه حطبا جيدا يبيعه في صيدا عند باب الجسر الموصل الى القلعة . فصار محافظوا القلعة يمنعون غيرهم من مشتراه لجودته ويشرونه لانفسهم حتى الزموا اخيرا ان يدخل بحمله لذات القلعة . فداوم الخبي وصار احبانا يأتي في آخر النهار ويبست في القلعة . وعمل حصبة مع المحافظون وكان بدور في القلعة يتفرج على امكنتها . ونظر المشايخ المقيدين فسأل المحافظين عنهم تجاهلا من هؤلاء فأخبروه انهم من دروز الجبل . قال لماذا افندينا لا يقتلهم ويرج الناس من شرهم . قالوا لا بد له غاية من ابقائهم . ثم يحضر للمحافظين بعض هدايا فلوحية قررة اكم عصفور مصادين بالدبق ومرة زعرورا ومرة لفة خبز رقيق وهذا تنوق نفس اهالي المدن لا كله لعدم استعماله في مخازهم وهم يسرون بهذه الهدايا ويكرمونه بعطاياهم . وصار معهم كواحد منهم الى انه صار يجتمع بالصبوسين واخبرهم بانه رسول ابايهم لاستخلاصهم . اجابوه كيف يكون ذلك مع وجودنا مقيدين وضمن قلعة محاطة بالبحر من جميع جهاتها وبابها مقفول والخروج منه يكون داخل المدينة المسورة وعلى بابها مقيم المحافظ بجوق من العسكر تحت السلاح . قال لهم هذا جميعه مطلوب مني فقط يلزمكم قطع القيود وحديد الشباك المثل على البحر وخذوا هذا المبرد استعينوا به على شغلكم مني اخبرنكم ان تعملوه . وليس بهذا اليوم . فتوجه لقرينه وصنع خبزا رقيقا بغاية الاتقان والخبث بطحين الزوان في عجينة واحضره هدية لاصحابه المحافظين . وصل به اليهم نحو ان يتعشوا

(١) وفي ج ب عذونا .

(٢) ساقطة من ج ب .

وفرقه عليهم وامر المشايخ بقطع فيودهم مع حديد الشباك المقل على البحر بكل سرعة . واما الحراس فغيب ان تعشوا اظهر الزوان مقعوله فيهم وصاروا كالاموات . فعندما دخل الظلام ابتدا حنا بيدر يربط المشايخ في حبل اعده لذلك واحدا فواحد ويدليهم من الشباك الى صخر مقامة عليه جدران القلعة . وعندما انزلهم ربط الحبل بالشباك ونزل عليه لعندهم . ثم ابتدا ينقلهم على ظهورهم واحدا فواحدا سياحة بالبحر حتى اوصلهم الى الشاطئ خارج المدينة ومشي فيهم الى جسر الاولى حدود لبنان حيث كانت الخيول المهيأة لركوبهم مع الرجال المرسله لرفقتهم من عند اهلهم تنتظرهم . فركبوا مع مخلصهم ودخلوا دير القصر واقبعت الاقراخ وكان حنا بيدر يشار اليه بالاصابع وحصل على مزيد الاعتبار والعطايا من جانب المشايخ النكدية فتوطن بعياله في دير القصر وظهر منه بعد ذلك اعمال كلبية ظهرت فيها شجاعته وزادت شهرته . (٥٤)

واما الجزار عندما بلغه كيفية استخلاص المشايخ المذكورين من ضمن سجن قلعتهم مع شدة الاحتفاظ عليهم اغناظ جدا ووعد بمزيد الانعام الى من يأتيه بخنا بيدر الذي اقتدر على الاحتيال بخلاصهم . وشاع ذلك ولم يتجاسر احد على الوصول هذا المطلوب الى ان رجلا شجاعاً درزياً من بيت عبد الصمد بقرية عماطور من الشوف حصلت له الفرصة بقتل حنا بيدر فأخذ رأسه الى الجزار املا بحسن الجائزة . فقبل له ان مطلوبه احضار هذا الشجاع حياً لا مقتولا فخاب آمله .

وما حدث بايام الجزار والامير يوسف انه كان في صيدا حاكماً من غلظة الاتراك مؤذياً لعموم الناس سفيهاً شاماً قاسياً وبالاخص نحو اهالي لبنان عندما يقتضي لهم اشغالا في صيدا مفوضاً عن مساعدتهم كان يعطل حقوقهم ويمنعهم سواء كانوا من الاسلام او من النصراني او من الدرزي . وكان معظم قباحاته تنصل بالمشايخ الجنبلاطية لان جوار صيدا من لبنان جميعه يخصهم . فضاق صدرهم عن احتمال قباحه فتقدم اثنان من اتباعهم اهالي بعلبران احدهما نصرانياً مارونياً والآخر درزياً وتعهدا بقتله . وارخص لها فتقلدا سلاحهما وقصدا مدينة صيدا وتبعها رجلا مصرياً يسوس الخيل للمشايخ وسلاحه نبوتاً من خشب الشوم ارادا ارجاعه فما ارتضى قايلا اني بقبوتي احيي ظهركم من الغدر اذا تكاثرت عليكم الرجال . فتوافقوا على ان الدرزي يتوجه الى السرايا ويقتلك بالحكم في ديوانه والمصري بحمي قفاه وان النصراني ينتظرهما في باب المدينة يمنع اغلاقه عليهم عند رجوعهما . وكان كذلك . فدخل الدرزي الى ديوان الحاكم وقتل به

واسئل يطفأه وهم على الاتباع فتهاربوا . والمصري يحمي ظهره . وكل من تقرب
اليها يطرحه بضرب الثبوت . فخرجوا من باب السرايا والنساس تجتمع عليها
من كل جهة وهم يقانلان من يقرب اليها الدرزي يحد اليطان والمصري بالثبوت
حتى بلغا باب المدينة فوجدوا النصراني يمنع عن غلقه والرجال محتاطة به من كل
جانب يضاربونه ويضاربهم ولا يتزعزع عن الباب ليغلقونه . وعندما اجتمع
الثلاثة سوية خرجوا من المدينة بالسلامة ولم تزل الرجال تطلبهم . وعندما جازوا
دكان صباغ في سوق البيطرة خارج المدينة . وكان بيد الصباغ مخبأطاً يطرق
به الافشة المعدة للصبيغ . فضرب المصري باغبياط على رجله فكسر ساقه وعندما
سقط ارتجع رفاقه لتخليصه فقال لهم صار خلاصي غير ممكن وهذا نصبي فلا
يلزم ان تهلكوا بسبي . ولا يمكنكم خلاصي فتوزوا بانفسكم وانا استوفيت حتى
سلفاً . وتخلص النصراني والدرزي . وجماعة الحاكم انشغلوا عن طلبهم بقتلهم
السايس المصري المذكور بدلا عن سيدهم .

وما حكى عن زخور الشمعوني من روم كاثوليك دير التمر انه كان شرس
الاخلاق ويحصل منه مطاولات كثيرة فوجب التشكي منه للامير يوسف حاكم
الجليل . وبما ان رجالها يتبعون لشيخهم كليب ابني نكد كان الامير يتكلم مع الشيخ
المذكور ان يؤدبه ويردعه . فكلام الشيخ وتهديداته لم تؤثر في زخور فضاق
صبر الامير من (٥٥) الشكايات المتنوعة التي تتقدم له عليه . ففي يوم قال
للشيخ الى متى تتوارد الشكايات على زخور ولم تقتله فاختار من تريده انا او
زخور . اجابه يا سيدي انا عبدك واربي رجالي كاولادي لاجل خدمتك وقد
تهددت المذكور مراراً ولكني اقتل رجالي بيدي هذا لا يمكنني ولكن سعادتك
انظر له خدمة مهلكة ترسله بها فاما انه يقتل ويرتاح سرك منه واما ان ينمها
وتكون كفارة ذنوبه . قال الامير هذا مناسب . يوجد في صيدا اسكافاً اعوراً
شريراً جداً حاقوته هذا باب المدينة فلا يبطل تعديه على اهالي الجليل من اي
مذهب كانوا ولو من الاسلام فيعاملهم بالهزو والسخرية والشتائم الفاحشة . واذا
احدهم اجابه بشيء فيهجم عليه بضرب العصا . والعسكر المقيم على باب المدينة
عوضاً عن ردعه يضحك وينشرح من فعله وذلك الجيلي لا يوجد له معين . وقد
حررت بذلك مراراً لمسلم صيدا واجاب بانه اجري الفحص اللازم من العسكر
المقيم على باب المدينة بجوار الاسكاف ومن الجيرة وثبرهن لديه كذب الدعوى .
فيلزم ان تطلب من زخور قتل هذا الرجل وانه يقطع اذنيه ويحضرهما علامة
لفعله . فالتشيخ عند المساء استحضر زخور وافهمه عما حصل بينه وبين الامير

بخصوصه وعلى القرار بالقائه بهذه التهلكة التي اوصاه اليها عدم قبوله النصيحة .
اجاب ان المطلوب بحسب نظرك وصفو خاطر الامير لا احتسبه تهلكة وينقضي
كالمرغوب بل احتسبه جبر خاطر لعبده في ارساله لي بهذه الخدمة . قال له
الشيخ ان حسن الخدمة بسرعة اتمامها . فيلزمك بالطريق يوم لذهابك ومثله
لرجوعك واعطيتك ثلاثة ايام في صيدا لتدير شغلك . فيلزم ان تسافر مصباح
غداً . ثم الشيخ في الصباح توجه لعند الامير واخبره عما حصل مع زخور وعن
جوابه وانه بهذا اليوم يتوجه الى صيدا وانه امهله خمسة ايام . اجابه الامير انه
غالباً لا يرجع من هذه الخطرة ورتاح منه . ثم في العشي غب انقضاء سهرة
الشيخ ودخوله لاجل المنام انطرق عليه الباب بان زخور يعوزك بالخارج . فخرج
اليه مغضباً قايلاً له انك تعهدت بانك تسافر بهذا اليوم وقد عرضت للامير
انك توجهت فانت باق هنا اغرب من امامي . اجابه لا ترعل يا سيدي اني
تمت تعهدي فتوجهت لصيدا وتمت مأمورياتي وحضرت . قال له وقد قتلت
الاسكافي واحضرت اذنيه قال نعم هما معي وكان لي غاية التوفيق في سفرتي هذه
وذلك بحسب صفو خاطر الامير وخاطرك . فقال له هلم معي لتعرض ما جرى
معك لسعادة الامير . فذهبا الى السرايا وكان الامير دخل ايضاً للمنامة . فطلبه
الشيخ على ان زخور حضر من خطره متمماً مأموريته وهو بمعيته ليقر ما
توقع له . فأمر بدخولها عنده . وأمر بجلوسها فجلسا . فقال الامير لزخور اشرح
لنا ما حصل معك من ساعة سفرك لساعة رجوعك . اجاب زخور ان جناب
الشيخ قد طلبني عشية امس لمواجهته واخبرني عن صدور أمر سعادتكم بقتل
الاسكافي الاخور في بوابة صيدا وان اتوجه لذلك بهذا اليوم وامهلي بخمسة ايام .
وبحسب نية سعادتكم صادفني التوفيق منذ رجوعي لبيتي افكرت ان سفري ليلاً
بضو القمر هو اوفق من حر النهار . فتعشيت وحيث انه صيام السيدة تزودت
برغيفين (٥٦) ناشفين حيث لا يجوز لي الجبن واللبنه وطلبت من صاحبة الصيام
المعونة على مطلوبي (فلم استغرب ذلك اذ اتوجه كواريني الايطالياني في ذهابه
ليروت احتال في مسك ثلاثة بقتلون ويصلبون المارين احدثهم نصراني اعرفه
احضرهم لدمشق وقيل قتلهم احضروا لهم خبزاً وليناً فالنصراني امتنع من اكل
الخبز كونه كان يوم الاربعاء) وبعد ان تسلحت في غدارة في زقاري وطبر صغير
ماضي اخفيته تحت كتوتي . توجهت في طريق صيدا فوصلتها بعد نصف الليل
ونمت خارجها الى ان طلع النهار وفتح باب المدينة . فدخلها وجلست في قهوة
قرب الباب المذكور انتظر مطلوبي . فجاء محافظ باب المدينة بالعسكر وجلس

بجاءته على الصفة المختصة بهم . فنظرت في وجه المحافظ فوجدت الغضب ينقط منه . فبعد قليل حضر الاسكافي الاعور وفتح خانوته وصارت اهل القرايا تتوارد على المدينة باشغالها . فهذا الاعور كلما عرف واحداً من اهل الجبل يتحرش فيه ويهينه بالشتم . واذا رد الجواب ينهض اليه بالعصا . ووجدت ذلك المحافظ ينشرح ويضحك لافعاله عوضاً عن رده وتوبيخه . فنأثرت منه اكثر مما تأثرت من ذلك الاعور الذي كنت انتظر قيامه للغدا في بيته او لصلحة أخرى فاتبعه لزقاق واقتله حيث ذلك لا يمكنني اتمامه وهو قريب من المحافظين واذا طعامه محضره صحبه فأخرجه وتغدى . فانتظرت قيامه لصلاة الظهر فضى بعده ساعتين ولم يتم فزحمتني الطبيعة للخروج فسألت القهواني عن المحل المعد لذلك فدلتني على خان الدباغة بالقرب من القهوة وانه غاض قدادخله قبو واسع معد لتقصض الضوء . فذهبت اليه فوجدته مظلماً جداً لا يدخله النور غير من الباب المملوء من الاقدار . فتعمدت لدخله هرباً من الاقدار وقضيت مصلحتي واذا المحافظ الكبير دخل وجلس يقضي غرض قريب الباب ومن ظلمة المحل لم يراني وجعل قفاه لدخل القبو . فاغتصمت الفرصة ومشيت اليه بخفة والطير بيدي ونقرته فيه على نقرة القفا بعزم شديد قلله در هذا الطير لم يحوجني لضربة ثانية فسحبته للظلام واخذت منه ما وجدت معه من الدراهم مع ساعته وخاتمته وزوج غداراته المتفضضة واخفيها تحت كبوتي . ثم قطعت اذنيه وها هي وقدمها للامير . فقال له اننا ارسلناك لتقتل الاعور لا لكي تستبدله بالمحافظ . اجابه احلم على عبدك حتى اتم اعراضي عن كلما توقع لي . اني بعد اتمام عملي نظرت داخل من الباب ذاك الاعور مظلوني . فجلس يقضي غرض كالاول فتلح البصر الحقته بالاول وصحبته للدخل ووجدت معه قليل من الدراهم فأخذتها وقطعت اذنيه وها هما وخرجت من المدينة وعندما وصلت للجسر الاول ودخلت في حدود الجبل جلست للراحة على جانب الجسر واشعلت غليونتي وصرخت للخانائي هناك ان ياتيني بفنجان قهوة فأتاني به . ثم نظرت الى حافة النهر اسفل فوجدت فارساً يتوضا لصلاة العصر وفرسه جميلة ترعى بحافة النهر فسالت عنه الخانائي قال لي هذا فلان من مشايخ المناولة في بلاد الشقيف فعرفت اسمه لاني سمعت من بجانب الشيخ يذكر في مجلسه اسمه وان خاطر سعادتك متعكر عليه بسبب عدم رجوعه عن قباحتاته . فقال له الامير والنتيجة من هذه التجربة ما هي اجابه زخور يا سيدي احلم على عبدك حتى اكمل كلامي . اني صرفت الخانائي واعطيته ثمن القهوة . وتركته (٥٧) الشيخ حتى اكمل وضوءه واحرم للصلاة فزلت اليه ومع

سجوده كان الطير ازاح رأسه عن بدنه . فعربته وقلبته الى النهر بعد قطع اذنيه
وها هما وجمعت حوايجيه وربطتها على مؤخر الفرس ولبست عبائه وركبت الفرس
ومشيت . فيوصولي لعند مفرق القنبي وجدت قال له الامير هل باقي خبر آخر
اجابه نعم لكن هو الاخير بانني نظرت اثنين متاولين يسوقون عشرة حمير محملة
ومع كل منها بارودة فعندما نظروني الظاهر انهم عرفوا فرس شيخهم التي تحتي
وعبائه على اكتافي فلم يشكوا بقتله فأطلقوا يواريدهم علي فواحدة لم تشعل والثانية
رصاصها اخطاني فهجمت عليهم وضربت اولاً الذي لم تشعل بارودته بسيف
شيخه فوقع قتيلاً ثم الحقت فيه رفيقه فحولت وقطعت اذانها وها هي ثم ركبت
وسقت الحمير اعامي وهي الآن مع فرس الشيخ مربوطة خارج البلد تحت امر
سعادتك لمن يستلمها . اجابه ان هذه الاشياء من كلام اخذته هولك وصباحاً
تقبض من خزيتي خمسين غرش . حينئذ قال الشيخ للامير ارجوك ان تعذرني
بعدم قتلي هكذا شبان حفظهم لخدمتك . اجابه انك بحق بذلك وانصرف كل حمله .

ومن شعبان لبنان الذين اعرفهم وكثر اجتماعي بهم الشيخ يوسف الخوري
الشلفون الماروني . وكان شهماً كريماً يسكن في برج البراجنة خارج بيروت .
مرة خرج اليه جمهور منها لكي يغتلبوا به في ارض الحرش فهزمهم بسيفه .
ومرة توامروا عليه وهو داخل المدينة فسيفه بدد جموعهم وقتلت الخوانيت ومهارب
الناس من سطوته وخرج من المدينة وسيفه مسلولاً بيده لا يتجاسر احد علي الدنو
اليه حال كونه لطيف المعاشرة حسن الاخلاق عربي الكرام لا يرد سايلاً . وكان
في خدمة اولاد الامير يوسف وعندما تشتعل نار الحرب بينهم وبين الامير بشير كان
يوسف الخوري من اعظم المضرين لتدابير الامير حتى انه سطا مراراً على الذخائر
الواردة لعسكر الامير واخذها من يد الرجال محافظيها واستاقها لعسكر اولاد الامير
يوسف . فعندما قتل جرجس باز واخيه وظفبت اعين اولاد الامير يوسف صدر
امر الامير بشير بالقبض على يوسف الخوري فلم يقع باليد وصار التفتيش عليه
بأمرورين صحبتهم رجال اشداء بان يحضروه حياً او مقتولاً . فكانوا يدورون عليه
في البلدان والبراري ويرجعون بالخبر انه لم يظهر له اثر . ومضى مدة بالفحص
عنه وظنوا انه هرب لمصر او حلب وتركوا الفحص عنه . فني ذات يوم اذ كان
الامير جالساً في ديوانه انتصب امامه يوسف المذكور قابلاً ان سعادتك ارسلت
رجالا لمسكي فهم عاجزون عني واما امرك يحليني بدون رجال فعليك كنت خادماً
لاولاد عمك بكل نشاط وصادقة كما يجب علي دمة الخادم فاذا كانت خدمتي
الصادقة لاسيادي ممكن لعدائكم احتسابها ذنباً فاني حضرت بنفسي فأجروا

قصاصي بما تريدونه . فالأمير انشرح من شجاعته وكلامه فقال له كن مطمئن
البال وامر له بالجلوس ثم بالقهوة . وغب شربه لما سأله الأمير عن مكان اختفائه
حتى ما امكن المفتشين معرفته . اجابه اني لم اختبي قط وكنت انتقل ضمن
البلاد من قرية الى قرية وكثيراً ما صادفت في طريقي جماهير من المفتشين وعندما
اجم عليهم يهربون من وجهي . فقلان قابله بالحل الفلاني ومعه عشرة رجال
قد هرب برجاله وفلان وفلان قابلتهم مع رجالهم بمحلات (٥٨) كذا وكذا فلم
يتجاسروا على مقابلة عبدكم وجميعهم يعرفون اني لا امكنهم من مسكي ما دمت
حياً ولا يتمكنون من قتلي الا بهلاك اكثرهم ولنا كبدي عدالتك وانصافك بانك
لا تدبني على نشاطي بخدمة اولياء امري طرحت نفسي بين اقدامك ولم ارتضي
بتذليل نفسي وتسليمها ليد خدام امثالي . فالامير زاد انشراحه من ترتيب عبارته
وقال له اتخدمني كخدمتك لاولاد عمي . اجابه وهل تحصل لي السعادة في يوم
يهرق فيه دمي بين ارجل حصانك . فامر باحضار قرو من السمور ألبسه اياه
علامة لانشرح خاطر الأمير عليه وقال له الأمير قد وليتك على اعمال ساحل
بيروت القاطن فيه وانت عندي عزيز مكرم وستشاهد كل ما يمر خاطرك . فخدم
الأمير بكل صداقة وتغرب معه عن وطنه الى حوران ثم الى مصر وبلاد الصعيد .
ولم يزل بصدق الخدمة لحين وفاته رحمه الله .

ولنذكر ما يتعلق بعيلة جرجس مشاقه ولئن كان ذلك ليس هو ذو أهمية
انما نذكره اجابة لمغروب الطالب . فقد ولد لجرجس بعد محرره مخايل (ولدين من
الذكور) احدهما جبرائيل الذي هو الآن بوظيفة قاضي بمدينة زحلة ولد سنة
١٨٠٥ والثاني روفائيل الذي هو الآن عضواً في مجلس محاكمة المتصرفية بسراية
بيت الدين بدير القصر ولد سنة ١٨٠٩ . فصاروا جملة اولاده المذكور الذين
عاشوا خمسة ما عدا خمسة اناث قد عاشوا لا حاجة للذكر من . فجرجس مشاقه
احساباً من تقلبات الدهر على اولاده كما تقلبت عليه ولا صناعة بيده ليعيش
منها عمد الى تعليمهم الصنائع بعد تعليمهم القراءة والكتابة ولم يكتف بتعليم الواحد
صناعة واحدة بل كلها تعلم احدهم صناعة ينقله لغيرها . فكان نصيب محرره
ولده مخايل اثنتان اربعة صنائع . وبعد سنين تعلق على صناعتين غير الاربعة
الاولى . ثم بعد تعليم اولاده الصناعة عمد الى ما يبعدهم عن مخالطة الحكام بسبب
ما وقع على والده وعليه من مخالطتهم . وصمم على ارسالهم لعند عمهم والخواهم في
بلاد مصر يتعلمون التجارة . فابراهيم البكر لم تسمح والدته بارساله لتفريح بزواجه
باكراً . فزوجته اذ كان عمره ثمانين عشرة سنة . اما اندراوس ارسلوه لعند عمه

انظرون بدمياط اذ كان عمره ستة عشر سنة . واما ميخائيل فقد مالت افكاره لمعرفة الحساب وبذلك الوقت لم يوجد بدير القمر من يعرف اكثر من الجمع واذا اراد احدهم ان يحسب ثمن سبعة ارطال في سعر الرطل سبعة عشر وربع مثلاً يلزم ان يرقم السعر سبع مرات ويجمعه . واما والده فكان يعرف الضرب والقسمة وصك الدفاتر بالتلقي عن ابيه . فعلم اولاده طريقة الضرب والقسمة . ثم كان ميخائيل يسمع من اليهود اخبار كسوف الشمس وكسوف القمر قبل حدوثها . وهم يزعمون كما في ايماننا ان حاخاميهم يعرفون حسابها ولا يقرؤا بانه بآتيهم من اوروبا مكتوبة في أمثالك تلك السنة وكنت اصدق بهتائهم . وفي الحديث انهم قوم بهت ولذلك التصقت بواحد منهم يقولون انه يقرأ (اي عالم هكذا اصطلاحهم) اسمه اسحق الازعري واخبرني انه خبير باستخراج حساب الكسوفات وبوقتها ما كنت اعرف ما يلزم ذلك من الحسابات المدققة والتقويمات الكثيرة ومعرفة الجيوب والاطوال والعروض وقوس النهار واختلاف المناظر وغير ذلك وان قراءة التلمود لا تفيد علم الافلاك فلذلك التمسث منه ان يعلمني واجزيته على تعليمي . فقببت جملة اشهر اتردد عليه وهو بوعدني ولا يفرّ بجهته حتى بئست منه فتركته . (٥٩) وبذات يوم ارسلني والدي بمصلحته لعند القس كيرالوس فرح احد الرهبان الخدام الروحانيين لكاثوليك دير القمر فوجدته يطالع في كتاب بخط اليد فيه جداول وارقام حسابية ومذكور فيه اسماء الشمس والقمر فقرحت جداً وقلت في نفسي قد حصلت على مرغوبي بمعرفة علم الفلك حيث حضرة الاب يعرفه فأترجاه ان يعلمني . فقلت له ما هذا الكتاب . فاجابني بعوس هذا شيء عميق لا تقدر على فهمه اسمه الكيكلس تاليف الابهاء القديسين منه تقدر تعرف مواقع الاعياد المنتقلة ولوالى سنين كثيرة واوائل السنين والاشهر الرومية ومبدأ الهلال في كل شهر وغير ذلك من المعارف السامية على ادراك العامة . وبالاختصار انني نظرت من هذا القس ان يحتسب نفسه بالمعارف نظير الفيلسوف ارشيميدس او كالحكيم اسحق نويتون او ارفع منهما حيث يقدر على ادراك ما تحور في كتاب الكيكلس . فتوسلت لدى حضرة ان يسمح لي بنسخ هذا الكتاب ويشكرم فيما بعد بتعليمي فيه وقررت له عما حصل لي مع اليهودي . اجابني يا ولدي هؤلاء لا يوجد عندهم علماء بارعين نظيرنا . ثم تكرم علي بان انسخ هذا الكتاب عنده حيث لا يمكنه السماح بخروجه ويبيي تعليمي فيه وقتاً بمثلك فرصة . فأحضرت لوازم الكتابة وباشرت بنساخته وتممتها بعد ايام ووجدته سهل المفهومة لا يحتاج لمُرشد ولكن حضرة الاب كيرالوس كان عند قرأته فيه

يحتاج لتبجئة بعض الفاظه وربما يلفظها بخلاف منطوق حروفها وهذا دليل على سعة معارفه . ففكرته واجتهدت بمطالعة الكتاب لنفسه ولكونه سهلاً تمكنت بمعرفة ما تضمنه جيداً . ولكنني لم احصل منه على مرغوبي من معرفة مواقع الكسوفات . وبما انني كنت اصدق مزعومات الدجالين بانها تعلن بحوادث عظيمة كالحروب والوباء وموت بعض الكبراء فرغبتها لذلك . ففي سنة ١٨١٤ حضر لعندنا من دمياط خالي بطرس عنحوري وهو من معتبري تجارها بقصد معالجة عيون احدى بناته لانه وقتئذ لم يكن في تلك البلاد اطباء يركن اليهم . وكانت الشهرة في معالجة العيون في بلاد الشام الى روافيل نهر الغيوب القاطن بقرية صغبين من غربي البقاع . فوالدي تعهد له بدفع مبلغ جسيم على ان يتوجه لدمياط فما رضي . فاضطر خالي ان يحضر بنفسه لعندنا واستحضر الغيوب وابنه فرح القاطن الآن في بيروت الى دير القمر وعالج عيون البنت مدة وقالت الشفاء بواسطته . فعندما خالي استراح من مشقة السفر ومن استحضار الكحال لمعالجة ابنته اخرج كتبه من صندوقه فنظرت ما هو مكتوب على ظهرها . فوجدت على ظهر الواحد علم اهيئة لدبلاند الفرنسي وعلى الثاني دبلاند تقويم الكواكب وعلى الثالث حاشية الاشمندريني انيموس غازي على كتاب بنيامين الانكليزي في علم الطبيعة وعلى الرابع علم الطبيعيات للمعلم ربحا البلاستلي وعلى الخامس الماخذ الحديث (٦٠) في تقويم الكسوفات لبطرس عنحوري الذي هو خالي المذكور مع كتب اخرى تأليفه وتأليف غيره من موضوعات متنوعة ففتحتها ووجدت جميعها خطأ بالعربية . وما كان منها اصله بلغة اجنبية فهو مترجم باعتناء باسبلي فخر فنصل قرآنه بدمياط . وعند وقوفي عليها سميت كتاب تقويم الكسوفات حصل عندي مزيد الفرح لاعتقادي بانني متى عرفت قصير اسرار الكون مبسوط امامي . وتعلمت بكلام داود النبي (الفلك يخبر باعمال يديه) اذا علم الفلك يخبرني عن كمال صنعه وبصنعه الباري تعالى . فقصر عثلي وضيق معارفي كانا يورطاني الى تصديق خرافات كهذه . حينئذ سألت خالي هل حضرتك تعرف علم الفلك وكيف عرفته مع ان بلدنا كبيرة وهي كرسي حكم سعادة الامير الذي يسموه سلطان البر فلا يوجد بها انسان يعرف بالفلك . فضحك من كلامي وقال لي يا ولدي يلزمك ان تعرف بان بلدكم هذه هي صغيرة جداً اذا قيست بالمدن العظام ولا تكون الا كحارة صغيرة من حاراتها . اجبته كيف تقول عنها صغيرة ويمكن ان اهاليها يبلغ عددهم اربعة آلاف نفس . قال لي ان دمياط تحتوي على ثلاثين او اربعين الف نفس منهم كثير علماء واصحاب معارف وانا

تلقيت العلوم الفلكية وغيرها أولا عن استاذي الشيخ محمد الصباغ الميثاقى الشهير. ثم لما اتى بونا بارتى على مصر بالعسكر الفرنساوي وتملكها سنة ١٧٩٩ والانكليز ربطوا عليه البحر وتعطلت التجارة لم اصبغ الوقت بل اجتهدت بتعلم لغة الفرنساويين وكان بينهم علماء كثيرين فتلقيت عنهم علم الاكتشافات الجديدة بعلم الفلك والطبيعة والجغرافية. فاذا كنت ترغب ان تتعلم فانا اعلمك لانني قاضي من الاشغال وقصدي ابقي عندكم مدة الشتاء والربيع بقصد مشاهدة حوادث الجو التي لا تحصل في اقليم مصر. والآن فصل الصيف فتكون المدة طويلة. فاذا اجتهدت وفتحت ذهنك للتعليم تحصل كثيراً مما ترغب فيه وانا اعمل جهدي بافادتك. فشكرته على جميع صنعه معي. ففي ثاني يوم ابتدأت بدرس كتاب المأخذ الحديث تأليف خالي لانه سهل الفهم واقرب لوصولي لمعرفة تقويم الكسوفات. ففي مدة شهرين خلصت منه مع عدم تعطيل عن الشغل بصناعتي. فأخذت في كل يوم من ايام الشغل درسين صباحاً ومساءً وايام البطالة بتمامها بعد حضوري فرض القداس اقصيها بالمطالعة. وهكذا اقضي السهرات وصرت اقدر على تقويم خسوف القمر لسهولته عن الشمس حيث لا يلزم فيه معرفة كلاً يلزم لتقويم خسوف الشمس. ولم يحضر وقت سفر خالي حتى تمكنت من صناعة التقويم. وفهمت ما تيسر لي من علم الهيئة والطبيعة من مؤلفات دبلاند وبنيامين وغيرهما. وصادفني التوفيق بان خالي احب لبنان فغاب مدة ورجع مصحياً معه عيلته واتسع معي (٦١) المجال بالاستفادة من معارفه. ومع علمه كان من ذوي العقول الراجحة النافذة. متى عرف مبدء قضية يعرف متنهاها بكل سرعة.

ففي سنة ١٨١٧ اراد والدي ارسالي لدمياط لعند عمي كما ارسل اخي قبلا. فخالي استحسن ذلك وألف لي رسالة تتضمن كلاً يلزمي هناك من عوايدهم واصطلاحاتهم واختلافات موازينهم ومعاملاتهم وكيفية المحافظة على الصحة بحسب طبيعة تلك البلاد. وشرح بعض علاجات مع وصايا ونصائح حكيمة واعطاني تحريرات توصية بي لاصحابه هناك. وسافرت اليها في اواخر الصيف عندما يفيض نهر النيل ويعتدل هواها لان اقليم مصر يخالف بلادنا ففصل الربيع فيه ردي جداً واحسن هواها يكون في فصل الخريف. فعوضاً عن قولنا ربيعة جميلة فهم يقولون خريفة كويسة بمعنى جميلة. فغلب وصولي لدمياط اقامت في بيت عمي الذي حضر اليه قبلي بنحو خمس سنوات اخي اندراوس. وكنت كتب معه في مخزن عمي الذي فيه ايضاً كاتبان غيران. وعملت لنفسي شغلاً

صغيراً لخاصني ارجح منه كبقية الكتاب . وكانا عمي واخي يسعفاني في اسمها عند اللزوم حتى يقرضة الدراهم لدفع استحقاق لم يكن عندي جاهزاً بالحاضر لدفعه . فصار عندي رأسمال يرتضي به مثلي .

فالذي جرى بتلك السنة في بلاد مصر ان واليها محمد علي باشا الشهير كان ارسل كتخابه محمد بك الى الصعيد ليباشر بعيداً عن مصر ترتيب عسكر منتظم كعساكر دول اوروبا التي استحضر منها معلمين . وعمل ذلك بعيداً خشية من قيام عسكر الترك ضده كما وقع للسلطان سليم وقتلوه عندما اراد ان يعمل عسكراً منتظماً . فمحمد علي باشا ابعد عنه اكثر عسكر الاتراك بارساله الى الحجاز لمحاربة الوهابي وعسير . ومع هذا لم يسلم من الخطر . فعندما عرف المؤامرة عليه من العسكر الباقي في مصر ان يهجموا عليه تحصن بقلعة الجبل وارسل اناساً يهبوا سوق خان الحمزاوي لينظر العسكر النهب ويشغل به فتكون له الفرصة بتدبير نفسه . فبعد ان ترتب وارتاح فكره ابتداء في قطع مرتب العساكر تدريجياً وتسفيرهم لبر الترك . وبوقتها كانت الاسكندرية خراباً لا يصلها الماء الا قليلاً بايام فيضان نهر النيل فقط . وكانت دمياط ميناء بلاد مصر . فكانت هذه العساكر ترد اليها بمراكب النيل ومنها تنظرهم مراكب بحر المالح لتأخذهم لبلادهم . لكن كنا نسمع ان مركباً كبيراً فقط وافق خارج البوغاز لم يسافر قط وكلما ورد عساكر نزل اليه . وجملة الوف التي دخلته تدريجياً واحتفي خبرها قيل انه عند طلوع العسكري اليه من جانبه الواحد نظرحه الرجال بالبحر من الجانب الآخر بعد ان يربطوا في عنقه جرة مملوءة رملاً . فلا نعلم الصحيح . وهكذا صار يستحضر عسكر الاتراك من الحجاز ضابط فضايط مع عسكره وينفيهم على الطريقة المشروحة . وبذلك تمكن من اتقان عسكر النظام . واما اصحاب الحوانيت التي انتهيت بالحمزاوي تحول حزنهم الى فرح عندما صدر الامر من محمد علي باشا بان يكتبوا قيمة منهبائهم ويحلفوا بمين على صحتها ويقبضوها من خزيفته . فكم يوجد بضايح كاسدة لا تباع من عدة سنين قد نفقت عنهم بالنهب وقبضوا اثمانها ولم يعد يخشى من الفتن .

وفي هذه السنة وضعت الحكومة يدها على معامل الارز وصارت تبيعه للتجار من يدها . وسنة ١٨١٨ وضعت يدها (٦٢) على جميع الاشغال الاقشة من حرير وكتان وقطن . وهكذا بالتدريج وضعت يدها على جميع محصولات الاقليم من حبوب واقطان وكتان وجلود لا يقدر التاجر على مشتراها لتجارته الا من يد الحكومة . ودام ذلك لحين رفع يد والي مصر عن الشام سنة ١٨٤٠ واستقلال

محمد علي باشا وذر بنه بأحكام داخلية بلاد مصر بواسطة الدول العظام الاجتية تحت شروط ودفع مال سنوي للدولة العلية ورفع يده عن الصنائع وعن حجز محصولات الاقليم بان تكون التجارة حرة كما تكون ايضاً الحرية الداخلية لارباب الصنائع. وبهذه السنة اي سنة ١٨١٨ تبلبلت افكاري في امور الديانة مما كنت اراه فيما يجب علي تصديقه من اوامرها التي ناباها العقول السليمة . سيما والتي رأيت كثيرين من اهالي دمياط اسلام ونصارى مبليي الافكار بأكثر مني . وقد زاد بليلي بمطالعتي كتاب سياحة المعلم قولني الفرنسي اوي عندما يتكلم عن سياحته في لبنان ووصوله الى غرايات تدمر وذلك بان اتخواجه باسيلي فخر المعني بترجمة الكتب الى اللغة العربية قد ترجم هذا الكتاب وبذلك الوقت ما كان يوجد مطابع بالاقليم المصري لطبعها . فاتخواجه ميخايل سرور قنصل الانكليز بدمياط استنسخ هذا الكتاب ولكونه من انسابني طلب مني ان اقابل معه تلك النسخة على اصلها احتسايماً من التحريف . فأجبت لمطلوبه ومن هذه المقابلة زاد بليلي . ولكن بقيت محافظاً على ما تلقينته عن اهلي . وبهذه السنة اجتهدت بتحصيل علم الموسيقى والعمل على آلامها من ذوات الاوتار وذوات النفخ . فحصلت منها ما أمكنتي والسبب في جهدي اني كنت مع اخي وجماعة من الاصحاب في عرس واذ كانت الموسيقى تشغل سألني رجل بجاني ما هو اللحن الذي يشتغلونه فقبل ان اعترف له بجهلي فكان قريب الينا رجل عكاوي قد تربى بدمياط عمره نحو خمسين سنة يدعي الظرافة واتساع المعارف تعرض لمحاوكة السابل بقوله له عني هذا جبلي لساء بعيله لا يفهم شي . انا اخبرك ان الشغل هو اللحن القلاني . فتأثرت جداً من غلاظة هذا الرجل وقلت في ضميري ان اهالي لبنان يمتازون عن عامة بلاد صغد الذين هو منهم وان عمي واخي بدمياط يعتبرون اكثر منه عند اكابر البلدة فضلاً عن امثاله ولكن ما دمت جاهلاً فيما سبلت عنه فيلزمني الصبر على احتمال ما وصفني به . فتلك الليلة رقدت مهموماً ونهضت صباحاً لعند رجل من احسن الموسيقيين يشتغل على جميع انواع آلامها العربية وحلبت منه ان يعلمني العمل على اسهلها . فاختر لي القانون وعين لي ساعة في كل يوم يحضر لعندي فيها آخر النهار عندما اخلص من شغلي . وهكذا داومني . وبقوتها اخترعت جدولاً اكتب ضمنه التلحينات التي يقدمها لتعليمي . وبمدة شهرين صرت أمير بين الالخان جيداً وبعد ذلك أمكنتني معرفة العمل على بقية الآلات بدون مرشد الى انه أمكنتني بعد سنين ان أولف رسالة بهذا الفن لم ينسج على منوالها . فصدوف حضوري بمجلس فيه ذاك العكاوي المتظرف السابق ذكره . وسئل من احد

الحاضرين عن اسم لحن كانوا يغنوناه وقتئذ فقال عنه حجاز حال كونه سيكاه ولا يمكن اشتباه احدهما بالآخر. فتحقق عندي جهله بهذا (٦٣) الفن فاغتنمت الفرصة لالاخذ الثار منه بتثريعه امام الحاضرين فقلت له يا خواجه منذ مدة سألني فلان عن لحن فجناحك ندعي النطف والظرافة ولكن لطفك لم يسمح لك بالصبر حتى تسمع جوابي لربما كان يرضيك اعتراف اللبناني بجهله فن الموسيقى وحيث تبدي معارفك ولا توصيني بمعطاك اهالي لبنان لساهم بعلمهم والآن اتضح لي انه من بعد اقامتك في بر مصر اربعين سنة لا اقول لك كلمتك التي استحسناها لطفك انك لسالك بعيلك حيث افنا في لبنان نتحاشى الكلام الغليظ ولا ندعي بمعرفة ما لا نعرفه كما حضرتك تدعي علم الموسيقى ولا تميز بين الحجاز والسيكاه اللذين بينهما فرق كما بين الصفدي واللبناني لا يشبه احدهما بالآخر. فأراد ان يبرهن عن صحة جوابه فنفس الحاضرين ممن يعرفون الموسيقى اوضحوا له عدم معرفته بهذا الفن واخجلوه.

ثم بلغنا اخبار ابالة صيدا. منها وفاة علي باشا كئنداي سليمان باشا واليه ووقع مكانه ولده عبد الله بك. ثم بنا الشيخ بشير جنبلاط جامعاً ومأذنة في داره بقرية المختاره وزيادة نظاهره بدين الاسلام. ثم ان الامير حسن ابن خال الامير بشير قتل والده وعمره خالي الامير وتظاهر بدين الاسلام وانه قتلها لكونها نصرانيان. فأرسل الى عكه وصار الخبر انه صار اعدامه سراً حال كون سليمان باشا ارسله الى محبس في الاسنانة. وفيما بعد استحضره عبدالله باشا الى لبنان وقتله اخوه الامير اسعد. ثم الامير بشير قتل قاضي دير القمر الشيخ شرف الدين وكان مصاباً بفقد عينه الواحدة وهو من الاذكياء المهذبين ممدوح السيرة غير انه قد وجد من بهجي الورد فقال فيه احد الشعراء بعد قتله :

الحق ميزان الرضى في عينين بلا نقط
هل شئت ميزاناً اتي للحق في عين فقط

فالامير بشير دخلت عنده الوسوس من هذه الحوادث وربما القاها في فكره بعض مبغضي الشيخ بشير جنبلاط بان الشيخ المرقوم هو الساعي بها ليتمكنه اختطاف حكم الجبل لنفسه من يد الشهابيين فتظاهر بدين الاسلام واحداث جامعاً في بيته وزاد على ذلك ارجاعه المال الذي اخذه جرمياً بمدة حياته لاصحابه او لورثاهم بعين عمله وكان مبالغ جسيمة. وهو الذي دير ابن خالك الامير حسن على التظاهر بدين الاسلام وقتل والده وعمره كونها نصراناً. والقول بانه قتل والده ضمن الكنيسة. فالشيخ بشير عندما فهم ذلك احترز على نفسه واجتهد بازالة هذه

الوساوس من فكر الأمير (والحق ان الشيخ بشير هو من الرجال العقلاء الشهيرين
بمعرفة طرق السياسة الموافقة للعوايد المعتبرة عند اهالي لبنان ورؤساء عشائره وانه
من الغير ممكن قبولهم ان ريس عشيرة منهم يصير حاكماً فوق رؤساء العشائر.
ولكن يمكن لاختصاصه القول انه عندما نظر لامتداد سطوة الأمير احتسب منها
واراد استبداله بأمر ضعيف يجعله متقاداً اليه ولكن امتداد الوقت اظهر للعيان بان
الشيخ بشير لم يكن متعمداً عمل شيء مما ذكرنا. وكفى برهاناً على ذلك مرافقته
للأمير عندما حكم غيره على لبنان وقام معه برجاله الى حوران كما يأتي الكلام
على ذلك بمحله. (٦٤)

وبقيت في دمياط ثلاث سنين. وفي كل سنة انحبس نحو خمسة اشهر في
البيت بسبب الطاعون. فقلت لاني ان الإقامة بهذه البلاد هي مخاطرة بالنفس
لغير ضرورة موجبة فالاحسن هو رجوعنا لبيت اهلنا. فرجع اخي وبقيت
لتخليص اشغالنا. وفي اوايل سنة ١٨٢٠ رجعت لدير القمر وعملت لتفسي
شغلا بتشغيل الاقشة الحربية كوفي احسن ادارتها لعرفتي الصنائع المعينة على
اقتنائها ولكنه لم تمضي نصف السنة حتى ابتداء التقلب في احوال حكومة ايلة
صيدا. لان سليمان باشا كان توفي قبل رجوعي من دمياط والمعلم حاييم استحسن
استحصال الولاية لعبدالله بك ابن علي باشا المتوفي لان سليمان باشا لم يكن له
اولاد ولكن عنده ابن اخيه مصطفى بك والد سليمان بك احد اعضاء مجلس
ادارة ولاية في سوريا حالياً. فحبي سليمان باشا تكلموا مع المعلم حاييم ان يسمي
بالولاية لمصطفى بك لكونه حلیم الطباع كعمه فما سمع لهم. وقال ان عبدالله
بك مولود البلاد وتعبنا عليه بتعليم العربية والخط الجميل والعلوم الشرعية. ومن
بعد وفاة ابيه توظف ككتبخدا ومارس اعمال الحكومة فلا يصح ان تقدم عليه من
كان ضعيف العربية والخط ولا يعرف العلوم الشرعية ولا مارس اعمال الحكومة.
ان الدولة العلية لم ترتضي في اول الامر بتوجيه الولاية لعبدالله بك اذ انه صغير
السن مع انه كان في سن الثاني وعشرين سنة وتمنعت عن ذلك تسعة اشهر.
وكان الأمير بشير بسطونه محافظاً على عدم القلق في عموم الولاية اذ جميع العشائر
تهابه. ولكن بواسطة المعلم حزقيال الاسرائيلي الموجود وقتئذ صراعاً في الباب العالي
امكنه ارضاء الدولة ووجهت منصب ولاية صيدا على عبدالله بك وجعلته
وزيراً.

وبعد ان استولى عبدالله باشا على الآلة ابقى كل مأمورها على وظائفهم التي كانت بيدهم عند وفاة (٦٦) سليمان باشا . وكان الفرح عند عموم الاهالي بتوليته لانه تربية سليمان باشا الذي كانت ايامه سعيدة على الرعية والمأمورين . وبقي كل شيء بيد المعلم حايم كما كان حتى خزينة مال الوزير كانت في بيته وتحت تصرفه . الا ان عبدالله باشا لم يتصرف بالرزانة المطلوب وجودها بالوزراء حتى انه صار يختلط بالاولياش ويدخل بينهم في حلقة الذكر ويعاشرهم . فالمعلم حايم المملو من الحكمة والتهذيب قد ساء هذا التصرف من ولي امره . وبحسب صدقه في خداميته قدم له النصيحة بان عمله هذا لا يليق بأمثاله ان ينازل لمخالطة الاذنياء . فاذا كان لا بد من الازكار فيكون عملها مع اناس لا يقين كالثقاضي والمفتي ونقيب الاشراف والعلماء . (قال سليمان الحكيم لا نوح الجاهل ليلا بمقتوك . ونح حكيماً فيحكك) . فالمعلم حايم كان في وهمه ان عبدالله باشا يرضخ لتصبيحته ويعرف حقوق صداقته بخداماته الكلية سباً وانه صار من طغمة العلماء ولم يفتكر بان الجاهالة متغلبة عليه . واما عبدالله باشا عوضاً عن قبول النصيحة واظهار المسئولية للذي نبهه على غلظه وان يصلحه فتقدم الى ما هو ابعد عن الصواب . فانه اباح لاوليك الاولياش بما قاله ذلك الناصح الامين الذي عندما عرفوا ذلك تخافوا من ان الياشا يقبل النصيحة ولو بعد مدة . ولا بد ان المعلم حايم يداوم النصيحة وحينئذ ينسرون ما يرجون من قربهم اليه . فأخذوا بالاحتبال بقولهم ان هذا اليهودي صار متكبراً جداً على الاسلام حتى ان الكثيرين صاروا يقولون بده كأنه وزير او قاضي . وقد اخبرنا القرآن العظيم بانهم اشد عداوة للذين آمنوا . فكيف يليق بالمسلم ان يركن اليهم وياثمنهم . ان المرحوم عمك سليمان باشا كان رجل بسيط القلب وداخل عليه غش اليهود . فهو ماسك فرون البقرة واليهود يأكلون حليبها حتى مال خزينته موضوع في بيت هذا اليهودي . يا ترى هل انه يوجد واحد من المسلمين يعرف ما دخل للخزينة من الاموال وما خرج منها او ان المرحوم عمك كان يعرف شيئاً من ذلك . ان خزينة الوزير هي بيت مال المسلمين هل يجوز وضعها تحت يد يهودي وابتمانه عليها حال كونه اشد عداوة للمسلمين ويشهد بذلك رب العالمين . فهل يوجد شهادة اعظم من هذه التي يكفر متكرها . وهل يجوز استخدام اليهودي في مصالح الحكم ومصالح المسلمين ان هذا ما اجازه احد من الائمة الاربعة مذاهب المسلمين . فعلمك المرحوم يعلم بكونه لا يعرف الوجه الشرعي . واما سعادتك لا يخفك مشكلة من مسائل الشريعة ولهذا لا تغتر في اهمال شيء منها . فعبد الله باشا

تحرك غيظه على المعلم حايم متأثراً من كلام هؤلاء الاوباش. وثاني يوم طلب من المعلم حايم احتضار مال الخزينة من بيته ليصير حفظه في محل ضمن السرايا فأحضره كامره. ثم بعد ذلك نبه عليه ان بلازم (٦٧) بيته وسلم وظيفة رئاسة كتاب الخزينة الى المعلم يوسف قرداحي من موارنة صيدا. بعد ان المعلم جرجس مسديه رفض قبولها. وبعد ذلك احتال اوليك الاوباش على اهلاك المعلم حايم بواسطة شخصين من جلساء الوزير يكرهان المعلم المذكور اذ كان يمنع وصولها لما يرغبانه مما لا يوافق المصلحة وهما الشيخ مسعود الماضي من ساحل عثليت وعمر افندي البغدادي الذي عندما كثر فسادُه اطلق عبدالله باشا عينيه بالمكاوي النارية. فهذان الشخصان في احدى الجلسات عند عبدالله باشا قالوا له ان جميع الاسلام فرحوا برفعك ثقل نير اليهودي عن اعناق المسلمين. ويقدار فرحهم خوفاً من مكره ويصره لانه ساحر ذو مهارة بعمل السحر. وزاد على ذلك نفوذ مرغوباته عند الدولة العلية بواسطة المعلم حزقيل الذي سعى بتوجيه الولاية لسعادتكم رعاية لمخاطر حايم. فلا يؤمن من ان حايم يكتب له عما حصل. والذي يقتدر على النصب لا يعجز عن العزل خصوصاً ان اليهود عندهم الغنى الوافر والدولة ترغب في المال لا في الاشخاص. وطالما حايم بالحياة لا يرتاح البال من شر تدابيره. فصمم عبدالله باشا على قتله ولم يحسب ان ذلك هو اعظم خطر عليه بان كافة اليهود يتحركون لاختذ النار ويقتلون بقوة تدبيرهم على انقاذ ما يرغبونه. وفي تلك الليلة اصدر امره الى كتخداه ابراهيم بك الجركسي الذي هو زوج اخته بان يتوجه بنفسه بجيلة من العسكر ويختطف المعلم حايم ويرميه في البحر. فتوجه بالعسكر وطلب حايم لمواجهة فخرج اليه يكلمه للدخول فكان الجواب احاطته بالعسكر ووضع الحبل في عنقه وشده عليه حتى اختنق. وطرحوه بالبحر. وعند الصباح وجدوا جثته على الشاطئ قد دفنتها الامواج. فلم يسمح لليهود بدفنه بل ربطوه على عمود من حجر وزجوه في عمق البحر. فجميع العقلاء في ايلة صيدا مع اختلاف مذاهبهم اتفقوا بالاسف على خسارة الحكومة بفقدان هذا المدير الحكيم.

واما الامير بشير حاكم لبنان فكان اشد الجميع غماً على فقدده وصار مترقباً وقوع التغييرات في سياسة عبدالله باشا بسبب استمالته لتفريب من لا يحسن السياسة. فالتجار العمدة في عكا تزحوا منها بعضهم ليبروت وبعضهم الى لبنان خذراً من تقلبات الوالي حيث نظروا قبح تصرفه بقتله حايم الذي يجهدده وحسن تدبيره استحضر له الوزارة بعد نمنع الدولة عن اعطائها له حتى ان المعلم جرجس مسديه المتقدم في كتاب خزينة عرضت عليه ان يكون بوظيفة المعلم حايم فاعتذر

عن قبوطا وتعارض ونخرج من عكا لتبديل الهواء في صيدا . ثم فر لعند بيت فارسي بدمشق وكان معهم في خدمة خزينتها . واولاده ابراهيم افندي ونقولا افندي وحفيده قيصر افندي الذين هم للآن بخدمة حكومة دمشق (٦٨) فابتدأ عبدالله باشا يبيدي تعللات على الامير تارة بطلب اموال نقدية وتارة بطلب خيول معلومة وتارة بطلب مجوهرات كانت اعطيت له فيها مضي مقابلة لخدماته خصوصية منه ومن اسلافه . والامير يقدم له كلما يطلبه ويستعطف خاطره بكتاياته وبلسان رسله . وكان توظف بخدمة الامير المعلم بطرس كرامة من روم كاثوليك حصص الشاعر الشهير بدقة العقل والفصاحة مع حسن الانشاء وجودة الخط . فكان الامير يرسله لاستعطاف خاطر عبدالله باشا . فبقوة عقله وعلمه وفصاحته يقتدر على استجلاب خاطره . ويستحضر منه خطايا للامير يعلن زيادة انشراح خاطره من نحوه . ولكن غيب مفارقتها اياه يأتي المفسدون الى الباشا ويغيرون افكاره وبفسدون ما اصلحه بطرس كرامة الذي يضطر الى الرجوع لاصلاح ما افسدوه . وكان اعظم تحريكهم لغضب الوزير بان الامير يشير في الباطن هو نصراني كافر مخادع لا يركن اليه ولا تجوز توليته خصوصاً في المسلمين حيث يوجد في لبنان الوف كثيرة من المسلمين والباري يسالك عنهم يوم القيامة لتوليتهك عليهم حائماً كافراً حتى ان بطرس كرامة الذي هو بالحقيقة كرامة هذا رجل ساحر فيأتي ويسحرك ويغير افكارك الصالحة لما يوافقهم . وبذلك كانوا يلبلون افكار الوزير حتى انه استحضر صالح الطرشيجي قاضي طرشيجا وهو من اهل الفضل الاتقياء وطلب منه ان يتوجه لعند الامير يقيم اياماً فينظر في تصرفاته مع الرعايا خصوصاً مع المسلمين ثم يساله عن ديباته ما هي ويرجع بفنده الحقيقية . فالامير كان يعرف بكلها يحصل بديوان الوزير لان له اشخاص من ملازمي الوزير يبلغونه الوقايح . فالشيخ صالح حضر لعند الامير واقام اياماً ورجع بدون ان يبيدي للامير كلاماً مما تحمله من عبدالله باشا الذي عند وصول الشيخ صالح لعنده قرر لديه انه تم مأموريته وفحص مدققاً عن احوال الجبل من المسلمين والنصارى والدروز فوجد الجميع يشنون على احكام الامير بشير بتحصيل الحقوق واجاد الامنية في جميع الجبل وما يجاوره وان حقوق الجميع متساوية لديه من اية ملة كانوا وجميع الدعاوي ينهبها على الوجه الشرعي حتى انه بمنع القاضي عن اخذ الرسم على التحصيل وكتابة الاعلام والحجج الشرعية مع ان ذلك من حقوق القضاة بجميع البلاد الخارجة عن الجبل . واما قضاة الجبل فالامير يعطيهم معاشاً من عنده . فلو عرف بتناولهم شيئاً من اصحاب الدعاوي فيكون ذلك ذنباً غير

قابل المساعدة . وجميع اصحاب الوظائف عنده ملوكهم على هذه القاعدة فلا يوجد في خدامه من يقبل الرشوة او يتعدى على حق غيره . اما عن الديانة فعندما سألته عنها اجاب هذا السؤال يجب ان يسأل عنه ائمة المساجد الموظفين لانهم الامور التعبدية لا الموظفين للخدمة السياسية فعادة افتدنا استخدمني في سياسة الجبل . فاذا وجد في سياسي عيباً فعذارته توجب عليه ان يسألني عنه . واما معرفة قوانين الامور التعبدية فهي ليست وظيفتي . فاذا كان يرغب ان يكون حاكم الجبل من ائمة المساجد فيجد منهم كثيرين فبرسل فقبا يحكم الجبل بدلا مني . ثم قال الشيخ صالح انني رأيت كلام الامير بمحله لان الجبل يحتوي على كثيرين من اهل الفساد والاشقياء فالحاكم المتقي المتدين المشغول بتأدية واجبات العبادة لا يقدر على ضبط هؤلاء الاشقياء وتعديهم يمتد لخارج الجبل ويعسر التحرز منهم . فضبط اشقياء الجبل يكون منه الراحة للبلاد التي في جواره من جهة البر وللمدن التي في السواحل . فافتتح الوزير (٦٩) بكلام الشيخ صالح وبلغ الامير ما حصل منه وجعل له مرتباً سنوياً يرسله له . وقيل ان مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس الذي كان اصله فلاحاً من القلمون وترى بخدمة الامير حسن اخي الامير بشير وبخداقته ونشاطه تقدم عند الحكومة حتى صار حاكماً في طرابلس الملحقة لولاية صيدا انه كان اكبر الساعيين عند عبدالله باشا بتكدير خطره على الامير بشير . فعبدالله باشا توجه لعنده المعلم بطرس كرامة لاستكشاف خطره من بعد ما عرف الامير ما توقع من قاضي طرشيحا فرجع ويده جواب للامير مملو من كلام انشراح الخطر من نحوه حتى اقه مكتوب في اعلايه بيد عبدالله باشا هكذا ان هذين السطرين بخط العبد الفقير يا ولدنا المكرم انني قد جربتكم واختبرتكم مراراً وتكراراً فما وجدنكم الا كقول القائل .

وانت الخالص الذهب المصني
بتركشي ومثلي من تركي

فدوموا سالمين وعليكم سلام الله وبركاته . فالامير عندما وقف على هذا الجواب انسر جداً ولكن المعلم بطرس قال له ان الباشا غير ممكن الا ان يتقلب في رأيه لان المعلم حاييم العاقل قد خلى دهبانه منه ولا يوجد حوله الا المفسدون الذين استولوا على عقله وجذبوه لاستماع اراهم ولا يمكن ثباته عشرة ايام كما انني شاهدت الاحوال في عكة ووقفت على الحقايق وانه موجود عنده من الثقا فلان وفلان كارهين تصرفاته ولم يعد في مقدورهم ان يمنعوه عنها لكثرة المفسدين واستيلائهم على عقله . فكتابته الان لسعادتك لا يلزم اتخاذها الا فرصة قصيرة لتدبير نفسك اما لاشهار العصيان عليه واما لترك الحكومة . اجابه الامير ان العصاة

على ولي الامر هذا غير ممكن افعله وانما سأفتكر بما يوافق السلوك فيه . وحالا
استدعى الشيخ بشير جنبلاط لعنده للمفاوضة فيما يجب عمله . فحضر وغب
المذاكرة باجتماع رأي من يوثق بهم قر الرأي على القيام من الجبل الى اياالة الشام
وانتظار صفاوة خاطر عبدالله باشا . فالامير طلب من جرجس مشاقه افادة ما
يوجد بالخزينة من النقدية وبعد تحريرها وجدت ثمانية وعشرين الف غروش لا
غير على حساب الريال العمود بستة غروش وربع كناية عن الف ليرة لان الذي
كان عند الامير من النقود هو قليل من اصله لكثرة مصارفه حتى انه لاجل
يستجلب رضى عبدالله باشا كان يستدين على نفسه ويقدم له كلما يطلبه . وعندما
تقدم له علم النقدية الموجودة قال للشيخ بشير ان هذا المبلغ ليس هو شيء
بالنسبة للمصارف التي نلزمنا في غربتنا . اجابه اني اقدر على تدبير كلما يلزم .
حينئذ نبه الامير على جميع خواصه ان يستعدوا للقيام معه بعد ثمانية ايام . وكان
ذلك اواخر شهر شباط سنة ١٨٢١ . فقام بعد ثمانية ايام ومعه عدا اولاده الثلاثة
من الامراء الشهابيين الامير حيدر الاحمد من قرية شمالان والامير عباس من قرية
مجدل معوش وكافة اتباعه واتباعهم ثم الشيخ بشير جنبلاط واولاده واولاد اخيه
الشيخ حسن وامرا بيت رسلان وكل من ينتمي اليه . فكان جملة القادمين مع
الامير ما بين فارس وراجل نحو ثلاثة آلاف نفس . واما جرجس مشاقه اصحب
معه من اولاده ابراهيم واندراوس وحنانيل . واما الصغير بن جبرائيل وروفايل ارسلهما
لصيدا . وبهذه الخطرة تعلق الشيخ حسين شبلي حمادة والد البكوات حمادة (٧٠)
من قرية بعقلين بخدمة الامير وظهر منه الفشاط وصدق الخدمة فاحبه الامير
كثيراً . فلم يبعد الامير ساعتين عن بيته وزل عند قرية كفربرخ لتجتمع رجاله .
واذا بتاتار قادم من عكا بكتابة من عبدالله باشا للامير بتطلب منه اشياء لم
يعد في امكانه تقديمها . فحرر له جوابها يستعطف خاطره وانه لو كان باقي في
امكانه تقديم المطلوب فلا يتاخر عن ذلك وانه قام من الجبل وينتظر صفو
الخاطر وابنا حل يقدم الامراض لاعتابه ليكون محل وجوده معلوماً لدى دولته .
ثم نهض الى قرية حانا حيث سكنى المقدم ابو علي مزهر زوج اخت الشيخ
بشير جنبلاط . وبات هناك ليلتين حتى تكاملت الرجال . فانتقل الى قرية قب
الياس من البقاع الغربي تبع اياالة الشام ولحقه هناك المقدم ابو علي واولاده المقدم
ابو حسين والمقدم اسعد وبقي هناك يومين . وامر جرجس مشاقه ان يرسل اولاده
لدمشق لانهم غير معتادين على مشقة الغربة وان يبق هو بخدمته فأرسلهم
لدمشق . اما الامير فأرسل معروفاً لعبدالله باشا بانه خرج من حدود اباالة

صيدا الى ارض البقاع قاصداً بلاد حوران ويبقى فيها رهين امره . ثم انتقل
الامير بمن صحبته الى راشيا ثم الى القنيطرة ثم الى جبل دروز حوران . ومن
حوران قدم معروضاً لعبدالله باشا يعرفه بوصوله اليها يقيم بها منتظراً انشراح
خاطره عليه . هذا وان عبدالله باشا عندما بلغه قيام الامير من الجبل حور الى
الاستانة ان يرسلوا له الامير حسن قاتل ابيه وعمه الذي تظاهر بدين الاسلام .
(الامر ببر الوالدين ولو كانا من الكافرين) . فأرسلوه وقبل وصوله تقدم لحكومة
الجبل اثنان من وجوه الامراء الشهابيين وهما الامير حسن ابن الامير علي ابن الامير
حيدر الجدد الجامع بينهم (اي بين شهابيين لبنان) والامير سليمان ابن الامير سيد
احمد الذي اعماه اخوه الامير يوسف ابن الامير ملحم اخي الامير علي المذكور .
فأعطيت هما ولكن عبدالله باشا سلخ عن حكومة لبنان اقاليم الحرنوب والتفاح
وحزين وجبل الريحان ومدينة جبيل . والامراء المذكورون تظاهروا بدين الاسلام .
والمشايخ النازحون من الجبل كبيت عماد وغيرهم قد رجعوا لخلائعهم .

واما اولاد جرجس مشاقه حسب امر الامير حضروا لدمشق وكان وزيرها
معزولا والمحاكم بها وكبلاً من طرف درويش باشا الذي توجهت عليه ولاية ايلة
الشام وهو قادم بالطريق . وهذا الوكيل اسمه درويش آغا ابن جعفر آغا من
آغاوات دمشق . فبلغه ان اولاد صراف الامير بشير حضروا لدمشق . ومعهم
احمال صناديق خزينة الامير بشير فصدر الامر بربطهم وطلب المال منهم حال
كون الامير مفلساً وهم تركوا اوطانهم وارزاقهم وديونهم بالجبل بغتة (٧١) وبالكاد
استحصلوا شيئاً يسد احتياجهم مؤقتاً . فعندما بلغهم الفحص عنهم اختبوا في
مكان بائنون فيه على نفوسهم حتى باتهم القرح .

ان الامير بشير عندما بلغه قدوم درويش باشا والياً على ايلة الشام ارسل
اليه معتمداً من خواص معتمدي الشيخ بشير اسمه يوسف العكاوي من كانوليك
دير القمر مصحوباً بخمسة افراس من جياد الخيل بملابسها المزينة وعن يده
معروضاً يتضمن التجاوب لتحت انظار دولته في جبل حوران . فلاقاه يوسف
العكاوي الى حماه وقدم له المعروض والخيول فقبلها وقرر لديه الكلام الذي تحمله من
الامير . فتجاوب بأنطف عبارة من التطمين الكافي للامير بانه ييدي نحوه كل
مساعدة فرجع مسروراً . وعندما شاع ذلك ارتفع السؤال عن اولاد مشاقه .
فاتباع الامير كالشيخ منصور الدحداح واقرباه ويوسف الخوري الشلقون المتقدم
ذكره والمعلم بطرس كرامه حضروا لدمشق واقاموا بها مدة . ودخل الوزير لدمشق
بيوم حافل . وكان كائنه من المتفرجين على دخوله خارج المدينة . وكانت

المدافع مسحوبة اولاً ويلبها الحمرمون يرفلون بالقيود الحديدية احضرهم صحبته من بلاد المعرة وحماه وحصن التابعات ولاية الشام ليقتلهم بدمشق في ايام متتابعة ارباباً للناس . ويلبهم العساكر المتنوعة الاشكال فرسان ومشاة ثم بطريرك الروم بدمشق وجاعته تحمل الشموع المشعلة ثم ارباب الطبول والزمور ثم اعيان دمشق ثم الوزير يرمي السلام على الجانبين وامامه مناد بالصلاة على النبي . ثم بعد الوزير جوق آخر فيه كتخدابه . فكانت المدافع المسحوبة تطلق النار وتجاوبها مدافع القلعة وبواريد العسكر . واصوات الطبول والزمور لا تفتقر . وكان ذلك باثناء عيد فصيح الروم . فكان واحد من جاويشية الوزير يرمح بحصانه امام صفوف النصاري المتفرجين ويصرخ باليونانية خريستوس اينستي . فكان عمله هذا مبهجاً للنصارى لان لم يسبق لسماهم هذه الكلمة من فم مسلم تركي . (والعادة في دمشق عندما يصدر امر الوالي ان يحنقوا احداً من الخيوسين بالقلعة فلا يكون خنقه الا عقب آذان المغرب . فيضعون حبل الخنقة في رقبته ويضربون له مدفعاً يسمعون صوته ثم يحنقونه ويطرحونه امام باب القلعة ليراه الناس في الصباح . فن صوت المدفع بعد الغروب يعلم الناس انهم يحنقون انساناً ولكنهم يكفون النصاري واليهود بعملية القتل كيلا تلحقهم جريرة القتل كون الوجه الشرعي ان الفعل يضاف الى المباشر لا الى المسبب . فعندما يصدر امر الحكومة ان يحنقوا انساناً فيكون فرحاً عند الانقار الموظفين بالقلعة فينفردوا (٧٢) بالمدينة وكلما نظروا نصرانياً او يهودياً يقدر ان يدفع لهم شيئاً وهم من الذين لا يقدمون على هذا الفعل فيكفونهم اليه فيخلص منهم بدفع الدراهم وربما يتخلص من الواحد فيقتل ثانية بيد الآخر فيجتهد من يبلغه الخبر ان يحنق ذلك اليوم . فعند آخر النهار بمسكون واحداً يقدر على الخلق ولا يفلتونه حتى يحنق الصادر الامر باعدامه وذلك بعد امتلاء اكياسهم من الدراهم . والله الحمد ذلك التعدي صاو من المتنوعات منذ تولي المصريين على سوريا حتى الآن . فثاني يوم دخول الوزير وقت الغروب سمع ضرب مدفع واحد من القلعة فعلم انه لحنق انسان . ففي الصباح عرف انه احمد آغا الشاط ريس الطحانة بدمشق . وخنقه كان لجنايته بمعارضة طوع الوزير السابق عن الخروج حتى يدفع ما عليه الى الطحانة . فصورت الدعوى ان الوزراء بالسابق كانوا في الشام يلزمون الطحانة ان يقدموا خبراً لزوم بيوت الوزير وكتخدابه وكافة خدامه ورجال دابته وموظفيه حتى سواس خبولة ويعطى ثم الثمن دون ربح القيمة العادلة . وصودف تلك السنة اي سنة ١٢٣٥ كان الغلاء شديداً بمدينة دمشق فتضاعف ضرر الطحانة بما

يقدمونه والوزير يماطل بالدفع حتى اجتمع مطلوبهم منه خمسة وثلاثين الف
غرش محملة ذلك الوقت نسائي الف ليرة انكليزية وهي متكلفة عليهم ربما ستة
آلاف ليرة بسبب الغلاء . فالوزير ورد الامر بعزله ولم يدفع لهم مطلوبهم وحالهم
لا يحتمل الصمت عن طلبه . فرئيسهم احمد الشهاب عمل الوسائط اللازمة عند
الوزير المعزول لاستحصال حقهم فما امكن الى ان عزم الوزير على السفر بدون
دفعه الذي عليه هؤلاء الفقراء . وكان عادة الدولة تعطي الوزير ثلاثة اطواخ
وهي اذنان خيل فالتذب معلق من اسفله في راس عصاه طويلاً نحو ثلاثة اذرع
وشعره مسدولاً عليها . فالوزير اذا سافر يرسل الطوخ الواحد قبل سفره بيوم
لحمل تزوله فيستعدون لاستقباله وتهيئة ما يلزمه من المأكولات والعلف للدواب وهذا
بلا ثمن واما الطوخان الباقيان فيمشان امام الوزير عند سفره . ومعنى الاطواخ ان
الدولة باذنان خيلها تحكم البلاد . فاحمد الشهاب عندما نظر الطوخ خارجاً من
المدينة بدون دفع الوزير ثمن الخبز فاوقفه حتى دفع الوزير ما عليه ضد ارادته .
فاخبر درويش باشا ان يقتل هذا المتعدي في طلب حقه . فهكذا كانت تصرفات
المأمورين قبل ان تربطهم الدولة بالقوانين التي جددتها . وفي الليلة التالية عند
الغروب سمع صوت سبعة عشر مدفع . فاحتسبنا من ذلك ان يكون لحادث
بالمدينة . فبعد الغروب بنحو ساعتين اتى لعندنا شاباً من موارقة دير القصر خدام
الامير اسمه غالب ابي عكر فسألناه عن ضرب المدافع قال لا يكون لكم فكر
بمقصودها سأخبركم عنها بعد ان تعشوني لان رفاقي قفلوا مكان تزولنا وراحوا
يسهرون ولا اعرف مكانهم . فبعد ان عشيناه اخذ بخبرنا انه قبل الغروب بنحو
ساعة مر على خان التوتون عسى يصادف رفاقه وينزل معهم لحارة النصارى
ليتمشوا واذا باثنين من توفنكجية الحكم قدما اليه وسألوه انت غالب ابي عكر
اجبتهم نعم قالوا امشي معنا على السرايا لان امرأة قدمت عليك شكاية اجبتهم
قط مالي مشابكة مع احد . اجابوه نحن مأمورين باخذك لقدام التوفنكجي
باشي وهناك نبر نفسك . فالتفت وجدت حنا عزام جالسا على صندوق (حنا هذا ابن
ابراهيم عزام الذي (٧٣) شقيقه الجزار مع الامير يوسف ثم اتصل بخدمة الامير ونقدم
عنده وكان يعتمد به بارساله لعند الوزراء ولكن الحزل متقلب على طبعه) فقلت
له بعرضك يا حنا خلصني من هؤلاء . فاجابني ببرودة وهو يضحك . امشي
معهم واذا تحببت ابعت لي خبر واذا نهار غداً اذا قضيت وصار لي فرصة
فافحص دعواك ان وجدت بها جزئية حيثئذ انتظر اليوم المناسب اذا كان لي
شغل عند الباشا ووجدته مذشر الحاظر يمكن اني اجيب له سيرتك في معرض

الكلام وربما يسمح باطلاقك . فالتفت فيه وقلت له دعهم يشتموني فهو اهون علي من استماع برادة كلامك . فازداد قهقهة ومشيت مع التوفنكجية . فبوصولي الى العسرونية مالوا بي في طريق القلعة قلت لهم انا ماخوذ للسرايا ما بالكم ملتصقون بي الى القلعة . اجابوني الآن صار المغرب قريباً وكل من بالسرايا توجه لبيته فتمام هذه الليلة بحبس القلعة ونهار غداً قريب الظاهر تعرضك على التوفنكجي باشي وترجع لمحبسك لوقفنا يصير فضاوة للحكم يفتشوا على الامراة وينهبوا عليها بانها متى قضيت من اشغالها تبقى تحضر للسرايا حتى يفهموها عن اليوم الذي يفضون فيه لسماع دعواها . فقلت لا حول ولا قوة الا بالله . اني كنت في غنى عن دخولي لهذا الخان ثم دخلت معهم الى القلعة فوجدت في البوابة جملة رجال نصاري ويهود جلوساً سيكون . فقلت للذين احضروني لماذا هؤلاء هنا . اجابوني الآن نخبرك الصحيح . ان افندينا ارسل بهذا اليوم امراً باسماء سبعة عشر شخصاً من المحبوسين لكي تختفهم هذه الليلة . فحسب العادة مسكنا هؤلاء لكي كل واحد منهم يحنق واحد ويقتلنا محتاجين لواحد فحنا عزام دلنا عليك وعلمنا كيف نعمل معك . وبالْحَقِيقَةُ لا نريد منك غير خنق واحد بعد آذان المغرب . قلت لهم احترق دمي من عملكم معي كنتم عملتم معي معروفاً لو كنتم اخبرتموني عن مطلوبكم فهذا امر سهل . واما هؤلاء الذين يكون قلوبهم ضعيفة دعوهم ينصرفوا لعند عيالهم وانا اقضي اللازم عنهم . قالوا هم كثيرون عليك اجبتهم اذا كانوا خمسين لا افكر بكثرتهم . فارتضوا معي وصرفوهم . وعندما اذن المغرب اخذوني لخل وصاروا يقدمون لي هؤلاء المحبوسين الواحد بعد الآخر مكتوفين اليايدي والقيود في ارجلهم وكنت اخنقهم بكل خفة عداكم نهر تعبت في خنقهم لانهم اقوياء ورفاههم غليظة وجالدوا كثيراً حتى قدسرت على تمويتهم . وبعد ان تمت العمل سألتهم هل عندكم غير هؤلاء حتى تختفهم فعوضاً عن اظهارهم الممنونية اوسعوني لعنات . فخرجت من القلعة وزلت لحارة النصاري وحضرت لعندكم والسلام .

ومن حوادث دمشق انه حين حضورنا اليها كانت طابفة الروم الكاثوليك بغاية الكدر مما وقع عليها من السيد سيروفيم بطريرك الروم الارثوذكسين . وبذلك الوقت كان حكمه نافذ عليها وبحسبها من جملة رعيته وقسوسها تحت امره لا يستطيعوا ان ينجزوا موتاهم ويدفنوهم ولا يعقدوا زيجة الا باذنه لان الدولة العلية وقتئذ لم تكن تسمح بمعرفة الطوائف الكاثوليك التي انشقت عن اصولها ولا يسمح لهم ان يلبسوا القلنسوة ولا الطربوش الاسود (٧٤) ملابس كنياسيين الروم بل ملابسهم

تكون كلابس العوام والقصاص للقسوس يكون من بده . وكان سنة ١٨١٩
حصل اختلاف بين كاثوليك حلب وبين مطران الروم جراسيموس التركان
الذي طايفته هناك نحو خمسين رجلا . واما الروم الكاثوليك فيزيدون عن الالف
وخمماية رجل . ولا يجهل ما للحليين من شدة الجلد على المقاومة لتنفيذ مرغوباتهم
اذ طيبتهم لا ترطخ للذل فيهلكون انفسهم ولا يرضون باذلالها . فالمطران المذكور
هو حلي الجنس ايضاً لا يرجع عن كلمته (المذكور فيما بعد عزل عن حلب
وتمطرن على صور وصيدا واقامته كانت في حاصبيا وصار صديقاً لكاتب هذه
الرواية) فتفاقم الامر بينهم وصار قتل احدي عشر شخصاً من الكاثوليك بسيف
الحكومة . وانتهت القضية بعزل المطران المذكور . فواقعة حلب مكنت البغضة
بين الطائفتين في جميع بلاد الشرق سيما ان البطررك اغناطيوس صروف الكاثوليكي
كان مقتولاً غدرًا منذ سبعة سنين بيد رجال من طائفة الروم . فجددت حادثة
حلب اوجاع الكاثوليكين . فصودف ان كاهنا كاثوليكياً من احدي قرايا دمشق
اغتاظ عليه البطررك سيروفيم لسبب ما مفوضاً عن قصاصه كنائسياً من يده ارسله
لسجن الحكومة . فالشبان الجهلة من الكاثوليك لم يتركوا القضية لعقلاء ملتزمي
حتى يستجلبوا خاطر البطررك لانه كان من جنس الروام حاد الطبع سيء الاخلاق
حتى مع وجود رعيته فلا يحسن التصرف . فتوجه الجهلاء لياب الحكومة وحسب
العادة كل الجراحات لم تشفى عند الحكام الا بمرهم الذهب . فاستخلصوا الكاهن
من السجن على غير رضى البطررك . فلم يكتفوا بهذا ويتركوا الكاهن يتوجه
لقريته سرّاً بل تجمهروا وساقوا الكاهن امامهم وعندما بلغوا الحارة انصارى وقفوا
راية تمثلي امام جوقهم وهي عصا على راسها خدء قديم ومناد يصرخ اذا كانت
هذه راية البطررك سيروفيم فيرد عليه الجمهور سود الله وجهه . وجعلوا مرورهم
امام كنيسة الروم ودار البطررك . ومن المعلوم انه لو كان البطررك ميناً فهذه
السفاهة تحركه . فعضلاء الكاثوليك تكذبوا جداً من هذا الفعل الذي جرى ورده
خارج من دابة الامكان . واما البطررك فامتلاً حقاً وامر بمسك جميع قسوس
الكاثوليك بيد الحكومة وخلق لحام وتقيهم لجزيرة ارواد فتفهم عن طريق طرابلس
فوجود الكاثوليك هم اصحاب النفوذ عند والي صيدا لا بل ان عياد الله باشا كان
له الميل نحوهم . فاعرضوا لديه ان قسوسنا من رهبان دير القلص هم رعاياكم
وظيقتهم نادبة الخدمات الدينية لانباء طايفتهم في البلاد الشامية والمصرية وبطرك
الروم لا يفتر عن التعدي على جماعتنا وسعادتك تعرف انه بمدة المرحوم عمك
اتصل التعدي منهم ان يطلبوا الاستيلاء على كنائسنا في صيدا . وحضر من طرف

بطركهم وكيلا زخريا مطران عكار لاستلامها . ولكن المرحوم عمك قال يلزم المدعي ان يثبت دعواه اولا لدى الشرع (٧٥) الشريف ويتعامل بالوجه الشرعي فترافعا معه لدى القاضي بحضور المفتي والعلماء بديوان سعادتك اذ كنتم كتنخدا المرحوم . وظهر بطلان دعواه . واعطى لنا حجة شرعية بمنع دعواه . فالآن بطريكتهم بدمشق ملك الرهبان الموجودين بها من رعاياكم وفاهم الى ارواد ولكن عن طريق طرابلس حيث لا يوجد كاثوليكي يسأل عنهم . وحيث ارواد هي تحت ولاية افندينا نسترحم حضورهم لديرهم لانهم يهلكون جوعاً بذلك الجزيرة . ولا يوجد احد يجوارهم من جماعتهم ليسأل عنهم . فاعتناظ الوزير لذلك وقال ان الذنب جميعه من كاتب الحكومة هناك نعوم الغريب . فكيف لا يغير المسلم ان الواجب اعراض الحادثة لدينا وانتظار امرنا بخصوصها ولا يلزمه السلوك بامر والي الشام . وحالا صدر امره بعزل الكاتب وتكديره مع تكدير المسلم وارسال الرهبان لديرهم بكل راحة عن طريق صيدا . واما البطريرك سيروفيم لم يكتب بئني القسوس بل قدم الشكاية للوزير بان جانب من رعيته المتولي عليهم بموجب الامر السلطاني قد عصوا عليه بدسايس الافرنج وانقادوا لمذهب الكاثوليك الذي لا تسمح الدولة لرعاياها باتباعه لما فيه من المخدورات . لذلك يلزم ان يجبروا على الانبعاد عن مذهب الكاثوليك ويسلكوا بطاعة بطريكتهم ويصلوا في كنيسة ابائهم واجدادهم . فالوزير بعد ان استعلم عن اسماء وجوههم استحضرهم لديره وافهمهم عن مطلوب البطريرك . اجابوه نحن لا نعرفه متولياً على عقايدنا فتولت والي على الجميع ولا تعارض احداً في امور دينه معتقده ولا نلزمه الا بدفع المرتبات الميرية وحسن السلوك . فاذا كان له علينا مرتبات فلا نتوقف عن دفعها وان كان لاحد منا جناية فيقدمها لديكم وسعادتكم تحتفونها ونجرون اللازم واذا كان لا يقتنع بذلك فنحن خاضعون للشرعية الغراء فيصدر امركم بمرافعة معنا . وكلما توجه علينا الشرعية نسلك بموجبه . فتوقف معهم حتى ينظر مفاتيح الذهب فتوجهوا واحضروها له . حينئذ جاوب البطريرك ان الجماعة انكروا دعواك فيلزمك اثباتها شرعاً . فالبطريرك يعرف ان دعواه لا تعضدها الشرعية فقدم للوزير ما يرضيه من المال بحيث يساعد على تنفيذ فرمانه بدون مرافعة . فالوزير قال للكاثوليكين ان البطريرك متمسك بمضمون فرمان السلطاني ولا يرتضي بالمرافعة فاخرجوا له فتوى بان فرمانات السلاطين تحيل احكامها بما يطابق الشرع . وارضوه بالمال . فاعتذر للبطريرك بمضمون الفتوى . ولا زال الوزير يلعب بالفرعيتين حتى غرقوا تحت الديون . وعندما عرف عجزهم عن الدفع حتم على الفرعيتين

بالمرافعة الشرعية امام القاضي في ديوانه بحضور المفتي والعلماء ويكون ذلك ليلا
 لانه كان صيام شهر رمضان . فحضر الفريقان للمرافعة وكان اوباش الطائفتين
 يجتمعون خارج المجلس ينتظرون معرفة ما يكون . ففي تلك الجلسة لم تنتهي الدعوى
 ولكن ظهر من سياقها انه (٧٦) سيكون الحكم بمنح البطريك عن دعواه وانفض
 المجلس . وبعد انصراف الجميع من السرايا بنحو نصف ساعة رجع البطريك
 لعند الوزير مدعوراً وقرر اني فيما كنت متوجهاً الى منزلي تبني جمهور من
 اشقياء الكاثوليك ليقتلوني واهانوني كثيراً وبالجهد حتى اقتدر انباغي على تخليصي
 من بين ايديهم . والتجيت لبيت فارس بك عظم زاده حتى انصرفوا وحضرت
 اشكو حالي ليصير معلوم سعادتك اعمال كبراء الكاثوليك بانهم يجروا مرغوباتهم
 بيد صغارهم ويعتدرون بانهم جهلة لا يشاورونهم عما يفعلونه ولذلك اطلب
 قصاصهم . فالوزير لم يتوقف عن ارسال كافة التوفنكجية بالقاء القبض على
 جميع رجال الكاثوليك وحبسهم حتى بالغداة يصير اجراء اللازم . فكانت ليلة
 مخيفة لجميع طوائف النصارى بدمشق حتى للروم ايضاً لان التوفنكجية لا
 يعرفون الكاثوليكي من غيره ولا يصدقون كلام من يمكونه اذا قال لهم انه من
 طائفة اخرى ليلا يكون حيلة للتخلص . وبما ان شهر رمضان كانت الاسواق
 مفتوحة ليلا مع القهاري ومراسح الالعب وآلات الموسيقى تشغل في الجهات
 واكثر النصارى خارج بيوتهم للانصراف فتيسر القاء القبض على اكثرهم من
 جميع الطوائف حتى ان الخيوس لم تعد توسعهم فصاروا يحبسونه مع الدواب في
 الاسطبلات . فباتوا تلك الليلة اشنع بيات . وفي اليوم التالي صار تمييز غير
 الكاثوليكي واطلاقه . ثم ميزوا الذي وجدوه من معتري الكاثوليك واخرجوهم
 لادام باب السرايا وجلدوهم بالعصي على ارجلهم امام عموم المتفرجين وارجعوهم
 الى السجن حيث جلوسهم ومنامتهم على الارض الندية بدون فراش يقيهم من
 المضرة . اقتضى لهم ان يستعملوا مرهم الذهب كالألوف وصار اطلاقهم . وحيث
 ان شكوى البطرك عليهم كما يزعمون كانت تزويراً قد عملها مكيدة لهم عندما نظر
 ان الشريعة لا تسند مطلوبه قد اخترعها لتوقيف ابراز حكم القاضي فسبحان
 من يعلم الحقيقة

. فوجوه طائفة الكاثوليك اختشوا من مكاييد البطرك التي لا
 يمكن التخلص من كل واحدة منها الا بالدارهم الكبيرة حال كون طائفتهم
 في جميع المملكة لا تبلغ خمسة عشر الف رجلاً . وطائفة الروم بالمملكة

خسة عشر مليوناً وفيها من الاغنياء ما يملكه الواحد يساوي ما تملكه جميع الكاثوليك فمن اين يقدر (٧٧) على مقاومة البطرك . على دعاويه طالما لا يكون الا بدفع الرشوة للحكام والقضاة . ولذلك صمموا على ترك اوطانهم ونزحوا لدير الخلد في لبنان . وبعد ايام وردت الاخبار بان الاروام في المورة وسراير البحر الايض قد اجهروا العصيان على الدولة وتحقق لديها اتفاق كهراء روم القسطنطينية وبطريركها معهم على استخلاص بلاد الروم من تسلط المسلمين وان حضرة السلطان محمود امر بشنق البطرك وشنقه يوم عيد الفصح وقتل كثيرين من طائفة الروم . ثم صدرت الاوامر السلطانية بقتل المفسدين من كهراء طائفة الروم واذلال النصارى في جميع الممالك العثمانية . وعند ورود الامر لوالي الشام عقد مجلساً من اعيانها وتلاه على سماعهم فكان كلامهم ان النصارى عندنا لا يوجد منهم مفسدون بل جميعهم ذميون سالكون بشروط الذمة فلا تجوز اذيتهم بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا وحضرة نبينا اعطاهم العهد الذي فيه يقول من تقلد ذمياً كنت خصمه يوم القيمة ونحن لا نقدر نحمل ثقل هذه المسؤولية على انفسنا . فقر الحال بان كتبوا عرض محضر للدولة بحسن سلوك نصارى الالبالة وطاقاتهم ودفعهم المراتب الميرية ويستحقون حسن الرعاية والمرحمة من جانب السلطنة السنية . فرضيت الدولة من نحوهم . واما باقي البلاد منها ما قد حصل فيه ازعاج للروم كأزمير وقبرص فانهم قتلوا فيها جملة الشخصات من معتبري طائفة الروم . وقد اكتفى وزير الشام بالحتم على النصارى ان تكون جميع ملوساتهم الخارجية ذات اللون قاتمة وان تكون احذيتهم سوداء الذي بعد ان دفع له النصارى خمسون الف غرش سمح لهم الاحذية الحمراء كالعادة . ويوم المتادات كان عند محرره مشايخ بيت الدحداح ويوسف الحوري شلفون المتقدم ذكره وغيرهم نحو عشرين شخصاً ولم يعودوا يستطيعون على الخروج للازقة بالاحذية الحمراء حتى استحضروا الزاج مع خادم توجه للسوق خافياً وصبغناها سوداء . فن حادثة قيام المورة وشنق البطرك ضعفت شوكة بطرك الروم بدمشق فرجع اليها جميع كهراء الكاثوليك النازحين منها مع قسوسهم الذين كان البطرك المذكور قد تفاهم .

(ولنرجع لسياق بحيرة الامير بشير . قد ذكرنا قبلاً انه قام من الجبل ولم يكن عنده من النقود سوى ثمانية وعشرين الف غرش وان الشيخ بشير جنيلاط تعهد له بتقديم المصارف اللازمة على القابحين من بلادهم معه وهم نحو ثلاثة آلاف

رجل منهم نحو خمسمائة فارس وان الذي يقدمه يكون ديناً على الأمير . فالأمير بقي محتاجاً للدراهم لمصروفه ومصروف اولاده الخصوصي . فأرسل جرجس مشاقه لعند اولاده بدمشق لكي يستدين له مائة الف غرش تحت المراجعة التي كانت قيمتها وقتئذ تساوي اربعة آلاف ليرة . وأرسل معه رهناً على الدين قيمته ضعف المبلغ من شيلان كشمبر وفرو ثمين ومصوغات ثم سنداً على الأمير تحت امضايه وختمه بقدر المبلغ مع ابقاء فراغاً فيه لوضع اسم الدائن . ان جرجس مشاقه واولاده يجهلون صيارف الشام وكان موجود بها حينئذ تاجر حرير من معتبري تجار دير القمر اسمه بطرس الجاويش . فصار الاجتماع عليه واختاره بما يلزم وان يدل على الصراف المناسب . فقال ان الصيارف هنا لا يعطون ديناً لخارج الشام سيما ان مدة الوفاء مجهولة ولكن بهذا اليوم افحص على دين وفي الغد احضر لعندكم بالجواب . ففي صباح اليوم التالي حضر الخواجه بطرس المذكور ومعه رجل مهاب اسمه السيد محمد الجوخني وبتبعهما زنجياً حاملاً كيساً ثقيلاً فرحبنا فيه وغب ان جلس قال ان الخواجه بطرس اخبرني عن المبلغ اللازم لسعادة الأمير وقد احضرته بهذا الكيس الذي هو مع العبد فاستعدوه . فوجدناه صنفاً واحداً ارباع ذهب فندفلي ذا الزنجير وكان ذلك قليل الوجود وتظن انه لا يوجد منه هذا المقدار عند جميع صيارف دمشق . قال اني اخترت هذا الصنف لكون سعادة الأمير في غربة باقي اصناف الذهب يلزمها الوزن اذ يوجد منها ناقصاً . كذلك هذه الارباع اوفق للمصروف لصغرها . وبعد استلام الدراهم تحرر اسم السيد محمد الجوخني بالسند المرسل من الأمير وتقدم له . وأخبر عن الرهن الى ابن يريد ارساله له فصحك وقال ان سعادة الأمير ارسل السند والرهن لربما تأخذون الدراهم من انسان لا يعرف ما هو الأمير . واما انا ولئن كنت ما حصلت على معرفته بالمواجهة الا اني اعرف اخباره عن بعد واشكر معروفكم اذ كنتم واسطة للعرفة بيننا ففها لزم لسعادته فاني مزعع اقدم له كل ما تملكه يدي ثم شق السند وارجمه ولم يقل استلام الرهن . فجرجس مشاقه ارسل الدراهم للأمير مع السند المشقوق واعرض له كل ما توقع وان الرهن باق عنده (٧٩) تحت امره . فرجع الجواب وعن طيه تحرير للسيد محمد الجوخني يظهر فيه عظم ممتونيته لمعروفه الذي ابداه نحوه على غير سابق معرفة وان المائة الف غرش مرسله قد وصلت مع السند بها الذي شقه وارجمه اليه ولكنه يؤمل منه قبول استلام الخوايج مرسله . فاذا شهادته لم تقبلها على صفة الرهن على الدين فتقبلها على صفة الوديعة لاجل المحافظة عليها من التلف بالغربة كون اكثر شالات وفرو مما يتلقه الغيار والعت . فهذا التحرير

جعله الأمير كسند عليه . فالسيد محمد ارتضى واستلم الخواجج على صورة المحافظة عليها من التلف . والأمير غب رجوعه لمحله كما يأتي كلفه بالحضور لعنده وانزله بافخر مكان في سرايته وأوقف لخدمته خاص خدامه وأجرى له كل الاعتبار . وبعد أيام عندما عزم على الرجوع لدمشق ألبسه فرواً فاخراً وأعطاه فرساً من جياذ الخيل لركوبه وأمر أن يدفع له مبلغ الدين مضاعفاً وأصحابه بفرسان ترافقه لدمشق ودامت صداقته لوفاته .

فالأمر ما كناه ضنك المعيشة واحتياجه لاستدانة المال لأجل سد الاحتياج إلا أن والي الشام درويش باشا طلب منه خمسمائة ألف غرش لكي يسمح لحيلولة أن ترمى في أرض مرج الروم حال كون خيل الوزير لا تؤمن على نفسها بالاقامة في تلك الأراضي . فالرجال الموجودة مع الأمير كفاية لقهر الوزير وإخراجه من دمشق ولكن الأمير كلي الخضوع لولاة الأمور فباشير بتحرير معروض استعطاف خاطر لعبدالله باشا وأرسله صحة حنا عزام المتقدم ذكره معتمداً من قبله حاملاً كلاماً شافهاً يعرضه للوزير ملخصه أن الأمير أفتى عمره بخدمة جلدك الجزائر وخدمة عمك سليمان باشا ثم بخدمتك وذلك بكل استقامة وصداقة وأخيراً شعر بانحراف خاطرك عليه فغزل نفسه وحتى لا يكون لمن يتخلفه بحكومة الجبل أن ينسب إليه سبباً ما قد نفي نفسه لإثالة الشام وارتضى بسكنى القنار ويستدين لمعايشه منتظر وقت انشراح خاطرك عليه ليرجع ويقبم تحت انظارك أينما شئت . وهو بعد أن شاخ في خدمة ولاية صيدا لا يمكن أن يلتجئ لغيرهم . فالآن والي الشام طالب منه خمسمائة ألف غرش ليسمح له بأن . على دوابه في برية حوران فلو كان عنده مبلغاً كهذا كان يقدمه لخزينة ولي نعمته . فالآن يسترحم من دولتكم أما الكتابة لوالي الشام بأن يرفع عنه هذا الطلب كونه أحد خدامكم وأما تأمرون دفع المبلغ من خزينتكم لأن الأمير لا يطلب العطاء من يد أحد غير يد ولي نعمته وأما تأمرون بحضوره إلى اعتابكم تفعلون به ما يحسن بأمركم . ثم أن الأمير قد بلغه عصيان الأروام بالموره وأن مراكبهم تنحطى إلى شواطئ البحر في بلادنا وبضرون ببناء السيل إذ يطلعون أحياناً إلى البر ويؤذون المارين ويقتلون منهم . ولربما تلزم خدمة للجهاد فالأمير يقدم نفسه إليها . فكان جواب عبدالله باشا أن كلام ولدنا الأمير جميعه بمحله فلا يشاهد مني إلا ما يسر خاطره فليحضر إلى شفا عمر وبوصوله يخبرني فأجابه عما يقتضي . وبالحال أمر بكتابة الجواب للأمير وأن لا يتأخر عن الحضور لشفا عمر وبوصوله إليها يخبره . فحنا عزام أخذ الجواب ورجع لعند الأمير وقرر لديه ما كان مع عبدالله

باشا . فصمم الأمير على ابقاء رجاله وجميع الذين برفقته من امراء ومشايخ بجبل
حوران وتوجه لشفاعمر بعشرين فارس لا غير

ثم ان الأمير توجه
لشفاعمر وصحبته عشرون فارساً لا غير واعرض للوزير بوصوله اليها حسب امره
فتجاوب ان يختار مكاناً لاقامته مع من يختصه . فالتمس ان يكون في جزين
حيث انسلك حكامها عن الجبل . فصدر له الاذن بذلك وارسل مأموراً من
خدام الوزير بمشي امامه ويقدم له الذخائر اللازمة لخبوله واتباعه . فحضر الأمير
لاولاده وللأمراء وللشيخ بشير جنبلاط الباقين في حوران عما حصل له وان بواقوته
بمن صحبتهم من الرجال الى جزين عن طريق راشيا فتوجهوا . كذلك خرجت
مشافه توجه وصحبته ولداه ابراهيم واندراوس . واما محرره ولده شاذل لم يرغب التوجه
معه حتى ينظر قرار احوال الجبل والأمير لانه ما هي فايدته من الاقامة في قرية
خارجاً عن وطنه ليس له فيها شغل . فبقي في دمشق بدرس كتاب الجمسقي في
الهيئة وبعض افادات حسابية ومساحية وموسيقية على العلامة الشيخ محمد العطار
المدرس الشهير بالعلوم العقلية والنقلية الى ان ركن حال الجبل فطلع الى وطنه .

اما الأمير بشير فبوصوله الى جزين حضر لعهده جميع اعيان الجبل ووضعوا
انفسهم تحت خاطره غير مفتكرين بالاميرين المتولين عليهم وذلك قبل وصول
جماعة الأمير من حوران الذين بعد وصولهم بأيام ارسل عبدالله باشا (٨١) تفويض
حكومة الجبل للامير وارجع له حكومة الاقاليم التي كان فصلها عنه عدا مدينة
جبيل كونها اسكلة بحرية لم يرجعها . فالامير لم يتوجه لبيته بل بقي اياماً في جزين
يرتب الاحوال . فحصل اجتماع عمومي من نصارى بلاد كسروان ونواحيها وكهنتهم
وحتموا بان لا يدفعوا الاموال الاميرية غير مالا واحداً حسب القديم لا ثمانية
اموال بحسبها هو جاري الحال . فالامير قدم لهم النصيحة بان طلبهم لا يوافق لان
ذلك لا يوفي مطلوب الدولة وترتيبه كان باعتبار قيمة الحاصلات واسعار المسكوكات
حين الترتيب فالآن بحسب قيمة الحاصلات واسعار المسكوكات . فالثانية اموال
هي اقل من المال الواحد القديم . فلا تجعلوا اسباباً تكدر خاطر ولاية الامر عليكم .
فلم يصغوا الى النصيحة وربما توجهوا النصيحة تذلاً من الأمير لبقى نفسه من
بطشهم . فتوجه الأمير بنفسه اليهم املاً باقتناعهم ولم يصحب معه غير ابنه الأمير
خليل والشيخ ناصيف ابني نكد واتباعه وبعض اتباع الأمير جميعهم نحو ثلثماية
نفس . فعندما نصب الأمير خيامه في ارض قرية الحفد في لحف جبل هناك

عسر الصعود اليه اجتمع من القوم فوقه نحو ثلاثة عشر الف رجل واطلقوا عليه بعض بواريد محشوة بالرصاص . فاستاذن ولده والشيخ ناصيف بالصعود اليهم فنتعهم بقوله انكم قليلين العدد والطريق اليهم لا يسع اثنان يمران فيه سوية وقد حررت للشيخ بشير جنبلاط وللشيخ حمود ابي نكد ان يحضرا لعندي بالرجال كذلك طلبت من الوزير اعطاء مدينة جبيل لنجعلها مركزا لاعمالنا وحررت لرؤساء الديانة ان ينصحوا الرعية عن المخاطرة بانفسهم فيلزم ان نأخذ الامور بطول البال حتى ننظر ما يجد علينا فتوقفوا . ولكن المتجمعين لم يفتر رصاصهم عن الوصول لجماعة الامير حتى انه اذ كان على الطعام ضمن غيمته خرقها الرصاص واصاب حامل كأس الماء فوق رأس الامير فوق وقع قتلا . حينئذ الامير خليل والشيخ ناصيف لم يصغيا لامر الامير وقالوا لا تترك الكلاب تفترسنا ونحن جماعة الاسد وصرخا على رجالهم بالصعود لضرب الجماهير فقتلوا اليهم ووجدوا بينهم كهنة تحرضهم وصرار بين الفريقين حرب شديدة انتهت بكسر تلك الالوف الكثيرة وقد فقد بهذه المعركة اثني عشر رجلا من جماعة الشيخ ناصيف الذي رجع مع الامير خليل لعند الامير واخبروه بتشتيت تلك الجماهير بعد ان قتل منهم ميثاق . وبتلك العشية ورد للامير التفويض باستلام مدينة جبيل فأمر بالانتقال اليها فانتقلوا (واما الشيخ بشير والشيخ حمود فجمعوا نحو اثني راجل من رجالهم وقصدوا مكان الامير وبوصولهم وجدوا نقار نهر الكلب مربوط طريقه عليهم برجال من كسروان فكسروهم بعد محاربة قليلة فقتلوا بعضهم وبعضهم نجا بالهرب . وبأمر المشايخ نهوا قرايا الازواق وحرقوها . وصادف الشيخ بشير بطريقه الخوري نهر فارساً ومتقلداً بالسلاح الكامل بالطايرة الكبيرة على رأسه وكان من اعظم القايمين بهذه الفتنه فعندما شاهده الشيخ بشير قال له المجد لله يا ايننا الخوري (كما يقول النصارى بثلث البلاد) كيف حال ابوتك صدقتي انني استحللت المصادفة لكنتي لا استليق هذا الكاسم لحضرتك ان كان يحسن عندك اعطي هذا السلاح لاتباعنا لان الكهنة سلاحهم كتابهم فاخذوا سلاحه . ثم قال له لا يلبق بالكاهن ركوب الخيل فركب البغال والحمير للتواضع فترلوه عن فرسه . ثم قال له اني اعشى عليك الشعب بالمشي فالاحسن انك ترتاح في ارضك وامر بذبجه . فكان بصيح ويرجي والشيخ يقول له ابوتك تسامحنا لان ذبحك اوفق لصالح الرعية فذبحوه ثم حرقوه وتركوه بارضه . وذهبوا لعند الامير الذي اجري قصاص المفسدين وحصل المطالب الميرية في تلك البلاد (وعندما كان الامير في جبيل ورد له الامر من عبدالله باشا ان يرسل اليه جدعون الباحوط

للكلام معه في مصلحة ضرورية ولا يرسل غيره . فهذا جدعون هو من وجوه
موارنة ساحل بيروت مستقيم (٨٢) السيرة سليم السريرة كان يستخدمه الامير
معتمداً يرسله للمكاملة مع الوزير وذلك قبل استخدامه المعلم بطرس كرامه .
فأرسله اليه فرجع يقول ان الباشا يخبرك بان اليهود سموا فيه عند الدولة حتى عزله
عن منصب صيدا وازدافت صيدا لدرويش باشا والي الشام وابقوا ذلك مكتوماً
حتى يذهب درويش باشا بالحج ويرجع . وتعين لمساعدته مصطفى باشا والي
حلب وبرهام باشا والي ادنه . فان كنت تثبت معه فهو يقدر على صد القوات
التي تأتي عليه . فيرغب الوقوف على حقيقة عزمك . فاذا كنت لا تثبت معه فهو
يسلم نفسه بدون مقاومة . فارجعه الامير بالجواب ان الامير لا يعرف نفسه الا
خادمك فافعل ما تريد وهو بخدمك بكل ما تأمره حتى يسفك دمه بخدمتك فهذا
غاية ما يقدر عليه . ثم رجع الامير الى بيته في بندن . وانتظم حال الجبل

اما درويش باشا كان توجه بالحج ووضع بالشام قيصقاً اسمه فيضي باشا
وارسل متسلماً الى البقاع اسمه حسن آغا العبد . فأكثر التعدي والتخريب على
المخلات المختصة بالمشايخ واهالي لبنان ونهب ابقارهم ودوابهم وغالياً كان ذلك
بندبير القيصق فيضي باشا حيث تقدمت له الشكوى على حسن العبد ولم يأمره
بارجاع المتهوبات لاربابها ولا ردعه عن التعدي . فتوجه اليه رجال من الجبل
وضربوه فهرب الى دمشق فتهبوا مواشي البقاع بمقابلة المتهوب لهم . ثم ارسل فيضي
باشا متسلماً للبقاع احد مخصصيه اسمه امين بك . فاستقام بقرية لالا من
شرقي البقاع . فارسل الشيخ بشير اناساً مسكوه وارسله لحبس دير القصر ولم
ينركوا له من كسوته غير السرة ومحرره قد شاهده بهذه الحالة . وهو شاب امرد
يظهر عليه انه من اناس كرام . فساعدته بما امكنه ولم يجتمع به . فلم يضع ذلك
عنده لانه بعد انطلاقه قد توجه لمصر وتقدم عند كتنخدا واليها واجرى مساعدة
كلية لرجل قال ان ميخايل مشاقه خاله . فالمشايخ بني عماد مع بعض المشايخ
المتنمين اليهم قد زحوا الى دمشق وبسعيهم صار توجيه حكم بلاد راشيا للامير
منصور كونه يزكي وعدوا لابن عمه الامير افندي الجنبلطي الحاكم في راشيا
وقتل . فتعين عسكرياً بمعية الامير منصور لاجل نمكنه من قهر الامير افندي
والاستيلاء على البلاد . وحضر بالعسكر والمشايخ اليزبكبة لبلاد راشيا . فالامير
افندي كان سبق واعرض للامير بشير عما عزم عليه حكومة دمشق فبالحال
نهض بنفسه الى راشيا وبمعيته الشيخ بشير جنبلاط وجانب فرسان ومشاة . وبوصول
عسكر دمشق مع الامير منصور هاجموا راشيا بالبارود . فدافعهم رجال لبنان

ورجال الأمير افندي . وبعد محاربته أيام حق الانكسار على عساكر دمشق وفروا من امام الأمير بشير الى دمشق . وبذلك الاثناء رجع درويش باشا من طريق الحج واصدر مراسيمه للجهات بانه والي الشام وصيدا وابتدا بتعيين العساكر . كذلك عبدالله باشا صار يحمي كتاباته هكذا (امير الحج السيد عبدالله والي الشام وصيدا وطرابلس ومتصرف الوية غزه ويافا ونابلس وسنجاقي القدس الشريف حالا) .

فدخلت سنة ١٢٣٧ (٨٣) هجرية فعبدالله باشا طلب نزول الأمير بشير لعنده فترى وبوصوله لم يواجهه في ديوانه كالعادة بل بقي داخل دار الحرم وادخله لعنده . وبالحال حضرت والدته الوزير لعنده فتلقاها بالاحترام اما هي فوضعت يدها في حزام الأمير قابلة له ان ابني هذا هو مولاي بحسب مرتبته واما نظراً لسنه واتعابك امامه فهو ولدك . وقد سبق كثير من تصرفاته الجهلية حتى معك فضلاً عن الغير . ونتج عن جهله تصرفاته ان اعداه يمتلكوا الفرصة عند الدولة بعزله ولا تعرف ما هو الاستعداد المهيء له من اخصامه اليهود . وربما انهم مدبرين على اعدائه اخذاً بثأر المعلم حايم الذي غلط ابني بقتله الغلط الذي لا يمكن اصلاحه . فالآن اطلب منك انجاز وعدك بعدم خذلانه . فكان جواب الأمير انني اعترف ولم ازل معترفاً بالعبودية الصادقة لولي نعمتي واسفك دمي في خدمته فليأمرني بالخدمة التي يريدتها حتى اباشرها بدون توقف . فعبدالله باشا اجابه اني اريد ضرب درويش باشا قبل وصول ولاية حلب وادنه لمعونه وآخذ الشام من يده . فالدولة عندما تنظر بطشي وانني مع ذلك دائماً اقدم لها مطالبها الميرية وانفذ جميع اوامرها فتصرف النظر عن سعاية اليهود وترى انه لا احتياج للحروب وتضييع المال والرجال بمحاربة وزيرها الصادق بخدمتها لاجل انقاذ نفسانية اليهود . ومع ذلك يوجد لي اصدقاء من رجال الدولة يساعدوني فلذلك يلزم ان تستحضر رجالك لجسر بنات يعقوب كما ان عساكري تجتمع لهنالك وتمشون سوية على دمشق وتضربون درويش باشا وتجنهون بالقبض عليه وارساله لطرفنا . فأجابه بالامتنان وارسل اوامره لامراء ومشايخ لبنان بان كل منهم يوافيه برجاله بسرعة لجسر بنات يعقوب . كذلك الوزير نصب ابراهيم آغا الكردي سر عسكر وتجمعت عساكره على الجسر المرقوم نحو اربعة آلاف وحضر من الجبل نحو اثني عشر الف بقودها بعض امرايها ومشايخها ومشوا سوية يقصدون دمشق . فلدرويش باشا جمع عساكره مع من قدر على جمعه من دمشق ونواحيها واطيف اليه المشايخ ايزبكية النازحون من لبنان والأمير منصور الشهابي المطرود

من راشيا مع رجالهم وجعل معسكره خارج دمشق بثلاثة اميال في قرية المزة حيث امامها سهل متسع. فوضع عسكر الخيل والمدافع خارج البلد ووضع العسكر المشاة خلف جدرانها المظلة على السهل. فعسكر عبدالله باشا عند وصوله لقرب المزة اطلقوا عليه النار من المدافع والبراريك ولم يكن معهم مدافع لمقابلتها لصعوبة الطريق من عكة على صنها. فترأحت الخيل واشتد القتال بينهم. فالامير بشير ترك (٨٤) عسكر الخيول تترامح وانتخب من رجال المشاة نحو الف نفر كل منهم لا يخشى الموت وساقهم امامه وهو يحرضهم ويشجعهم قاصداً جدران القرية والرصاص منها يهطل عليه كالطرر الى ان انتصفت رجاله بها وتسلفت على الحيطان واشعلت النار في بيوت القرية والقتال مستديم. فخبياة عسكر دمشق عندما نظروا ارتفاع دخان حريق البلد مرتفعاً في الجو وخيول عسكر عكا تضايقهم والرصاص من مشاته اهلك كثيراً من رجالهم وخبوهم فولوا منكسرين كما ولت منكسرة العساكر المشاة من داخل القرية فنبعهم عسكر عكا لقرب دمشق وكثير منهم اتى نفسه في المياه للتخلص فاختنق بها. واما الامير فلم يسمح بدخول العسكر لدمشق خوفاً عليها من النهب. فرجع واقاموا في ارض المزة. وكان القتلى من عسكر دمشق ينوفون عن الف ومايتين نفرأ والقتلى من عسكر عكا وجماعة الامير نحو اربعين. ومن جملة الاسرى كان الشيخ حسين تلحوق. فالامير عني عنه وارسله لايه في الجبل كونه لم يتحرك مع اليزبككية. واما ابنه هذا كان شاباً جاهلاً ولم يصل الى ما وصل اليه فيما بعد من زيادة التعقل. واما درويش باشا عندما نظر انكسار عسكره خاف على نفسه والتجى الى المتحصن في قلعة دمشق ينتظر قدوم المعونة من ولاية حلب وادنه. ثم الامير بشير ارسل الشيخ عز الدين الحلبي من معتبري عقال دروز حوران لمقابلة لمقابلة مصطفى باشا والي حلب القادم لمعونة درويش باشا ان يعرض لديه بان درويش باشا محصوراً في قلعة دمشق والامير منع العسكر عن دخول دمشق خوفاً عليها. فلو تعمد دخولها والقاء القبض على درويش باشا حسب امر عبدالله باشا فلا يعسر عليه ذلك سيما وان درويش باشا اساء التصرف مع الامير عندما التجا اليه في حوران. فعوضاً عن اجارة الملهوف بالمساعدة قد طلب من الامير خمماية الف غرش حتى يسمح له بان يرعى خيله في برية جبل حوران التي لا تقدر عساكر الوالي نصل اليها من كثرة اوباش العربان. فلذلك الامير لا ياتمه ويبقى مضابطاً عليه حتى نحل ركابك في دمشق ويصله امرك فيقوم بعساكره من امامك مدعوراً من سطوتك. فيكون ذلك اعتباراً عند الدولة وخفصاً

لاختبار درويش باشا ويصدر الامر بعزله وتوجيه المنصب لدولتك . فرجع الشيخ عز الدين بالجواب بان مصطفى باشا حصل له كمال المحظوظية من الامير لوعده هذا وبعد ان وصل الباشا لدمشق خاطب الامير بقدمه حسب الامر السلطاني لمعونة (٨٥) درويش باشا وانه يجب الامتثال وتقومون بالعساكر التي صهبتكم عن مضايقة دمشق . فحالاً نهض الامير بجميع العساكر وتوجه كل فريق منها لحله . قال الامير بشير غب وصوله الى بيته اجتمع بالشيخ بشير وقر رأيهم ان الامير يتوجه الى مصر ملتجياً الى واليها الشهير محمد علي باشا لكي يتوسط عند الدولة العلية باستحصال العفو عن عبدالله باشا . وكان الامير سبق وافاد الخواجه حنا بحري عما يمكن وصول الحال اليه مع درويش باشا وبضطر للقيام من بلاده فهل يصير قبوله لدى محمد علي باشا في مصر لان الخواجه بحري كان وجيهاً عنده . فورد له الجواب انه من اخص شيم افندينا اغاثة الملهوفين وتفرج كرب المضنوكين فنتي شئت احضر . فالامير اعرض لعبد الله باشا عما صمم عليه مع معتمده حنا عزام فرجع الجواب بالاستحسان مع كتابة منه لمحمد علي بلمس مساعدته امام الدولة العلية ويبرر نفسه بصدق عبوديته لها وان تغيير خاطرها عليه لم يكن لذنب صدر منه بل هو من وشايات ذوي النفسانية وانه يسترحم عفوها بواسطته . ثم ان الامير اختشى من اعطاء حكومة الجبل لامير لا يراعي مصلحته ولا المختصين به فاتفق مع الشيخ بشير على تقديم الامير عباس ابن الامير اسعد ابن الامير يونس ابن الامير حيدر الجدل الجامع لشهابيين الجبل فهذا قد رياه الامير وكان يحسه ابنه الاكبر وهو ابن اخوت زوجته . فالامير نزل باتباعه لقرية معلقة الدامور وصحبته نحو الف نفر من اتباعه واستحضر مركباً من بيروت وسافر به اولاده ومائة نفر من اتباعه كان من حملتهم المعلم بطرس كرامه واحمد آغا اليوسف من اكراد دمشق ترجماناً الذي فيها بعد تقدم في الحكم حتى صار احمد باشا . والآن ولده محمد بك عضواً في مجلس ادارة الولاية وهو مع والده المتوفي من الاشخاص المستقيمين في تصرفاتهم . فالامير وصل بمن معه الى مصر وحاز القبول . ولكن لاجل احترام الدولة ارسلوه يقيم بالصعيد بقرية بني سويف لبيينا يسعى محمد علي باصدار العفو من السلطنة عن عبدالله باشا .

واما درويش باشا غب قيام الامير جهمز العساكر ونهض الى سهل البقاع فنزل لعنده الامير عباس فقوضه بحكومة الجبل . والشيخ بشير تعهد عنه بتأدية الاموال الميرية . ثم انه يوجد في غربي البقاع بذيل جبل لبنان في قرية قب الياس دمنة قلعة قديمة مهدمة من عمار امراء معن . فدرويش باشا امر بهدم بعض

جدران باقية وعين لذلك مأموراً مسلماً حلبياً من بيت العرقنتجي واعرض للدولة عن طرده الأمير بشير وادخله جبل لبنان بالاطاعة واستيلائه على قلعة قب الياس التي كانت مسنداً لعصاة أهاليه . وقد أمر بهدمها وهدمت . ثم أرسل الأمير منصور حاكماً على بلاد راشيا . وأما الأمير أفندي اضطر لمهاجرة وطنه . فقام (٨٦) بأخيه وأولاده إلى لبنان . وأعطى حكومة مرجعيون للشيخ علي عماد . وكان كاتبه ومدير أشغاله أسعد الشدياق . والمذكور واقعته مع بطريرك طائفته المارونية السيد يوسف حبيش وكيف أماته هي مشهورة . وهكذا حكومة حاصبيا بواسطة الأمير منصور أعطيت للأمير حسن وأخيه الأمير حسين بدبعة الشهابيين . وبما أن والدهم وجدهم قبلهم لم يحكموا البلاد فلم يكن لها حزب من مشايخ البلاد وأهاليها ولا سطوة يحشاها أحد . وأما الأمراء الحكام في حاصبيا وقتئذ كانوا ثلاثة أولاد ثلاثة أخوة كانوا حكام البلاد قبل أولادهم وهم الأمير سيد أحمد ابن الأمير قاسم كبير أخوته والأمير سليم ابن الأمير عثمان والأمير سعد الدين ابن الأمير علي أصغر أخوته ولكن الأمير سعد الدين هو أكبر سنّاً من الأمير سليم وأرشد منه . أما الأمير سيد أحمد فكان بسيطاً للغاية متدين جداً . فلذلك كان الادم والنفوذ للأمير سعد الدين سيما وله أربعة أخوة شبان وهم الأمراء بشير ومحمد وأمين وخليل وسيأتي ذكر كل منهم بمحله . فالأمراء المذكورون مع جميع أمراء عايلتهم نحو ثلاثين أمير تركوا حاصبيا ونوجهوا لعند الأمير عباس وصحبته كل من يخصهم لأن حاكم الجبل يختصب جميع آل شهاب كأولاده ولو كانوا على غير مذهبه . فأزلهم في سراي بدير القمر وذلك في سنة ١٢٣٧ هجرية . وبهذه الوسيلة تعرفوا بمحرره وتمكنت الصداقة والحبية بينهم ومع أولادهم حتى الآن .

ثم مشى درويش باشا بالعساكر قاصداً عكا . فعبدالله باشا قفل أبوابها ونحصر داخلها مع خواصه وبعض عساكر ومدافعيه من أبناء العرب والأتراك الذين يوثق بهم جميعهم نحو ألفي رجل . فدرويش باشا وضع معسكره خارجاً بمسافة ثلاثة أميال في مكان يقال له أبا عتبه . وكان بمعيتة مديراً المعلم سلعمون فارحي الساعي بالانتقام من عبدالله باشا آخذاً بثأر كبيرهم حاريم . كذلك اجتمع على عكة مصطفى باشا والي حلب وبرهام باشا والي أدنه بعساكرهما . والعادة أنه بعد صلاة العشاء يضرب العساكر ثلاثة مدافع . فعبدالله باشا كان يجاوبهم من داخل عكا بثلاثة شواريج المستعملة في مراسم اللهو يستهزئ بمدافعهم . ومن المعلوم أن وزراء العثمانية في تلك الأزمنة لم يكن عندهم من القوة الكافية لفتح قلعة حصينة كقلعة عكا . فكانوا يتكلمون على فروغ ذخيرة المحصورين

واضطربهم الى التسليم او على حياة بعضهم . فشددوا الحصار على عكا .
ان محرره مخايل مشافه كان موكلًا من خاله الخواجه بطرس عنحوري على
سندات له بدين على اشخاص من لبنان حيث اقتضى رجوعه لبر مصر في اشغاله
وابقى ولده عند عمته . وكان الشيخ بشير جنبلاط باعه موسم حريره نيف عن
سبعة قناطير لوعدة لم يستحق وفاها . وعندما اقتضى له السفر تعهد بيت مشافه
بدفع المبلغ باستحقاقه اذا كان قبل رجوع المديون . فعندما صمم الامير بشير
على السفر الى مصر اعرض لديه مخايل عن رغبته بالسفر مع والده بخدمته وعن
قضية الكفالة التي عليهم (٨٧) للشيخ بشير . فقال له خذ سندات ديون خالك
وابنه وتوجه بها لعند الشيخ واخبره عن مرغوبك وقدم له السندات والولد ليكونا
عنده بدل الكفالة والذي يجاوبك فيه اخبرني عنه . فعملت حسب امر الامير .
فجاوبني الشيخ بشير هل اني طلبت من خالك كفلا ام اخذت عليكم سند
كفالة حتى تأتيني بهذا الكلام فاني اعرف ما انتم عليه . انتم كفلتهم بدون طلب
كفالة فلماذا تريدون السفر . اجبته احتساباً من ميعضي الامير ان يسعوا بما يضروا .
اجاب ان سعادة افندينا الامير ولو غاب عنا شخصه فتحن دائماً تحت خاطره
وامره ولا يحصل عليكم الا ما يفوتني . فخذ ابن خالك وسنداته وكونوا مرتاحين
في بيتكم واشغالكم . وتوكل ان الباري تعالى يسهل طريق افندينا الامير ويرجعه
الينا باقرب وقت . فرجعت واخبرت الامير بما حصل . فقال لي ابني مع اخوتك
كما قال الشيخ واما والدكم يتوجه معي . وبذلك النهار قام الامير الى معلقة الدامور
وعندما لم ياخذ صحبته بالمركب سوى مائة نفر ارجع والدنا مع من ارجعهم واعطاه
كتابة للمشايخ حمود وقاصيف ابني نكد نوصاه به خصوصاً وبياتي خدام الامير
عموماً .

ثم تعاطيت اشغال معيشتي بتشغيل الاقشة الخيرية وارسال الحرير
لدمشق عند رواج حاله بها . وبذلك الوقت رغبت بالاطلاع على فن الجبر
والمقابلة ولم يمكنني الحصول سوى على كراس متن اسمه خلاصة الحساب لبهاء
الدين العاملي يوجد في آخره كلاماً وجيزاً في اصول الجبر الذي حصره المؤلف
بنحو ثلاثة اوراق بعبارة مغلقة جداً . ولا يوجد بدير القمر من يعرف اسم هذا
الفن فضلاً عن اصوله . فاعتنيت بمطالعة وفهم مقاصده بحمد جهدي والباري
تعالى سهل لي الحصول على مرغوبي . وبذلك المدة زادت مودة الشيخ بشير
جنبلاط واولاده الشيخ قاسم والشيخ سليم وابناء اخيه الشيخ علي والشيخ قاسم
لتحوي حتى انهم لا يتركونني شهراً بدون زيارتي لهم في محلاتهم جملة ايام . كذلك

الأمير عباس المقيم بسرايا جرجس باز بدير القصر التزمت بالنسهره عنده كل ليلة لأجل تسليته . وإذا تعوقت عنه لعذر ما يرسل بطلي الى انهم في احدى الايام وردت ورقة باسم والدي تحت ختم الأمير عباس بطلب مبلغ قرض تساوي قيمته الف وخمماية ريال عمود . ونظرت ان الاوراق الواردة لغيرنا ممن هو اغنى منا جداً لا يوجد ورقة بأكثر من مائة وخمسين ريال واقتكرت بان هذا القرض عديم الوفاء . فأخذت الورقة وتوجهت بها لعند الأمير عباس وقررت لديه ان هذا المطلوب هو لشخصك ام للحكم . اجابني بل للحكم وخصني لست محتاجاً لشيء . وإذا كنت محتاجاً لقرضة دراهم فاعطيك لزومك . اجبت ان اذا كان للحكم فيلزم النسوية بين الرعية وليس موجوداً على امثالنا مائة ريال وفلان الذي هو اغنى التجار موضوع عليه مائة وثمانين ريال فكيف سعادتك ترتضي بهذا . فضحك واجابني قايلاً انك لحد الآن ما عرفت بانني امير على طاولة الطعام فقط وان كل شيء بيد الشيخ بشير كونه تعهد لحرية الوزير باموال الجبل ووضع عندي فلان ابن بلدكم من طائفتكم وكيلاً (٨٨) فهو يكتب كما يعرف وانا اضع نخسي على ما يكتبه حتى انني عند قراءة الاوراق للحكم اعترضت عليه بورقتكم وورقة فلان الذي اشرفه عنه فأظهر الزلل وقال انا اعرف الواجب عمله . فبيت مشافه الأب واحد واولاده ثلاثة فاربعة رجال لا يكثر عليهم مبلغ كهذا وهم مرتاحون في زمان سلفكم بخلاف فلان كان لا يرتاح من المطالبات نظيرهم . اجبت ان كلامه غير صحيح والأمير ما كان يكلف الانسان لغير مال ميري اراضيه . واذا لزمه قرضه فلم يجبر احد على دفعها بل كان والدي يستقرضها من الذي يوجد عنده دراهم جاهزة باقية لموسم الحرير وترجع ثم عملة صاغ باول الموسم . واكثر الاحيان هم يسألون والدي اذا كان لازم للامير دراهم . ودفاقر (المقارضات) ووفائها سنوياً موجودة عندنا واظن انه لا يوجد فيها اسماً لفلان المدعي ظلمه بمدة الأمير . ولكن العجب كيف انه عرف بوجود ثلاثة اولاد لجرجس مشافه ولم يعرف الاربعة اولاد واخين لفلان الذي هو اخو زوجته وهو متزوج باخته . وحيث ان القضية متعلقة بالشيخ بشير فاتوجه بنفسي الى المختاره وقرر له الواقعة فتوجهت حالاً وعندما حولت عن فرسي وجدت تابعا قال لي جناب الشيخ يريدك . فتوجهت معه . وكان بالمجلس عنده اولاده قاسم وسليم فريثا جلست وشربت القهوة قال لي الشيخ نظرتك بالنظارة مستعجلاً في نزلة الجديدة افتكرنا انه لسبب داعي فخيراً يكون ان شاء الله . اجبت انه كان قصدي السفر مع سعادة الأمير احتساباً من التعدي علينا وجنابك استحسن بقائنا في محلنا وانه لا يصلنا الا الذي يفتوت

جنايبك . قالذي وصلنا الآن من يد معتمدك فلان حضرت للسؤال عنه هل هو مما فات جنايبك . اجابني ماذا اصابك فشرحت المتوقع . فولده الشيخ سليم وكان حد الطباع قال لابي وصل تعدي معتمدك الى مخايل . فبهذه الساعة اتوجه واقتله في بيته . قال له القضية هيئة وميخايل يبقى عندنا ننسلي معه . والدعوى نعرضها للامير وتنصرف كالمرغوب . فخرجت من عنده مع اولاده لدورهم الخصوصية ثم سهرنا عند جناب الشيخ ونمت عند اولاده . وعند الصباح توجهت معهم للصباح على والدهم . وبعد شرب القهوة ناولني خطاباً لي من الامير عباس مضمونه انه رفع عني وعن والدي الذي يخصنا النصف من المطلوب . فراجعت الشيخ بذلك اجابني كل انسان يلزم بمن يخصه فوالدك صديقي قبل ان تخلق وانت سلكت في طريق والدك فواجب على ذمتي المحاماة على صوالحك . واما اخوك ابراهيم وشريكه اخوك اندراوس لا انظرهما هنا ولا عندما كنت بدير القمر . وهما متعلقان في اخوتنا المشايخ حود وناصيف النكدية فلا يلزماني تعاطي مصلحة الخصوصيين بغيري . وكان الباعث لكلامه هذا ان الشيخ ناصيف منعه من المحبي لدير القمر لاختلاف بينهم . فاستأذنت منه بالذهاب فلم يسمح لي لثلاثة ايام . وامرني ان ارسل ورقة الامير لوالدي لاجل رفع الطلب عنه . فأرسلتها وعرفته المتوقع . فآخى ابراهيم حالاً اطلع المشايخ النكدية على تحريري ورسوم الامير فاستشاطوا غيظاً وارسلوا مخصوصاً للامير عباس ان يرفع الطلب عن ابراهيم واندراوس مشاقه . واما فلان سقتله على فراشه لانه يسعى بالفساد ويعمل اسباب للتفوق بين مشايخ البلاد . فرفع الطلب (٨٩) وبقي فلان اياماً يبات بالسرايا خوفاً حتى صار توسط لصفو خاطر المشايخ من نحوه .

وعندما مضى خمسة اشهر ولم ينجح درويش باشا في محاصرة عكا عزلته الدولة ووجهت ولاية صيدا على مصطفى باشا والي حلب الذي كان يميل للامير بشير وارسل له حينئذ تحريراً لمصر يطلبه بالحضور . وحين ورود الامر بعزل درويش باشا حصل غم شديد للمعلم سلمون فارحي طرحه بحمي شديدة ومات بها . وعندما نزل الامير عباس للمعسكر في صحراء عكا ليبارك لمصطفى باشا بالمتنصب الخمس منه بانه يصلح بين امراء حاصبيا وراشيا ويقسم حكومة بلادهم بين المتولين والنازحين لاجل هندو تلك البلاد من الفلاقل فرخص له بذلك . ثم الياشا لمعرفته بان الامير عباس تقدم لحكومة الجبل عن تدير الامير بشير لانه عنده كاولاده اخبره اني طلبت حضور والدكم من مصر وقریباً يحضر ظناً منه ان الامير عباس يفسر ذلك ولكن الامير المومي اليه اغتم باطلاً لانه كان يؤمل

ان حكم لبنان يدوم له وان عكا لا بد ان تؤخذ بالحصار عندما تحتاج للدخاير ولا يعود مالا عند عبدالله باشا ليعطي عساكره ما يرضيه . وحينئذ ينقطع أمل الأمير بشير وأولاده من الرجوع وان الشيخ بشير جنبلاط يعضده اضطراراً لا تقطاع أمله من رجوع عائلة الأمير بشير . وكنت فيما بعد اجتهد بإزالة هذه الأثافي من فكره عندما يظهر لي منه ما يدل عليها بقولي له بان العاقل لا ينبغي له ان يضيع المظنونات الممكنة بمنزلة المشاهدات الراحنة لا مكان حدوث الموانع والظنون كما انها تصيب قد تخطئ ايضاً فيجب على العاقل يتحذر من خطاها بأكثر مما يؤمل من اصابها ليحفظ نفسه من غوائل الخطأ . فكان ثقته بي يسمع لكلامي لكنه كان كثير التردد في افكاره لا يحزم على رأي .

ثم بعد رجوعه من عكا اصرح بين الأمراء بوادي التيم فقسم بلاد راشيا بين الأمير افندي والأمير منصور لكل منها قرابا معلومة . وأما نفس راشيا لكل منها نصفها وليس لاحدهما السكنى بها . فالأمير افندي سكن بقرية عين عطا ثم انتقل لقرية بكيفا والأمير منصور سكن بقرية الظهر الأمر . وأخو الأمير افندي الأمير جهجاه وأولادهما ترتب لهم معاشاً على كل من الأمير افندي والأمير منصور مناصفة حال كون الأمير منصور لم يكن له اولاد ولا اخوة . وأما بلاد (حاصبيا) مع تبعها بلاد الحولة وشعاره قسمت بين الأمير حسن بديعه والأمير سعد الدين والأمير سليم لكل منهم الثلث . وأما الأمير حسن بديعه والأمير سيد احمد تنزلا عن حقها بالحكومة وارنضيا بأخذ معاش يكفيهما وهكذا ترتب المعاش لبقية الأمراء كالعادة (٩٠) قال الشيخ علي العماد المعطاة له حكومة بلاد مرج عيون فلم يحسن سلوكه لا مع الاهالي ولا مع اولياء امره . ولربما كان ذلك لعدم غناه . فسوء تصرفه أسس له كراهية شديدة في قلب مصطفى باشا وصار يترصد وقوعه بيده حتى فيما بعد وقع بيده وقتله كما يأتي ذكره بمحله .

وبعد ان حوصرت عكا تسعة اشهر رجع الأمير بشير اليها من مصر بمن معه وصحبته سليمان افندي سلحدار والي مصر وفرمان سلطاني بالعفو عن عبدالله باشا وتقرير ولاية صيدا عليه مع الأمر لمصطفى باشا بالقيام عن حصار عكا والرجوع الى ولاية حلب . ولم يكن بخزينته نقود كافية لدفع ما عليه للعساكر الذي بمعيته فأخبر الأمير بذلك فارسل له من خزينة عكا لزومه . فقام عنها في آخر جمعه من صوم النصارى . فعبدالله باشا غب رفع الحصار اظهر تكدير خاطره على جميع العمال الذين خدموا درويش باشا وبالأخص على الشيخ بشير جنبلاط . وبما ان الدولة رتبت عليه لخزينتها خمسة وعشرين ألف كيس عملها

بوقته المساوية قيمتها الآن نحو نصف مليون ليرا عن بدل مصارف عسكرها
بمحاصر عكه وهو قد صرف ما عنده بمدة الحصار والدولة سلخت عنه ولاية
طرابلس ولواء غزه وبافا مع الوعد بارجاعها اليه متى اكمل دفع المطلوب فوزع
مطلوب الدولة على الايالة وقال للامير ان الجبل هو ضمن الايالة الباقى بيدي
فيلزمه دفع خمس المطلوب

فالشيوخ بشير دفع المطلوب منه . ثم نظر عدم الراحة ففرج الى راشيا ملتجياً
لوالى الشام الذى خاطب بخصوصه عبدالله باشا الذى حرر للامير بشير لاجله
واعطى له التأمين بالرجوع لبيته . فرجع وصحبته معتمد من طرف والى الشام
عبدالله افندي المهردار وهو من العقلاء وله اليد الطولى بالفنون وصناعة الكلام .
وعندما حضر الشيخ لمواجهة الامير فلم يحضر كعادته بعشرة او عشرين من
الاتباع بل كان صحبته نحو الف منسلح . وربما كانت غايته ان يظهر قوة مشايخ
لبنان وخضوعهم لاميرهم امام معتمد وزير الشام ليعرفوا درجة سطوة حاكم الجبل .
واما الامير اتخذ هذا العمل من عدم ثقة الشيخ بشير بالامان المعطى له وانه يخشى
من الغدر . فهذه الافكار التى نتجت عن كيفية تلك المواجهة قد حركت غيظ
الامير وجعلته عديم الثقة برجوع الشيخ لصادقته معه حسب القديم . هذا وان
امناء الدين من الفريقين كانوا يدخلون في افكار الواحد ما يبعده عن الآخر .
والذى تشهد به التجربة ان كل قضية دينية تتدخل بمعاطاتها ايدي رؤساء
الاديان لا بد ان تنتهي الى الشر ولا يصح القول ان الرؤساء يقصدون الشر او
يريدونه حاشاهم من ذلك ولا تقيسهم الا بصايغ الجواهر الذى لا يعرف كيف
يفحمون الخطب قلوبهم بالشر التضخم يفسده لعدم معرفته بتلك الصنعة . فاذا
اردت ان اخلف نعلي فلا يليق ان اتخذ فيه رأي الساعاتي بل يجب الاعتماد على
رأي الاسكافي لكونه اعلم في صناعته من الساعاتي . وهكذا (اذا) كانت القضية
روحانية فاعتمد (٩٢) فيها رأي الروحانيين او جسانية فرأي الجسائين . فاذا
سبرت اسباب الخراب في جميع ممالك العالم قلنا نجد سبباً غير دخول رؤساء
الدين في الامور العالمية . فالعاقل يجب عليه ان يسد آذانه عن سماع كلامهم
بالامور الدينية كما يسدها عن سماع الدينيين في الامور الروحية . واظن بانه
لا يخالف ذلك الا اعمى البصيرة .

فالامير بعد مدة قد طلب من الشيخ بشير الف كيس غير الذي دفعه اولا
فدفع منها شيئاً وارسل معتمده فلان المتقدم ذكره من وجوه الكاثوليك بدبر القصر

فستعطف خاطر الأمير بأن يحمله بالباقي ليدفعه تدريجاً . وكان القصد اتخاذ الفرصة حيث بتلك الليلة قام الى حوران برجاله ولم يبلغ خبر قيامه للأمير حتى الصباح فكان الشيخ يشير قد بلغ برجاله مأمنه في ابالة الشام . ففلان خاف جداً من الأمير بأن ينسب اليه بأنه أتى ليخدعه مع معرفته بما صمم عليه الشيخ بشير . ولكن الأمير لم يلم الخادم على تصرفه كإرادة عذومه ولذلك طمئنه بأن يكون أميناً ويقم في بيته . وحيث تواردت عليه الشكايات بدعاوى متنوعة كالعادة بفتح الدعاوى على من يخسر جأحه . فتصدر لدفع الدعاوى عنه ابراهيم مشاقه الخبير بالأمور الشرعية فدفعها عنه ولم يكلفه الحسارة شيء . وبعد مدة صار التوسط باستخدامه مع كتاب التحريرات عند الأمير . واجتهد ان يكافي المعروف بسعده عند الأمير في ابعاد والد ابراهيم من وظيفته ليكون مكانه بتقرير دعاوى كاذبة لم يرضي الأمير بتصديقها . ولكن والد ابراهيم قد ألم بالرجاء للتحقيق عليه بحضور الواشي لأجل ثبوت التهمة او التبرير منها جهاراً . وبعد تكرار الرجاء سمح الأمير بذلك وغب تدقيق المحاسبة وكتابتها بقلم الواشي ظهر ان الزايد لوالد ابراهيم ثلاثة آلاف غرش باعتبار سعر الريال سبعة غروش . ثم ختم الدفتر بختم الخققين وختم الواشي وتقدم للأمير الذي استحضر والد ابراهيم وقسال له ما النتيجة من طلبك التحقيق ها انه زاد لك ثلاثة آلاف غرش . اجابه يا سيدي الدراهم لا تزيد ولكن الثلاثة آلاف التي امرت لي بها بدفتر المعاشات ابقينها بالصندوق لحين لزومها لي . واما نتيجة طلبي التحقيق هي لظهار برائي عند نفس الواشي وعند من استمع لكلامه لا لظهارها لدى سعادتك لانك تعرف جيداً صداقة جميع خدامك . والآن بعد ان تبررت جهاراً النفس ان اكون في بيتي بوظيفة داعي لسعادتك بقية عمري . والله الحمد اولادي خمسة قد تربوا على حبركم وصار كل واحد منهم يقدر على القيام بمصارف عيالتنا . فاذا حسن لديكم فتأمروا باعطاء وظيفتي لهذا الرجل لانه يقاثل على الحصول عليها . وله اعمال ضدي غير هذه باطلاع اعلم غنطوس عازر وغيره لا يسعي شرحها والله الحمد لم ينجح بواحدة منها . اجابه الأمير (٩٣) متى عجزت فوظيفتك لواحد من اولادك واما الآن فلست بعاجز فكُن في عملك . فنهض لتقبيل يد الأمير وينصرف لعمله فقال له اجلس مكانك واستحضر الواشي وسأله هل هذا دفتر التحقيق هو بخطك وهذا هو امضائك وختمك اجابه نعم . قال له كم طلع لنا بهذا الحساب ضمن ابي ابراهيم مدفوع من صندوقنا لتجارة اولاده اجابه لا شيء بل له الزيادة . قال الأمير انه هو من استماعه وشايتك عليه فمع معرفته بانني

لا قبل عليه وشاية لم يرتضي مني الا باجراء التحقيق بمعرفتك لتظهر برأيه امام الدين اتلفت اسمه امامهم لا بل قد اتضح الآن للجميع عدم استقامتك فاعلم ان تربية خدامي ليس حسب الطريقة التي انت ارتيت عليها فاحرص من العود لثل ذلك ليلا يحصل لك مني ما لا تحب. واما الآن فاكتب بقلمك وصولاً مني لاني ابراهيم بانني عشر الف غرش وسلمه له من يدك اظهاراً لصدافته وتخليك. فكتبه وتم امر الامير وانصرفا احدهما فرحاً والآخر خجلاً.

وبذلك الوقت حضر الى دير القمر رجلاً اميركافي اسمه يونس كين بيده تحرير توصية لتاجر اسمه يوسف الدوماني بيته تجاه بيت مشاقه واحد اولاده متزوج باحدى بنات مشاقه فانزله عنده وكثر اجتماعنا عليه لقرب منزله الينا . وكان يتكلم بالعربية جيداً ولكن الجميع يتأسفون عليه لحسن صورته وشبوبيته باعتقادهم فيه بانه انكليزي لا دين له كما يتلقنون من قسوسهم حتى كثير منهم يعترض عليه بقوله لماذا انتم الانكليز بلا دين فيجيبهم هذا غلط . نحن مسيحيون فلا يقتنعون منه وهو يسار الجميع بكل لطف . فاكثر اللبالي نقضي السهرة معه . فعلمني تناسف عليه كونه غير كاثوليكي فيذهب الى جهنم . واما انا فاضحك باطلاً على الفرقين ولكنني عشقت مزاي هذا الانسان وكنت افكر كيف انه مع جودة عقله يصدق الخرافات الدينية التي ترفضها العقول السليمة . وكان المذكور يسافر الى الجهات ثم يرجع لدير القمر الى انه طلب منا معلماً يعلمه اللغة السريانية . وكان لنا معرفة باولاد يوسف الشدياق من ساحل بيروت ينسخون لنا كتباً بالاجرة وخطوطهم جميلة وتربية المدرسة المارونية التي تعلم السريانية والعربية فاستحضرنا له الشاب اسعد بن يوسف الشدياق المذكور فرتب له حسب طلبه اجرة شهرية فعلمه السريانية بمدة قصيرة ورجع لبيته شاكراً من صنيع الخواجه يونس كين معه . ولكنه صار يكتب له بالعربي كما يلزمه

ان الامير عباس قد شعر بالخراف خاطر الامير بشير نحوه وصار يختشي على نفسه . فطلبني لمواجهة في قرية مجدل معوش واخبرني عما يراه من الخراف خاطر الامير عليه وان اكون رسولا بينها حيث خدامه ليس لهم وجه عند الامير وانه لا يؤمن غيري من جماعة الامير على السلوك معه بالانتقام فيما يخصه . فقبلت الرسالة وترددت بينها مراراً . فكان الامير بشير يعترض عليه بقضايا تشير على اتفاق الامير عباس مع الشيخ بشير جنبلاط الخارج عن دائرة رضاه . وحيث انه محسوب كواحد من اولاده فاتفقه مع عدوه بحسب عليه ذنب عظيم .

واما الامير عباس ينكر الدعوى ويقول لا ارضى ان سعادة الامير يحسبني ولداً
عقوباً ويقبم الدلائل الدافعة لدعوى الامير . فضاع فكري عن ادراك حقيقة الواقعة
حتى اعترفت لسعادة الامير بان عبدكم قد مهت بهلم استخراج المجهولات
العديدة والمقدارية واما مجهول هذه القضية السياسية فلم تقدر افكاري على معرفة
طريقة لاستخراج مجهولها . فضحك من قولي واجابني ان السبب لعدم اقتدارك
على حلها عدم ممارستك لعلم السياسة فاننا اعلمك طريق التوصل لمعرفة هذا
المجهول . ان النصارى يقولون على المنكر ايمانهم اذا اراد الرجوع يلزمه ان يشترى
بالخل الذي باع فيه . فالامير عباس باع رضائي برضاء الشيخ بشير جنيلاط
الذي حضر الآن لاراضي بعليك لتحريك الفتنة في الجليل . فان كان لم يزل في
خاطري كما يزعم فليتوجه وبضربه . فقلت وهل عنده من الرجال ما يكفي لخارجية
جمهور الشيخ بشير . اجابني ان الرجال اقدمها له باكثر من اللازم فقط يكون
هو القايد لما فتطلب ذلك منه وتفيدني جوابه . فتوجهت لعند الامير عباس
مسروراً بان الدعوى قد انتهت معي على وجه سهل . وقررت لديه ما كان من
نهاية كلام الامير . فكان كلامه اذا انا فعلت ذلك اكون كمن اسلم بعد الظهور
ومات قبل العصر فتبى من دينه والاسلام لم يعرفوه . اجبت ارجوك تصغي لكلامي
فان استصوبته فتقبله والا فترفضه . فنظراً للشيخ بشير لا اظن ان عيني له هي
اقل من مبلغك لنحوه لانه يستحق المحبة لحسن (٩٦) اطواره وبكل وقت اطلب
من الباري تعالى ان يزيل الكدر من بينه وبين سعادة الامير الذي هو ولي نعمتنا
ولا يمكننا ان ننسى افضاله علينا كما اننا نشتهي دوام الراحة لجميع عيالته وان
جميعها تكون تحت خاطره لانه اكبرها سناً وجاهاً وتديراً وقد شاهدنا عياناً التعص
الذي لحق بمقاوميه ان كان من عيالته او من غيرها والراحة التي حصل عليها
السالكون في رضاه . فالقياس الذي نكرمت بايراده ينطبق على عكس الواقع .
فالمثل به قد خرج من دين يعرفه لما لا يعرفه . ولم ينل مرغوبه . واما الاحسن
لهذه الواقعة ولا توافيني مثل الابن الشاطر المذكور في الانجيل ورجوعه لاختصان
ابيه وقبوله بالفرح والابتهاج . والحمد لله لم يحصل خطية من خطايا الابن الشاطر
فتؤمل من ايدينا ان يلافينا بأحسن مما لاقاه ابوه . يا ترى ما القايدة للشيخ بشير
من وجودك تحت اغبرار خاطر الامير . فاذا كنت كما كنت في خاطر الامير هو النفع
نصالح الشيخ بشير اذ يمكنك استجلاب خاطر الامير لنحوه لانه لم يكن بالسابق
عدواً له بل للشيخ امامه الخدمات الكلية وهل بقي محل للامل في قهر الامير
بعد خدماته اما عبدالله باشا وسعيه برفع الحصار عنه ورضى السلطان عليه .

وهل بعد ان حساب الأمير على محمد علي باشا والي مصر يكون عديم السؤال عن مساعدته ولو ضد ارادة عبدالله باشا . فالرأي عندي ان توجه حالاً بنفسك لعند الأمير وتدخل لعند خالتك ام اولاده كجاري عادتك وتقابل الأمير بقولك قد حضر ولدكم لعندكم ولا يقول بالكثير من ان تفعل به ما تريده وان شئت فعبركم اتوجه بخدمتكم . ولا يمكن الا حصولك على كلاً بسرك . فبقيت عنده يومين اتعب في استجلابه لما فيه راحتي فما امكن . فرجعت لعند الأمير واخبرته باعتذار الأمير عباس عن هذه الخدمة كونها صغيرة بمقامه ان ينهض بنفسه لمقاومة شيخ . فالأمير مسك اذني وقال لي نظرت بعينك طريقة استخراج المجهولات السياسية فاحفظها واذا طلبك الأمير عباس لعنده فاعتذر له بمنحي اياك . فالأمير ارسل رجالاً لضرب الشيخ بشير فلم يقاتلهم وقام من وجههم لبلاد عكار .

وهذا الاثنا صدر الامر السلطاني بطلب راس مصطفى آغا بربر فحضر الى لبنان ملتجئاً الى الأمير الذي قبله بكل اعزاز وعين له الإقامة مع جماعته بقرية الشريقات حتى استحصل له عفواً بواسطة والي مصر واكتسب صداقته بعد العداوة .

ثم دخلت سنة ١٨٢٦ مسيحية الموافقة ١٢٤٠ هجرية . ففي شهر شباط ورد الخبر على الأمير بشير بان الأمير سلمان واخاه الأمير فارس والأمير عباس واخاه الأمير حسن والشيخ علي العماد وابناء عمه والشيخ علي جنيلاط واخيه الشيخ قاسم ابناء الشيخ حسن اخي الشيخ بشير مع رجال المذكورين قد تجمعوا (٩٧) باغضارهم مركز الشيخ بشير وصاروا نحو اثني عشر الف فارس وراجل منتظرين قدوم الشيخ بشير من بلاد عكار ليهجموا على الأمير بشير وايضاً منعوا خدامه الذين من بلادهم ان يأتوا لعنده . فبذلك اليوم لم يأتوا الخدام لسراي الأمير كعادتهم . وكان على الدوام يجد حوله من اتباعه اكثر من الف وخمسمائة . فبذلك اليوم لم يجد سوى مائة وثلاثة واربعين شخصاً . منهم الشيخ حسين شلي حادي واقرباء والمتوظفين من اهالي دير القمر وتوابعها . والبقية ما بين طباط وخباز وسائس خيل . فالأمير قدم اعراض المتوقع لعبدالله باشا الذي اصدر اوامره للجهات بتوجيه العساكر واجتماعها على جسر الاولى تحت طلب الأمير . ثم بعده نهض بذاته ونصب خيامه على الجسر المرقوم . وهكذا الأمير اعرض الواقعة لوالي مصر عن يد ولده الأمير امين الذي كان توجه اليها بهدية خيول فاخرة لاسطنبول محمد علي باشا الذي عندما بلغه المعروض صدر امره بتجهيز

عسكر كافى يكون تحت طلب الامير امين بالتوجه على لبنان . وكتب مرسوماً للخارجيين من طاعة الامير بالوعيد ويحذرهم عاقبة الخلاف . اما الشيخ بشير لم يسارع بحضوره من عكار احتساباً من عدم ثبات الشيخ على عماد معه بان يورطه لمحاربة الامير وينحاز عنه فلذلك تأخر لبعده وقوع المحاربة . وبذلك كانت الفرصة للامير في تدبير شغله معهم . فكان من الجهة الواحدة يرسلهم مع مشايخ العقال بان لا يعملوا اسباب لسفك الدماء وخراب البلاد وانه يجري لهم مرغوباتهم بكلمة يرضيهم من الممكنات . ومن الجهة الثانية يحزب معه ما يمكنه من مناصب البلاد . فاول اعماله استمال الشيخ حمود والشيخ ناصيف ابا نكد وهؤلاء هم القرييون اليه وعندهم رجال دبر القمر والمناصف والشحار من خواص رجال الجبل ويميلون طبعاً لحبة الامير وكثير منهم خدام عنده . ثم بواسطة المذكورين استمال مشايخ الغرب القوقاني بيت تلحوف من اليزبكية . فحضروا الى بندن برجالهم . وحضر ايضاً من اليزبكية الشيخ شبل عبد الملك برجاله وهو من قبل مخصص نفسه بالامير . وحضر مصطفى آغا بربر باربعين خيال جماعته . وحضر من بعقلين جميع المختصين في بيت حمادي من نصارى ودروز . فالشيخ ناصيف ابي نكد استقام بجماعته عند الامير وبقي ابن عمه الشيخ حمود بدبر القمر . وبعد ثمانية ايام المشايخ الذين باختياره مع الامراء تكاثرت رجالهم وانتقلوا فيهم الى قرية السمقانية بعيداً عن مركز الامير نحو ميل واحد . فالامير ارسل اليهم وسائط مشايخ العقال لاصلاحهم . فبقوا على عزمهم . فالامير عند الصباح عندما بلغه شروعههم بالانتقال الى قرية السمقانية ارسل الامير بشير القاسم لاحضار العسكر الموجود على جسر الاول . وهكذا الشيخ ناصيف حرر لابن عمه ان يرسل له خمسية راجل فقط من دبر القمر ويترك فيها البقية (٩٨) حذراً من غدرها برجال الغرب التحتاني خاصة السيدة حبوس وعلان وهي جدة الامير مصطفى قائمقام الشوف الآن لانهم جنبلاطية . فثاني يوم صباحاً تحرك البارود من طرف السمقانية على الخفراء الموضوعين على طريقهم من طرف الامير . فركب اليهم الامير خليل وصحبته بعض خيل الامير وكان من الشجعان فقائلهم وتكاثروا وقهقروا الى ان كاد رصاصهم يصل لسراية الامير . حينئذ صدر امره للشيخ ناصيف ان يتوجه لاصعافه برجاله . فركب باتباعه ورجال دبر القمر . وبوصوله اشتد الحرب بين الفريقين حتى تفهقرت رجال السمقانية والتجوا وراء جدران تصوين خلوة للعقال مشيدة بعيداً عن القرية . فكانت الرجال تطلق الرصاص من خلف الجدران والخيول تقاتل في الخارج . وعندما اشتد القتال

بينهم وصل الأمير بشير القاسم راجعاً من جسر الأولي وصحبته خمسة وستون فارساً من عسكر الحوارة وثلاثون مشاة من الارناؤوط . فقاتلوا قتالاً شديداً واصيب الشيخ علي عماد برصاص في ذراعه وتم الانتصار لحزب الأمير مع قليل من قتلى الفريقين . ورجع انحصام الأمير الى المختاره واغلوا السمقانية . وبذلك اليوم هطل مطر كثير على المحاربين . وفي اليوم التالي بسبب هذا الانتصار لحزب الأمير كثير من رجال جنبلات وعماد تركوا مشايخهم وحضروا لعند الأمير يلتمسون العفو وحصلوا عليه . وبعد هذه المحاربة حضر الشيخ بشير جنبلات من عكار لعند الجهادير اجتمعة في بيته . واتسعت الفرصة اياماً للأمير بجمع الرجال وتسهيل ذلك بالاكثـر بواسطة انتصار حزبه في وقعة السمقانية وجرح الشيخ علي عماد حال كون رجال حزبه تنوف العشرة آلاف والذين كانوا يحاربونهم من حزب الأمير دون الألف . فحضر لعند الأمير كثير من رجال الشوف والعرقوب وحضر الأمير حيدر قايدويه (الذي صار فيما بعد قائم مقام على النصارى) وصحبته ألفا راجل من رجال المتن . وحضر الأمير محمد الشهابي باتباعه من طرف اخيه الأمير سعد الدين بحاصبيا . وحضر من عسكر الوزير نحو ثلاثة آلاف فرسان ومشاة من اكرد واتراك وارناوط ومغاربة وحوارة وطوبجية مع المدافع . فبعد ان مضى اياماً بدون محاربة ارسلوا الجنبلاتية سرية في احدى الليالي على قرية بعقلين لاغتيال بيت حمادي وحزبهم وكانت نحو ألف وخمسة فارس وراجل فداموهم نحو نصف الليل . وعندما انتهبوا بدير القمر على صوت البارود والصراخ تراكضوا بالسلاح لمعونة بيت حمادي . وهكذا ركب الأمير خليل بجانب رجال لدفع محاربهم الذين كانوا تمكنوا من حريق جملة محلات ورجال بيت حمادي (٩٩) تدافعهم بجهدتها الى ان وصلتهم رجال دير القمر فقتلوا وعندما وصل الأمير خليل بمن معه لمساعدتهم حينئذ ثم انكسار المهاجرين وولوا مدبرين . وعند الصباح خرجت الرجال من المختاره وصعدت لسهل بقعانا وظهور السمقانية وحضر لمعونتهم رجال العرقوب من جهة عين وزيه فملاوا السهل والتلال مسافة خمسة اميال تحت قيادة مشايخهم . فقابلهم الأمير برجاله تحت قيادة امرائها ومشايخها وبعسكر الوزير . قايندا الحرب من اول النهار . وكان الأمير نازلاً امام السمقانية بنحو نصف رجاله ابفاهم عنده خارجاً عن ساحة القتال وهو ينظر في مواقع الحرب فيرسل منهم اسعافاً لمن يراه قد ظهر ضعفه امام خصمه . وبذلك اليوم نزل مصطفى آغا بربر بخيله لساحة القتال واظهر من الشجاعة والقتال ما شهدت به اشد الرجال . ودام الحرب لقبل المغرب بساعتين ورجع كل من المتحاربين

لمكانه . فقتلوا حزب الأمير كانوا خمسة عشر قتيلاً ولكنهم احضروا تسعة وعشرين
 راساً من اخصاصهم ارسلت لعبدالله باشا صحيفة قاسم آغا ابو سيف الذي بات
 بها تلك الليلة في بيت مشافه التازل به صديقه عبدالله آغا شافانا ورجاله وهذه
 المحاربة أصيب بالرصاصة الشيخ علي جنبلات وكان جرحه لا يرجى برونه .
 كذلك قتل ابن ابي زيد آغا ضابط عسكر الهواره . ثم بعد ايام ركب الأمير
 بالعساكر قاصداً تبديد شمل المتجمعين عليه . فقرر لديه عبدالله آغا شافانا
 ان يسحب المدافع لضربهم فيها . اجابه لو امكنتي دفعهم بدون جرح انسان
 لفعلت لانهم رعايا مساكين مسحوبين غصباً من مشايخهم وما كفاهم التعطيل
 عن اعمال معيشتهم ووضعهم تحت الخطر بساحة الحرب حتى اتي اهلكهم بيدي
 مع اني مأمور من الله ومن الدولة برعايتهم وصيانتهم ولذلك اعمل غاية جهدي
 بعدم الاسراف بسفك الدماء ولذلك ترى انعامي على من يجلب اسيراً هو ضعف
 الذي يعطى لمن يحضر راس قتيلاً ثمرة من التفريط بالقتل . وهذا الكلام تلقاه
 محرره من فم عبدالله آغا المذكور . فالأمير ارسل العسكر الوزيري من طريق
 الكحلونية على الجديدة وعساكر الجبل اتي بها في سهل بقعاً على ظهور الجديدة
 فالشيخ بشير جعل معسكره تحت المختاره قبالة الجديدة بينها نهر الباروك . وبذلك
 اليوم الاولاد الصغار بدير القمر ممن كان سنه اثني عشر سنة فصاعداً تسلحوا
 بالمقاييع وخرجوا مع العسكر للمحاربة وترأس عليهم المعلم خليل عطيه المهندس
 المتقدم ذكره كذلك الشجعان من يهود دير القمر كوسى شعبان واخيه ابي حسن
 وشويل باروخ قد خرجوا هذه المحاربة . وشميل المذكور وقف قابلاً لما ياتي نفر
 من المشاة . فالشيخ بشير ارسل عسكره لمقابلة العسكر القادم على الجديدة . فخيوله
 قابلت الخيول القادمة من جهة الكحلونية بالارض السهلة والمشاة قابلت (١٠٠)
 المشاة وصارت تتسلق على الجبل فوق الجديدة لمقاتلة عسكر الأمير . واما الاولاد
 اضرخوا بهم جداً برشق الحجارة بالقلاع وبدرجة الصخور على المتسلقين
 بالصعود اليهم وكان المهندس يرشدهم لدرجة الصخر الملايم لاصابة الصاعدين .
 واشتد الحرب بينهم حتى تغلب عسكر الأمير واخرجهم من قرية الجديدة وتبعهم
 حتى اخرجهم امامه منكسرين . فنظر الأمير نساء الشوف حاربات في الجبال
 فخشي من دخول عسكر الاتراك واستباحة النساء كهوايده المختورة جداً عند
 الليثانيين لانهم بكل رغبة يسمحون بسفك دمايهم لصيانة عرض عدوهم فضلاً
 عن عرضهم . فعندما نظر الأمير نساء الشوف سبق ونزل على جسر الجديدة
 ومنع العسكر عن عبوره بطلب المنكسرين احسائياً من الفضيحة وقال لقواد

العسكر كفافاً ما اعطاكم الله من النصر على الباغين فلترجع عنهم ليحملوا قتلاهم فرجعوا وبقي الامير على الجسر حتى انتصرف العسكر. وركب بساقتهم مع جماعته. والذي اخذ من الرؤوس اثنين وعشرين فقط ارسلو للوزير صبيحة قاسم آغا المذكور. وبذلك الليلة حضر لعند الامير كثيرون من رجال الشوف والعقوب يلتزمون صفو خاطره معترفين بخطاياهم وانهم انقادوا لمشايخهم مجبورين خوفاً على خراب بيوتهم. فسامحهم وان يرجعوا لمخلائهم (واما الامراء والمشايع المتجمهرون فتزحوا بتلك الليلة من البلاد وتفرقوا لجهات مختلفة. والامير صرف جموعه وعساكر الوزير كل فريق لمحله ووزع مصارف عسكر الوزير على الاشخاص الذين انفقوا مع مقاوميه. وجميع املاك بيت جن بلاط صارت مضبوطة لجانب خزينة عكا على ان تكون بتصرف الامير بان يدفع بدل حاصلاتها سنوياً ثلثماية وخمسين الف غرش لجانب الخزينة مع خمسين الف غرش للسيدة والدة الوزير) الذي صدر امره بهدم جامع المختاره مع ماذنته لكونه تشيد بدون اذن ولاية الامر وكونه وحده في ماذنته عجلاً مسبوكاً بشهادة ثقة المسلمين من العساكر (مع ان هذه الدعوى فاقدة الصحة والدروز يلعنون العجل وله عندهم معنى آخر ولكنتهم يظهرن للناس غيظهم من شتيمة العجل حتى يزيدهن سباً) وصار هدمها وهدم دار الشيخ بشير الذي تكلف على بنياتها اكثر من مليونين ريال عمودي.

فمصطفى باشا المذكور آنفاً كان عزل عن ولاية حلب وحضر للشام والياً عليها. فعندما بلغه انتصار الامير بشير وهروبه اخضاعه لايالة الشام ارسل عسكراً من الاكراد ليلتوا القبض على من يعثروا عليه من كبارهم (١٠١). فالشيخ بشير غاب خروجه من الجبل ودخله لايالة الشام ارسل ابن اخيه الشيخ علي المبروح ليبحثني عند دروز اقليم البلان (فات هناك). اما هو مع اولاده الشيخ قاسم والشيخ سليم كذلك الشيخ علي والشيخ امين العماد قد صادفهم عسكر الاكراد من الشام والشيخ بشير اراد ان يقاتلهم فالشيخ علي لم يقبل واختار التسليم اليهم فسلموا جميعهم. وغاب ان حاقت بهم العساكر نزعوا منهم سلاحهم واخذوا خيلهم وكلما كان معهم من امتعة واموال وركبهم خيولا ذنية واحضروهم لسرابا دمشق. فعندما شاهدتهم مصطفى باشا صدر امره بوضع الشيخ بشير واولاده والشيخ امين العماد في القلعة تحت الحفظ. واما الشيخ علي العماد لسوابقه معه كما ذكرت قبلاً عندما كان متولياً الوزير المومي اليه حصار عكا قد أمر باعدامه فتناوشته السيوف قبل نزوله عن ظهر دابته.

وعندما بلغ ذلك عبدالله باشا طلب ارسال الشيخ بشير ومن معه الى عكا.

فارسلوهم له فوضعهم تحت الحفظ. وبعد اشهر امر بقتل الشيخ بشير والشيخ امين العماد فخنقوهما وطرحوهما امام باب المدينة ليراهما الناس. واما ولدي الشيخ بشير فبقيا تحت الحفظ فوقع مرض الطاعون وماتا فيه.

> اما الامير سلمان واخوه الامير فارس والامير عباس واخوه الامير حسن توجهوا لبلاد حمص. ولم يلبثوا سوى ايام قليلة ورجعوا لجهة المتن في لبنان قبل ان يرد غيظ الامير من فعلهم. فحالا ارسل احد بلوكباشته^(١) الشيخ علم الدين ذبيان مصحوباً بجمل من الفرسان والمشاة بان يفحص عنهم في بلاد المتن ويلقي عليهم القبض ويحتفظ عليهم ويعرض لديه ليامره بما يقتضي. فعلم الدين صادفهم بالطريق فقبض على الامير سلمان واخيه الامير فارس والامير عباس. اما اخوه الامير حسن فتخلص منهم بالحرب وتوجه الى مصر. واما الامراء الثلاثة المقبوض عليهم فحفظهم علم الدين في دير الكحالة واخبر الامير بذلك. فأرسل ولده الامير خليل واستحضرهم وصار وضعهم في حجرة وكان ذلك في ١٤ رجب سنة ١٢٤٠ وفي تلك الليلة صدر امر الامير بقطع السفنهم واطفاء ابصارهم. فقطع الانسة باشره راهباً مارونياً فكان يغرز في اللسان ستاره ويسحب الى الخارج ويقطعه بالسكين ويكوي مكان القطع بكسرة فخار الحماة لاجل منع التزيف. ثم تقدم قاسم العرب الذي اطلق عبود اولاد الامير يوسف ليطلي عيونهم فأطفأها بالمكاوي الحماة بالنار. واعادهم ذلك على ثلاثة ايام بتدبير جراح مسيحي طالما قد شاهده ياكل الطعام مع الامير عباس على مايدته ويدعي الخصوصية. فبعد الثلاثة ايام اركبوا كل امير على بغل وارسلوهم لبيوتهم. وبعد مدة راق خاطر الامير عليهم واشعر الامير سلمان بسلامة احدي عنيه ولكن فقط اجفائها ملصقة من فعل المكاوي. فاستأذن الامير بشقها فاذن له فشققها وصار يبصر. واما اخوه والامير عباس فبقيا اعميان. (١٠٢) واما امراء حاصبيا فتحقق للامير ان الامير حسن والامير حسين بديعه كان لها تدخل مع المتجمهرين ضده. وكان الامير سعدالدين حضر لثبته الامير بالظفر فتذاكر معه بهذا الخصوص. وكان اخوه الامير محمد بعد حضوره الحروب باقياً عند الامير فصار ارساله لحاصبيا وهناك قتلوا الاميرين المذكورين.

وكافت العادة ان يكون عند امراء حاصبيا مديراً من طرف الامير يسونه في اصطلاحهم كبحية فكان يوضع عندهم واحداً من معتملي الشيخ بشير فيكلر

(١) البلوكباشي والبلكباشي والكيكباشي والمكيكباشي في لغة ذلك العصر في لبنان « راس الجماعة » واليك من التركية ومعناه القروح.

عيشتهم بكبرياه وتعرضاته لم في جميع اعمالهم حتى شمت نفوسهم . فطلب الأمير
سعد الدين من الأمير ان يسمح له بمخايل مشاقه ليكون مديراً عنده فصدر
الاذن بذلك . فتوجهت صحبته . وهناك كانت تزداد محبتهم لي ومحبتي لهم حتى
صار جميع عايلة الامراء يحتسبونني كأني واحد منهم . وعندما صممت على الإقامة
الدائمة عندهم اعطوني اراضي متسعة في قضاء الحولة مالكانا منهم من خاص
اراضيها تحت ماء نهر اللدان (المعروف قديماً بنهر مدينة دان) ورفعوا عني مال مبرها
وجعلوها لي معافاً واعطوني قرية من اعمال القنيطرة عليها اجرة وقف وللأمرأ حق
وضع اليد . فأبطلت اشغالي الحربية من دير القمر وجعلتها للزراعة . فالأمير
سعد الدين وابن عمه الأمير سليم لم يبق لها معارض في حكومة بلادهم ثم القوا
القبض على الشيخ ابو صعب شمس واولاده الشيخ امين والشيخ خليل لانه متزوج
اخت الشيخ بشير جنبلاط واولاده اولادها . ولا بد كان له مداخلة مع قريه في قننة
الجليل . فوضعهم تحت الحفظ . واما ابناء اخيه الشيخ احمد والشيخ فاسم ابو سليم
بك شمس الموجود الآن لم يتعرضوا لها بشيء . واما مشايخ بيت قبس هؤلاء
اصلهم من قرية كفرنبرخ تبع بيت عماد الدين هم من الرؤوس بقتنة الجليل
فكانت عليهم دعوى المداخلة معهم . ولذلك تزحوا من اوطانهم . فدعوى بيت
شمس قد توسطها محرره وتكفلوا لشيء جزوي وغلب انطلاق سيلهم كنت اشتبه
سكونهم حتى استجلب خاطر الأمراء لنحوهم . اما هم بقيت نخشة غلب الأمراء
فيهم نوسوس ضارهم فزحوا من اوطانهم . فتجدد غبط (الأمراء) وامروا بهدم
دار الشيخ ابي صعب دون دار اولاد اخيه ودار الشيخ بشير قيس قاضي البلاد .
وهذا كان بينه مضافة مجافية للغرباء فالتقت ابقاها لسكنائي قاصداً حماية
بيت يطعم خبزاً وبأوي الغريب فحصلت على مرغوبي وسكنت الدار المرقومة
وبتلك السنة وقع على دروز حاصبيا اهانات متنوعة .

وسنة ١٨٢٨ حصل محرره مرض حمى الربيع وبقيتها لم تكن الكينا مشهورة
عند اطباء البلاد الشامية (١٠٣) فتوجهت لبيني بدير القمر للمعالجة حيث كان
اطباءها حينئذ يمتازون عن غيرهم من ابناء العرب . وبالجهد امكن التخلص من
هذا المرض بمدة خمسة اشهر . فحتمت على نفسي بمطالعة صناعة الطب . وكان
ذلك من الامور العسيرة حيث لا يوجد مدارس ولا مطابع للكتب ولا معلمون
كفاية لثلاثي عنهم . ومع ذلك ترجع في فكري اني بالجهد يمكنني تحصيل
مرغوبي من مطالعة كتب هذا الفن الموضوعة للتعليم . وحيث هذه موجودة بلغني
لما يمنعني عن فهم مدلولها الا عدم جهدي . فاذاً بالجهد يمكن التحصيل .

فاقتنيت ما امكنتني الوصول اليه من كتب الطب العربية وشرعت بمطالعتها وكنت اقدر على فهم معانيها الا انني اتوقف عن فهم الالفاظ التي هي من اصطلاحات الاطباء او مأخوذة من لغات اجنبية كالفارسية واليونانية خصوصاً اختلاف المؤلفين في الاصطلاح مثلاً الواحد يقول حي يوم والثاني يقول حي كاتي مبروس والثالث يقول حي كوتيديانا والمقصود هو مرض واحد بعينه. فاضطريت للاستعانة بالاستفادة عن اختلافات كهذه من بعض الاطباء. ثم بعد مدة حضر لعندي من مصر خالي بطرس عنخوري المتقدم ذكره لتبديل الهواء كونه منحرف الصحة اقام عدة اشهر فحصلت لي الفرصة بالاستفادة منه عن معاني ما جهلته. ثم في تلك السنة حصل مرض لبعض الامراء فاحضرت له طبيب الامير بشير الدوقثور جوزيه كارليني النابوليتاني فاستقام مدة حصلت منه على معرفة اشياء كثيرة اكتشفها المتأخرون. وكان زوج ابنته معه شاباً من ازمير فتركه عندنا لانتمام معالجة بعض امراض في عيلة الامراء. وعندما رأيناه حاذقاً حسفت لم ان يرتبوه طبيباً لم دائماً. فأجابوا مرغوبي وهو لم يخالف رغبتي. واعطوه الامراء بيتاً لسكناه واحضر عياله وحصلت منه على افادات كثيرة وصرت اطبيب مجانياً وقصدي الممارسة على العمل. ثم الطبيب المذكور بلغ خبر حسن صناعته لوالي الشام فطلبه من الامراء لمعالجة مريض فأبقاه عنده.

ولنرجع لاجبار ولاية صيدا. ان الانتقال بالمطاليب المبرية على فلاحى مصر مع خفتها على فلاحى ايلة صيدا اوجبت انتقال كثير من فلاحى مصر لبلاد غزه وبافه. فحرر محمد على باشا لعبدالله باشا في ارجاعهم لبلادهم فصمم على عدم الاجابة. فابراهيم آغا الكردي اشار عليه بالامتنان لوالى مصر لانه كاييه وله سابقة المعروف. فزعل عليه وبلغ ذلك للامير. فارسل معتمداً بوضع لعبدالله باشا عدم موافقته ذلك لصوالحه وله عواقب يخشى غوايلها وانه لا يجب نسيان معروفه معنا. فكان الجواب اني اعرف شجاعة الامير فكيف اعملها الآن. فالدولة لم تسمح برفع الحصار عني الا بعد عجز عما كرها عن فتح عكا التي عجز عنها بونيبارتي. وكانت محصنة بسور واحد فالآن محصنة بسورين بقاية المتانة لا يقدر ملوك الارض على تسخيرها. فاذا يقدر محمد على ان يصنعه معي. هل هو اكثر من وزير. فاني وزير مثله. فليكن الامير شجاع كما اعهد. كذلك اخبر الامير بان لا يسمح بهذه السنة ان يوخذ من الجبل لمصر بزرراً لدود الحرير. (انه لشدة الحر في بلاد مصر كان ينفق البزر قبل خروج ورق التوت فيضطرون لاختد البزر من الجبل لكونه يتعوق عن النفقس لبرودة هواه. فهذا

التصرف اذ عل خاطر والي مصر لانه كان يجب على عبدالله باشا ان يحتسب نفسه عتيق افضال محمد علي باشا عليه . وصار الجميع ينتظرون ظهورات جديدة من طرف والي مصر .

ثم في سنة ١٢٤٣ هجرية غدر الامير افندي باين عمه الامير منصور اذ ارشى امرأة من قرية ظهر الاحمر بان تراقب دخوله للمنامة في وقت لا تكون رجاله حوله وتأتيه بالخبر سرّاً لقرية بكيفا البعيدة عنه نحو ميلين . فعندما تيسرت لها هذه الفرصة توجهت واعلمت الامير افندي . فتوجه اليه بعد نصف الليل بحملة رجال واحاطوا في بيته وتسلقوا على سطح محل منامته ولم يحسروا على الدخول اليه فيعطب كثير منهم لانه من الشجعان (١٠٤) واسلحته لا تفارقه . فحرقوا السقف واطلقوا عليه الرصاص الكثير حتى اماتوه . ونهبوا كل ما عنده من مال واسلحة ونحوه . فقط تركوا لزوجته ما يخصها . وانفرد الامير افندي بحكومة بلاد راشيا ولم يبق له مقاوم . وعندما بلغ الامير بشير خبر قتل الامير منصور اغتاض على الامير افندي لكونهما كافا تصالحا على يده . فحضر الامير افندي لحاصبيا طالباً من امراها استجلاب رضى الامير عليه . فتوجه الامير سعد الدين لعند الامير بشير وما زال يستعطف خاطره حتى استحصل رضاه على الامير افندي الذي قابله فيما بعد بضد صنيعه معه . وذلك ان الامير افندي اخذ لعنده الامير احمد والامير بشير ولدي اخته من الامير حسن بديعه المقتول مع اخيه باذن الامير بشير لاتفاقهما مع الثائرين عليه جنبلاط وعماد . وكان مرتباً لهما معاشاً من امراء حاصبيا باكثر من المرتب لامثالهم من بقية الامراء . ففي سنة ١٢٤٥ توفي الامير سليم ابن عم الامير سعد الدين وشريكه بحكومة حاصبيا وعمره ثلاثون سنة تاركاً ولده الامير محمد قاصراً تحت وصاية محوره . فالامير افندي احتال باخراج امر من الامير بمضاعفة معاش ابناء اخته ليتوصل الى ما عزم عليه . فدفع الامير سعد الدين الشهريّة مضاعفة حسب امر الامير فهاجت عيكة عليه وطلبوا الزيادة بنفسه اوليك اعداؤه وهم حزبه . وحيث اجابته لمطلوبهم لا تبقي له شيئاً من ايراد البلاد ليعيش منه ولا يمكنه مقاومة حزبه فيخسره صم ان يمتنع عن دفع الزيادة الصادر بها امر الامير بشير . فعملت جهدي بارجاعه عن عزمه لانه يغيظ الامير وهذا يضره ويرهنت له براهين كثيرة حتى انصلت معه ان يدفع ذلك الشهر فتكون لنا الفرصة بالذهاب لعند الامير بشير ونقرر له الشكل الذي دفعنا فيه من طلب العيلة وجوب التسوية ونطلب منه حلة فلا بد ان يامر بالموافق ونرتاح من العواقب الردية التي لا بد ان تكون اذا بقيت على عزمك . فكلامي

جميعه لم يثنى عزمه خلافاً لعادته معي . ثم دخل لدار الحرم وامرني انه متى حضر رسول الامير احمد ادفع له المعاش حسب القديم . فحضر الرسول ولم يرتضي ان ياخذ الا حسب الترتيب الجديد واذا لم تعطه الا كالتقديم فلا ياخذ شيئاً . فافتكرت انه فيما بعد الجميع يحسبون ان ذلك بتدبيرى لاعتقادهم باستماع الامير لمشوراني حال كونه يخالفني باكثرها . فحررت له تذكرة وادخلتها اليه لدار الحرم مضمونها اني كررت الرجاء لديكم مراراً بدفع معاش الامير احمد حسب امر سعادة والدكم الامير . والآن حضر الرسول لياخذه ولم يرتضي ان ياخذ الا ما صدر به امر سعادته . فارجوكم ان تسمحوا لي بدفع الزيادة ولو من مالي الخصوصي عن هذا الشهر الذي يمكنكم التوجه فيه لعند والدكم ونهاية الدعوى بامره . فارجع لي التذكرة وعليها الجواب بخطه وامضاه . انني لم اعهد كثرة مراجعاتكم لي سوى بهذه القضية وقد افهمتمكم مراراً كوني لا يمكن اسبغ بدفع الزيادة . فاذا لم يرضى الرسول ياخذ المعاش القديم فالتخاطر له ولا اريد المراجعة بهذه القضية . فاطلعت الرسول على خطابي والجواب فانصرف ولم ياخذ شيئاً . وبعد اربعة ايام حضر لي تحرير من اخي اندراوس بطليني لمواجهة الامير . فتوجهت حالا وعرفت ان الطلب هو سبب ما تقدم شرحه . وعند مقابلتي الامير امر لي بالجلوس والقهوة كالعادة ولكن بدون بشاشة . فقال لي لماذا فعلتم هكذا بمعاش الامير احمد . اجبته عيدكم بخادم ليس لي عمل سوى امتثال امر مخدومي . فالسؤال يطلب جوابه من مخدومي . ولو عرفت السؤال قبل حضوري كنت اطلب جوابه من ولدكم الامير سعد الدين . فقال لي انني اعرف ان الامير سعد الدين يعتمد على رأيك وهكذا الامير افندي بنسب الواقع الى اعمالك . اجبته نعم ان الامير سعد الدين يعتمد رأيي ولكن اذا كانت القضية لا تمس كيسه . فسعادتك ان اعتبرني (١٠٥) عادم العقل فليس علي لوم وان اعتبرني زببتك فلا يصح الظن بي بان ارتضي بعمل يخالف ارادتك ويضر على صواخ مخدومي . واما كون الامير افندي بنسب الواقع لاعماله فلكونه من عابلكم الشريفة فلا يلين بي ان اجاوبه باكثر من اعتياده على اراء وتقارير الشخص ليسوا تربية سعادتك نظيري فلا يفحصها ليظهر له الصدق من الكذب قبل ان يعرضها لسعادتك ويضع امضاه وختمه على تهمة عيدكم . وحينئذ قدمت له تذكري للامير سعد الدين وجوابه عليها . فبعد ان قرأها قال لي ان تهمة الامير افندي لك احوجني لحضارك لكي اتفق على الحقيقة لاجاوبه بما يقتضي . فانت ارجع لشغلك وافهم الامير سعد الدين انه اخطأ فيما عمله . ولا يحق لي معارضة خصمه

بما يسعى فيه لمصلحة نفسه بعد ان الامير سعد الدين حل رباط الخصم بيده .
ان الامير افندي ارسل معتمدين للشام يطلب بلاد حاصبيا باسم ابن اخته الامير
احمد . فحضرت الى دمشق وما قدرت على تعطيل عملهم بالتمام اولا لتعهدهم
بدفع مبلغ كبير لخزينة الوزير . ثانياً لان مشايخ بيت قيس التازحين انطبقوا معهم
والدروز على ميلهم لائمهم عقاب وشيخ الخلوة والقاضي هما منهم . ثالثاً الامير
بشير قد تخلى عن الامير سعد الدين . فبعد الجهد امكن ان يتركوا للامير
سعد الدين نصف البلاد ويعطوا الامير احمد النصف الذي كان باسم الامير
سليم المتوفي . وعندما الامير احمد عجز عن تادية ما تعهد به لخزينة الشام فالامير
بشير جعل ثلثي البلاد للامير سعد الدين . والثلث للامير احمد بناء على ان ثلثي
مطلوب الخزينة يدفعه الامير سعد الدين . ولولا ان الامير يعمل ذلك لكان والي
الشام بعد مدة يطلب من الامير سعد الدين عن نصف البلاد مقدار الذي تعهد
به الامير احمد . ثم قسمت البلاد بينها حسب استحسان الامير بشير . اما الامير
احمد لم يتجاسر على سكني حاصبيا فسكن قرية عين حرشا من بلاد راشيا
القريبة من بلاد حاصبيا .

ودخلت سنة ١٢٤٦ . وبهذه السنة عصت بلاد نابلس على عبدالله باشا
لانه كان سلخها بامر الدولة عن ايلة الشام وصبرها تبعاً لايلة صيدا . وتيسر له
ذلك بسبب تشكي وزير الشام من عصيانها بان مطلوبه منها ستاية كيس فلا
تتحصل منهم الا بتوجه اليهم بنفسه مصحوباً بالعساكر التي يصرف عليها اكثر
مما يتحصل منهم . فعبدالله باشا تعهد للدولة بدفعه عنها سنوياً التي كيس .
فأعطوه اياها . وعندما اهابها طلبت منهم الاموال الاميرية بنسبة باقي الرعايا
وذلك اكثر مما كانوا يدفعونه لوزير الشام اظهروا العصيان . فأرسل عليهم العساكر
بالمدافع والفرسان قناتلوها ونحصنوا بالقلاع . فترن العسكر تجاه قلعة سانور التي
عجز الجزار عن تسخيرها وشدد عليها الحصار بدون طائل . فكانوا يخرجون اليه
ويقاتلونه . كذلك اهالي القرايا بالخارج فينبون الذخاير في الطرقات ويقاتلون
محافظوها . فعندما ظهر لعبدالله باشا عدم اقتدار عسكره عليها طلب من الامير
بشير الاسعاف بالرجال . فنهض بنفسه واصحب معه نحو الف وخمماية من خدامه
ما بين فارس وراجل ونذب لرفقته الشيخ ناصيف ابني نكد المشهور بالشجاعة
 واصحب معه خدامه ورجال دير القمر نحو الف نفس . واجتمع على الامير من
امراء حاصبيا وراشيا وبعض مشايخ الجبل بالخليل والرجال نحو الفين نفس .
فكان الجميع دون الخمسة آلاف . وبوصول الامير ورجاله نزل بجدا معسكر

الوزير تجاه قلعة ساتور. ثم حرر كتابات تأمين وتطمين لجميع وجوه بلاد نابلس والمحاصرين بالقلعة مع الانذار والتحذير من وخامة العصيان على ولاية الامور وانه اتخذ هذه الفرصة لنصحهم التي لا يملكها غير هذه المرة. فان رفضوا النصيحة يلتزم بانفاذ امر الوزير بتدمير العصاة. وامهلهم بالجواب ثلاثة ايام. فاطاع منهم جانباً واتوا لعند الامير (١٠٦) لوثقتهم بامانه فطمئنتهم وارجعهم لينصحوا البقية بالتحذير من سوء العاقبة. فتوجهوا ولم يسمع للطاعة غير القليل كما ان الموجودين داخل القلعة لم يصغوا الى النصيحة. وتجمع الوف كثيرة في قرية عجة قريبة من المعسكر. فجاءة الامير اتهموا منه ضربهم قبل تكاثرهم فلم يسمع حيث قصده انتهاء القضية بدون سفك الدماء. ففي احد الايام اذ كان بعض عسكر الامير يستقي من ماء قريب اتي عليهم رجال من جموع عجة وفنكوا بهم. وكان من المقتولين اربعة شبان من اهالي دهر القمر جماعة الشيخ ناصيف ابي نكد الذي عندما بلغه الخبر لم يعد يتوقف عند منع الامير عن القتال بل ساق رجاله امامه وهجم على جماعته عجة فاطلقوا عليهم الرصاص كالمنظر فلم يتوقف حتى دخل البلدة عنوة والقتال بينهم لا يفر. فباقي عسكر الامير مع عسكر الوزير عندما نظروا اشتباك الحرب اسرعوا لمعونة الشيخ ناصيف وحشدوا حتى الانكسار على العصاة وقتلهم كانت كثيرة والعسكر استباح البلدة. وبهذه المعركة قتل احد اولاد حسين حمادى فالامير ارسل يعزيه وكتب له الاخ العزيز بذلك رفع عائلته لرؤية المشايخ بعد ان كانت من وجوه الرعية. وبعد هذه النصرة اشتغلت المدافع والقنار والمجموعات المتواصلة على القلعة. فالذين داخلها من شدة المضايقة وانقطاع املهم من مساعدة بلادهم فلم سلموا انفسهم ليد الامير الذي عنى عنهم جميعهم. وصار هدم القلعة وتحصيل الاموال الميرية. وتصرفت العساكر لخلاتها.

ثم دخلت سنة ١٢٤٧ وفيها كان ابتدا وقوع الحوادث المهمة في بلاد سوريا بانقلاب الاحكام وانتشار الحروب. فأهالي دمشق احدث عليهم واليها الصدر الاسبق سليم باشا ان يدفعوا شهرياً مالا طفيفاً لجانب الخزينة عن خوانينهم داخل البلدة من المخازن والدكاكين وغيرها. ولم تسبق لهم العادة ان يعطوا شيئاً عن ذلك حتى ولا عن بسائنتهم وارضيتهم. فالحكومة ليس لها مطلوب عل دمشق سوى مال كمرك الداخل اليها من خارج اية الشام دون الخارج منها يبلغ نحو التي كيس. ولم على النصارى واليهود مال جزية الراس يزيد وينقص بحسب عدد اشخاصهم ومال عنب وكنائس. فالذي احدثه على المسلمين صار سبباً لقيامهم

عليه . فتحصن الوزير بالقلعة وبقيت عساكره بالخارج لان القلعة لا يوجد بها علف لدوابهم ولا مأكولات لاشخاصهم . فاولاد البلد طردوا عساكره واحد ضباطه يسمى قاضي قران من الانراك شديد البأس قاتل الثايرين قتالا شديداً حتى حصروه بجامع بمحلة من النصب باطراف البلدة فاستامن منهم وخرج برجاله من دمشق . وبوقتها وقع الخوف على النصارى من تعديات جهلة المسلمين . ولكن (علي آغا) خزينة كاتبى من كبراء آغاوات دمشق وعقلايهم هو عديم التعصب وكان النصارى يعجلون اليه كثيراً لمكارم اخلاقه ولطف معاشرته مع الجميع حال كونه من الشجعان الاشداء اصحاب السطوة بالسيف والقلم وبده البسار فيها كاليسنى وقد شاهدت ذلك عياناً اذ التست منه رؤية ذلك ولحجته نحوي اجابني لمرفوني . فقطع بكل يد قضيباً بضرب السيف وكتب سطراً بخط جميل نصفه باليد اليمنى والنصف الآخر باليسرى وهذه المشاهدة شجعتني الآن على الكتابة باليسرى بسبب شلل نصفي الايمن . فعلى آغا المذكور اعتنى بصيانتة النصارى واليهود من تعديات الاسافل . ثم حضر من عكا الجريجي الداراني الذي (١٠٧) كان نازحاً اليها من وجه سليم باشا . والقول ان عبداً لله باشا ارسله لانعام ما جرى بعد ذلك لغاية ما لانه كان صاحب سطوة جسيمة بين كبراء دمشق . فسلم باشا تضاييق في القلعة من عدم المأكولات وطلب الثامين من الثايرين عليه فأمنوه . فخرج الى بيت اعدوه له ولكنهم وضعوا عليه خفراء قالوا انهم وقفوا على دسائس يعملها للظفر باخصامه . ولذلك هجم عليه بعضهم فتحصن بمجلسه فاشعلوه بالنار فمات حريقاً . فاجتمع اعيان البلد وربوا حكماً موقفاً وصاروا مترقبين ورود عساكر الدولة للانتقام منهم . واذا ورد الخبر بخروج عساكر مصر لتاتي الى بر الشام فسكن روعهم نوعاً . والدولة عندما خرجت عساكر مصر صرفت النظر عما عمله اهالي دمشق وارسلت والياً عليهم اسمه علو باشا^١ .

ان عبداً لله باشا والي صيدا عندما بلغه خروج عساكر مصر اسرع لتجهيز كلها يلزمه للحصار وتادى برفع اسعار المعاملة فزادها نحو عشرة بالمائة . وحضر عند الامير بشير عمدة بكتاب من الشيخ حسين عبد الهادي من معتبري مشايخ بلاد نابلس يخبره عن وصول عساكر مصر الى اراضي غزه صحبة ابراهيم باشا ابن واليها محمد علي باشا ويطلب خاطر الامير بسلوكه معه كيف يكون ان كان بالعصيان او بالاطاعة . فجاوبه بالاطاعة والموافق ان الشيخ يوافيه الى الطريق

(١) يفتح العين واللام وتشديد الواو . وهو تحريف شائع بين الاكراد للام علي .

ويعيشي امامه ومتى وصلوا لامام عكة فهو ينزل عندهم . فكنت قد حضرت لعند
الامير للوقوف على خطاطره كيف يريد ان يكون تصرف الامير سعدالدين بهذه
الحادثة . فاجابني متى انتهى امر عكة فاعرف الامير سعدالدين وغيره عما يجب
عمله . واما الآن فيجب ان يكون في طاعة والي الشام كما دته . فحررت له عما
تجاوبت به وزلت لبيروت بمصلحة تخصني . وبوصولي وجدت الخبر بوصول
عساكر مصر لصحراء عكة وانه توجه الامر من ابراهيم باشا للامير بالنزول
لعهده . فثاني يوم توجهت لعكا فوصلتها اذ كان اثنان وعشرون مركباً حريباً
محيطه بها ثمانية من شمالها وثمانية من غربها وستة من جنوبها امام برج الدبان .
ومن البر مدافع وقناير على تل الفخار وجميعها تضرب على عكا باتصال وعكا
تضربها وكانت لا تظهر من كثرة دخان البارود . وبقي الضرب من الصباح لقبل
غروب الشمس بساعة ونصف . فقامت المراكب الى حيفا ولم ترجع للضرب
فيما بعد . والذي فهمته ان المراكب بذلك اليوم حذفت على عكا اكثر من
سبعين الف كرتة وان المراكب اكثرها تعطلت من ضرب عكا عليها . وبقيت
هناك نحو عشرين يوماً انظر الوقائع . فالعسكر المصري في كل ثلاث او اربع
ليالي يخرج منه نحو خمسة آلاف عسكري تحت الظلام لمكان بعيد ويرجع شروق
الشمس ايهاً لعسكر عكة بان عساكر مصر لم تزل تتوارد عليهم . فاشتغل
العسكر المصري بفتح الخنادق الموعة المسماة عندهم طريق الفار وعملوا متاريس
قرية الاسوار البلدة نصبوا عليها المدافع والقبوسات وهاون القناير . واكملوا اعمالهم
هذه في ظلام الليالي لوقاية انفسهم من نيران عكة . واشتغل الحرب بين المتاريس
واسوار عكة ليلاً ونهاراً . وكان جل ضرب المصريين على برج علي القريب من
باب المدينة . وهذا سماكته هناك مع السور ينفذ عن سبب ذراع وزد على
هذا انه لا يصاب منه غير الظاهر من اعلى السور نحو ثلاثة اذرع لانه مستور
(١٠٨) بحائط الخندق العميق . والارض في خارج الخندق هي عالية وموازية
لأعمالي السور لقرب طيقان المدافع . وكنت اري ان فتح عكا من البر يعجزهم
الا اذا امكنهم ردم الخندق . وقررت ذلك للتوجه حثا بحري وجاوبني ان
المهندسين معنا معتبرين جداً لا بد انهم يعملون الاوفى .

فكان داخل عكا من العسكر نحو ثلاثة آلاف من الشجعان المحيرين
بالوقائع وكانوا يخرجون للشحش بعسكر مصر ليسحبوه الى امام مدافع الاسوار
فلا ينسحب معهم لان ضباطه من اهل الدراية . وكانت الكتابات من الدولة
وغيرها تدخل لعكا ليلاً صبية اناس يأتونها بالبحر سباحة في الظلام . وفي احدى

اللبالي حصل بالعسكر قلبي وضجيج ثم سمع طلقات بارود وصياح ثم اغاني فلاحية بمدح عبدالله باشا فظننا ذلك ما يسمونه كبة للعساكر من اعداء الى ان تحقق الامر بان سناية رجل من اهالي نابلس اتفقوا ان يخرقوا العسكر المصري ويدخلوا عكا لمساعدة وزيرها . فدخلوا المعسكر مشهرين السلاح يضربون من يعارضهم والعسكر لا يقدر ان يطلق عليهم الرصاص داخل المعسكر ليلا يصيب جماعته حتى نفذوا لجهة عكا . فاطلقوا عليهم الرصاص فالظلام منع اصابتهم ودخلوا عكا سالمين . وفي كل ليلة يسمع صراخهم على الاسوار يدعون بالانتصار لعبد الله باشا .

وحينئذ الخواجة يوحنا بحري المرسل من طرف محمد علي باشا صحبة ولده ابراهيم باشا معاوناً ومطلق التصرف بترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى قد باشر اتمام الترتيبات اللازمة بجميع الايالة على اكمل وجه لانه كان من افراد الرجال بالحذافة وجودة العقل مع غاية الاستقامة بجميع اقواله واعماله سواء بحق مخدومه وحق الرعايا . فأتقن كلما هو لازم .

واما عكا فالضرب عليها ومنها بدون انقطاع ليلا ونهاراً . وبعد ان عرفت كلما امكنتني معرفته حتى عدد العسكر بانه ثمانية الابات مشاة تبلغ انفارها ثمانية عشر الفا وثمانية الابات خيل تبلغ رجالها اربعة آلاف ويوجد نحو الف فارس من عرب المنادي . والمدافع مع القنوسات وهاون القنبرة ثلاثون واربعون قطعة ومطبعة حجر . حينئذ رجعت لدير القمر وبعد مواجعتي للامير امين وكيل والده بالحكومة ونظمته عن صحته وتغيره عن حوادث العسكر توجهت لخاصييا وقررت الوقايح للامير سعد الدين وعن استعدادات المصريين القوية ولكن لا يرجي فتحهم لعكا بمدة قصيرة حيث لم يتسهل لهم فتحها من جهة البحر فاسوارها من جهة البر بغاية المتانة والاستحكام ولا يمتلك المدفع سوى اعاليها لانها مستورة بالارض العالية المنفصلة عنها بحائط الخندق .

ان المشايخ النكدية قبل وصول عساكر مصر قاموا من البلاد ليتحدوا مع عسكر الدولة . فابراهيم (١٠٩) باشا ارسل لدير القمر يعقوب بك ميرالاي بعسكره ليكون محافظاً بغياض الامير في معسكر عكا . فبعد مدة ارسلت الدولة عثمان باشا اللبيب والياً على ايالة طرابلس الشام فدخلها . فتوجه اليه ابراهيم باشا بفرقة من عسكره فهرب من وجهه . وبعد ان رتب امور طرابلس توجه لخمص ومنها لمعلقة زحله ثم لمعسكر عكا . فالدولة وجهت عليه عسكراً تحت قيادة والي حلب إنجه بريقدار باشا . فحضر بالعسكر لخمص ثم نقل معسكره الى تل النبي

مندو تحت قرية القصير على شاطئ نهر العاصي ينتظر قدوم العسكر النظامي لكي يمضي فيه لعكا عن طريق بعلبك والبقاع . فابراهيم باشا ارسل عسكراً مصحوباً بمدافع اقامه بطريقه في قرية معلقة زحله مالكاتة اولاد الامير بشير . ولم يزل الحصار على عكا منذ بداية شهر جماد الثاني ذي الحجة . فازندم الخندق وهجم ابراهيم باشا بالعساكر المصرية على سور عكا فاربعته رجالها ومدافعها . وفي ٢٨ من الشهر المرقوم سنة ١٢٤٧ خطب ابراهيم باشا في عسكره وعدد ثباتهم في حروب المورة والحجاز وانتصاراتهم السابقة على اقوام اشدا وليس ضعفا كالمحصورين في عكا وان رجوعهم عنها هو مجلب لاهانة اسم العسكر المصري الذي لا يقبله من بعد اشتهاره بالشجاعة في جهات العالم . ولذلك يهجم على سور عكة هذا اليوم والمدافع تمضي خلفه تضرب العسكر الذي يرجع بدون تملك السور . ثم ساق العسكر وفتحت جهنم ابوابها من الجانبين فكان اول الصاعدين على ظهر السور بخيوطهم سليم بك اوتوزير ميرالاي الطوبجية وابراهيم آغا الرثماني معلم الخيالة من موارنة دير القمر وفي ظهرهم ابراهيم باشا . ولكن ابراهيم آغا قتل برصاص اصابه من سور عكا الجواني . وحينئذ كثرت العساكر المصرية على ظهر السور والتحم القتال مع جماعة عبدالله باشا الذين قل عديدهم من كثرة قتلاهم وعجائبهم فالتجوا لدخل السور الجواني . فعبدالله باشا عندما شاهد امتلاك السور المتين وانه لم يبق عنده من رجال المقاتلة سوى ثلاثمائة وخمسين شخصاً وضع نفسه بيد ابراهيم باشا وفتح له الابواب . فدخل العسكر المصري واستباح البلدة . واما عبدالله باشا فتعامل بالاكرام وارسل الى مصر ومحمد علي باشا احسن (مقابله) ورتب له ما يقوم بمصاريفه اللايقة بمقامه فاقام مدة ثم طلب التوجه للاستانة فارسله اليها . فاقام مدة ثم اتهم من السلطنة ان ينهي حياته الباقية بالحجاز فارسلوه ومات هناك . وبعد فتوح عكة ارتفع يوحنا بحري لمرتبة امير لواء وصار ينعت بحري بك .

ان ابراهيم باشا كان يمضي كتاباته الرسمية هكذا الحاج ابراهيم والي جدة والحلبشة وسرعسكر عكة حالاً . ولكن بعد فتوح عكة وضع امضاه سرعسكر عربستان . وبعد ان رتب احوال عكة وصدر امره بنزيم ما تحرب منها ومن اسوارها وشحنها بالذخائر والمهمات الحربية ووضع بها العساكر والمدفعية اللازمة لمحافظةها واحضر عساكر كثيرين من مصر . ثم قام بالعساكر قاصداً مدينة دمشق وبمعيته الامير بشير الذي حرر لولده الامير امين ان يرسل له بعض اتباعه وحرر لافراء خاصبيا وراشيا ان يوافوه لدمشق . فتوجهت لدمشق صحة الامير سعد الدين .

اما علو باشا والي الشام قد جمع عسكرياً من الاكراد ومن اولاد البلد واخرجهم لمقاتلة ابراهيم باشا وصدده عن الدخول الى دمشق . فخرجوا لمقابلته نحو عشرة آلاف فنظرهم من بعيد بالنظارة وعرف فريق خيول الاكراد من فريق الشام فوجه خيل عرب الهنادي لمقاتلة الاكراد وتبته على العسكر النظامي ان يقابل الشام (١١٠) ولا يؤذيهم بل يطلق بواريده في الجو . فالتقى العسكران . فعندما سمع الشام صوت النار الدائمة تهاربوا . اما الاكراد فقاتلوا جهدهم واخيراً انكسروا وفي اثرهم خيل الهنادي تقتل من لحقته منهم . ولا بلغ علو باشا انكسار عسكره فاز بالهرب من دمشق فدخلها ابراهيم باشا ولم يسمح لعسكره بالتعدي على احد وحالا اطلق المناداة بالآمان وان الجميع يكونوا باشغالهم مطمئنين . فاقام في دمشق لغاية ٤ صفر نهار الاثنين وتبته على افندية دمشق ان يرافقه وترك فيها المعلم بطرس كرامه لترتيب مجلس الشورى ونصب فيها حاكماً من خواصه احمد بك ربيب كورد يوسف باشا المتقدم ذكره احد ولادة الشام سابقاً . ونهار الثلاثاء في ٥ صفر خرج من دمشق الى القطينة والامير بشير وامراء حاصبيا وراشيا الى قرية عنبرا . وبذلك اليوم وقفت على عدد العسكر فكان المشاة احد عشر ألفاً وخيل النظام الفين وخيل الهنادي ثلاثة آلاف والمدافع ثلاثة واربعين والجمال الحاملة للذخائر والمهمات ثلاثة آلاف . وكان برفقة ابراهيم باشا عباس باشا ابن اخيه المتوفي طوسون باشا وابن عمته يكنى احمد باشا . ثم نهار الاربعاء قام بالعساكر الى التبتك وجماعة الامراء نزلوا بقرية دير عطية . وهناك توسط الامير برجوع اعيان دمشق لاطمانهم فرجعوا . ويوم الخميس قام الى حسيه . ثم يوم الجمعة انعطف عن طريق حمص الى طريق القصير ونزلت العساكر على شاطئ نهر العاصي عند تل النبي مندو حيثما كان نازلاً العسكر العثماني . لانه حينما بلغه فنوح عكا ارتجع لحمص التي تبعد عن المحل المرقوم خمسة عشر ميلاً . وكان يقوم ابراهيم باشا بالعساكر من مراحل قبل النهار بثلاث ساعات وعند الضحى يبلغ المنزل . فبذلك اليوم ساعة وصوله للنبي مندو وصلت بقية العساكر القادمة من طرابلس ومعلقة زحله نحو ستة آلاف . فتكاملت العساكر بما فيه جماعة الامير على العشرين ألفاً . وكان المسموع ان العسكر في حمص اثني عشر ألفاً لا غير . ثم اجتمع ابراهيم باشا مع امراء العسكر وعملوا الترتيب اللازم لمقابلتهم مع اعدائهم . وفي نصف الليل توجه فرسان الهنادي على حمص لمناوشة العساكر هناك . ثم ابراهيم باشا لم يتم بالعساكر باكراً كما دته بل عند طلوع النهار . يوم السبت

(١) يتبع الياء فتح الكاف وتغنيها على الطريقة التركية .

في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ رتب عسكر المشاة ثلاثة اقسام جعل البعد بين القسم والذي يليه نحو ميلين. وفي كل قسم منها كل يوزباشي رجاله امامه ثلاثة صفوف. ويليه الثاني نظيره بعيداً عنه مقدار طول الصف الذي قبله وهكذا جميع العساكر. فالصف الاوسط في ساقته الامير بشير وبقية الامراء ورجالهم والجمال الحاملة للذخائر والمهمات خلف الامراء. ثم الصف الايمن في ساقته عباس باشا ونصف خيل عسكر النظام مع نصف المدافع. والنصف الايسر في ساقته يكن احمد باشا المذكور وبقية خيل النظام والمدافع. واما ابراهيم باشا على ظهر جواده متردداً بين الصفوف ثم ضربت الموسيقىات (١١١) العسكرية ومشت صفوف العساكر في تلك السهول الفسيحة والرايات تحفق على رؤوسها. فكان منظراً شهيماً جداً. وكان كلما مشى العسكر اقل من ساعة ياخذ راحة. والساعة ستة وربع عربية وصل لقرية قطينة البعيدة عن مدينة حمص ثلاثة اميال. فامتد العسكر منها لجهة نهر العاصي الشمالي الغربي ومنها الى الجنوب الشرقي. فكان امتداد العسكر نحو خمسة اميال وعباس باشا بالخيول والمدافع عن يمين العسكر وهكذا احمد باشا عن شماله. واما ابراهيم باشا فجعل مركزه في منتصف صفوف العسكر على تل قطينة وصدر امره للامير بان يقيم بمن معه من الامراء والرجال عن شمال العساكر قرب نهر العاصي ولا يدخلوا ميدان الحرب. فنزل بقرب تل عال مخروطي الشكل والعساكر سندت اسلحتها لتأكل وترتاح. فتواردت فرسان الهنادي على ابراهيم باشا بالرؤوس التي قطعوها وبالاشرى التي استأسروها من عساكر الترك. فانعم عليهم واثني على شجاعتهم. وكان معسكر الترك عند تل باب عمر بعيداً عنا مسافة ميلين وكان منصوباً على التل جهة مدافع وكان بذلك النهار ريحاً شديدة ثائرة من الغرب الشمالي في ظهرنا تنسف الغبار في وجه عسكر الاتراك. وحال كون الارض سهولاً ترابية وناعمة والوقت صيفاً فمن دوس حوافر الخيل زادت نعومة فكان الغبار ملى الجو يعمر على الانسان والخيول مقابلته. وصار ذلك معونة كبرى لعسكر ابراهيم باشا ومصيبة عظيمة على عسكر اخصامه. فقتلقت لرأس التل مع البعض لرؤية الحرب. فكان الهنادي يهجمون على خيول الترك كالضواري ويخطفونهم من بين جماهيرهم الكثيرة. فالعشرة منهم تقاتل المائة واذا نكاثرت عليهم الرجال فلا يتقهقرون الى الخلف بل يذهب بعضهم او كلهم عرضاً ويأتي بمساعدين من ارفاقهم فيهمجمون على اخصامهم ويشهقونهم عن مراكزهم. فقبل الغروب بثلاث ساعات نظرنا قارصاً جاء مسرعاً من ساحة القتال لعند ابراهيم باشا الذي حالاً ركب بمفرده لعند

المنادي فارسلت خبراً بذلك لسعادة الأمير كونه ضمن خيمته لسبب شدة الرياح وكثرة الغبار . فصعد حالاً الى قمة التل واخذ النظارة لينظر الحاصل في ساحة القتال . فتجاسرت بقولي له هولاء هم الانبي عشر الفاً الاعداء الذين قلتم عنهم بدمشق . فاجابني قلنا هذا ولم يصل معنا هنا نصف الذين كانوا معنا فكيف لو قلنا انهم ستون او سبعون الفاً فلا يصل معنا احد . فلا توهمك كثرتهم لانهم عندما يسمعون تخزيق الفرسى يتهاوبون . (يريد صوت بارود العسكر النظامي عندما يطلق عليهم النار الدائمة . والفضة الفرسى بلغة اهل الجبل تفيد قماش القطن المعروف بالخام) . وفيما نحن بالكلام وصل رصاص الاتراك لعندنا لان عسكرهم من جهتنا تقدم عن غيره . فخشيت من اصابة الأمير وان لا يكون ذلك بالصدفة بل تعمداً فترجيت بالترؤل لخيمته من الارياح والغبار . فاجابني لا بل انك خفت من الرصاص بخلاف طبيعة اولاد بلدك . اجبته اذا كنت اخاف فلا يكون خوفي الا على شخص سعادتك لانك روحنا الثمينة عندنا فاذا سعادتك زلت لخيمتك ونزل عبدك فيكون خوفي هو على نفسي فارحوك (١١٢) تخبرني وتنزل . وغابني الوحيدى نزوله . فاجابني ان الانسان يجب عليه توقي الاخطار عندما لا يضطر اليها . فلو بقينا هنا تحت الخطر فلذلك غير ممدوح . وكنت احتم على جميع الموجودين حولي بالترؤل ولكن لا خطر علينا لان الرصاص الواقع هنا لا عزم له لانه سقط سقوطاً من فروع عزمه فلذلك لم يغرس في الارض فتراد على وجه الارض . ثم المنادي الذين يجهتنا لا زالوا بالرجوع الى الخلف وعندهم بهجم عليهم ويقهقروهم . فقال الأمير لا اشك بان المشايخ النكدية مع هولاء القوم لان هذه الهجمات هي هجماتهم . (ثم فيما بعد تحقق الأمير بانهم النكدية مع عسكر مرعش) . ثم نظرت لجهة العدو فلمحت عن بعد عسكر نظام . فاحدقت نظري جيداً والغبار التاير لا يمكنني من التحقيق جيداً لبعد المسافة فاخبرت الأمير قال لحد هذا الصباح حضر الجاسوس من معسكرهم بانهم خمسة وخمسين الفاً وليس بينهم عساكر نظامية وتحقق بالنظارة فلم ير احداً . ثم ظهرت لبصري صفوف طرايشهم الحمراء ولعان اسلحتهم لمقابلة ضياء الشمس وكثرة يبارقهم . فراجعت الأمير ان قولي هو اكيد وهم اكثر من عسكرنا واشرت له على مكانهم . فاعاد النظر اليهم بالنظارة فتحققهم وقال هولاء العساكر لا بد انهم الآن حضروا الى المعسكر وكان باقياً لغروب الشمس ساعتين وربع . فبذلك الوقت حضر فارس رافع من عند ابراهيم باشا لعند العساكر وبالحال اصطفت حايطاً واحداً في طريقه الخيول والمدافع وعباس باشا مع خيول المدينة

واحد باشا مع خيول الميسرة وضربت الموسيقى العسكرية ومشوا لمقاولة اخصامهم. فالذين كانوا امامنا من الاعداء هربوا من وجه العسكر فتبعتهم خيول الخنادي تنهشهم. واما ميسرة العسكر فهجم عليها نحو خمسة آلاف من خيل الاتراك فردهم عباس باشا بنار المدافع وبقي سايراً. فتجمع عليه ربما خمسة عشر الفاً من خيل الاتراك وهجموا دفعة واحدة فتلقاهم بمدافع الرش فانكسروا وتركوا من قتلاهم نيف عن التي قتيل. فعند وصول عسكر مصر النظامي لساحة الحرب قابله العسكر النظامي التركي وهو اكثر عدداً. وقبل الغروب بساعة واحدة اشتعلت نار الحرب بين الفريقين فكانت النار الدائمة بالبواريذ وبالمدافع من الجهتين. كذلك المتاريس في تل بابا عمرو تضرب المدافع وتحدف القنابر على المصريين. وكانت ساعة شديدة الهول تفتحت فيها ابواب جهنم. فعند غروب الشمس سكوت صوت البواريذ وبقي ضرب المدافع فقط لبعده الغروب بساعة ونصف وصار الهدوء التام. فحضرت البشارة للامير بنام النصر وان انجيه بيرقدار باشا ومن بجميته من الوزراء هربوا وفازوا بأرواحهم وان عساكر الترك بعضها قتيل وجريح وبعضها اسير وبعضها تشتت.

فصباح يوم الأحد دخل الامير لخمص وكانت الخيل تدوس على القتلاء مسافة ميل في سهل بابا عمرو. وتسلم الامير احكامها ووجد بين الاسرى (١١٣) ثمانمائة ارمينياً كانوا في خدمة العسكر فأطلقهم وارسلهم لعند مطران الروم. والاسرى من العسكر كانوا الياً بنامه غير المفردات فارسله لعكا صحبة الشيخ حسين تلحوق المذكور آنفاً. ومجاريح الاتراك نحو ستماية وخمسين مع مجاريح العسكر تسلموا للاطباء. وامر قاضي البلد ومفتيها بدفن القتلى فدفنوه. ووكّل محرره بضبط ممتلكات الوزراء المارين وكان منظم على نهر العاصي قرب جسر الميلاس فوجدتهم تركوا خيامهم بفرشها حتى ان الافتدي كاتب الديوان ترك دوائه القضية وافلامه مع الاوراق على الارض والطبايح باقية محروقة على النار وصناديق الادوية ونسالة الكتان وقماش الاكفان وعدد واقر من القراوي والبنشات للنيليس ومهات كثيرة. حتى انه وجد مخزناً في محلة سيدي خالد مملوءاً من البن الحجازي ما يكفي لموطة مدينة. فاكملت ماموريي وصار وضع كل شيء بمحله.

اما مدينة حمص فهي جيدة التربة معتدلة الهواء منسعة الاراضي محاطة بفرايا كثيرة. ولكن لعدم الاعتناء بها ترى اكثرها خراباً من تعدي عرب البرية عليها. ثم اهالي المدينة عددهم نحو عشرين الف نفس ربعهم نصاري اكثرهم

من طائفة الروم والقليل منهم كاثوليك مع سريان يعقوبية لهم فيها مطران وثلاثة ارباع اهلها مسلمون . ولم ارى فيها نصرانياً غير مولع بالسكر . ولكن كثير منهم يكتب خطأ جميلاً . ويخرج منهم افراد رجال مشهورين بالعقل والذكاء حال كون العموم تغلب عليه السذاجة . وقد حكى عن سذاجتهم قصص كثيرة لا يسعني شرحها وانما اذكر منها ما شاهدته بعيني . انه في ثاني يوم دخولنا الحصص تقدم اعراض اللامير بانه موجود قتل ومجاريح من اولاد البلد نحو تل بابا عمرو يلتصمون الكشف عليهم فارسلني لذلك . فوجدتهم ثمانية رجال مطروحين اربعة منهم قتل واربعة مجروحين . فسألتهم عن فعل فيهم ذلك . اجابوا اننا حضرنا لنا للتفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرة قنبرة مخشوة وفيلها ظاهر فاغتنمنا الفرصة لمشاهدة صعودها وهبوطها فاشعلنا القنبل ووقفنا حوطاً ننتظر صعودها فلا نعرف ماذا اعاقها عن الصعود ففقت واصابنا منها ما تراه . فآذنت بدفن الموتي ومعالجة الجرحى ثم رجعت واعرضت صورة الواقعة للامير . فقال لي اكتب عندك صورتها ليقف منها المعلم بطرس كرامه على درجة معارف اهل بلدته . وفيما بعد في احد اجتماعاتي مع بحري بك سألني عما نظرت من احوال مدينة حصص فمدحت حسن هواها وماءها وقلت اني وجدت لاهاليها دعوى على سعادتك والمعلم بطرس كرامه قال بماذا اجبت بانكم سلبتم لانفسكم حصصهم من العقل وتركتموهم مفتقرين اليه . فقال ما الدليل فأوردت له قصة القنبرة . ان مرض الريج الاصفر كان ظهر في حصص وانتهى قبل وصول العسكر المصري اليها . ولكن بعد المحاربة بايام تظاهر بها اخذاً بالازدياد . وكنت اعتقد عدواه وغلط منكرها بذلك الوقت لما ثبت عندي من الادلة بالامتحان . فامتنعت عن المأكولات عدا الخبز والصعتر ومرق الكرز . وحملت في عبي قطعة من الكافور واشربت بذلك على الامراء وجماعتهم فالنصارى بينهم اطاعوني واما المسلمون والدروز لاعتقادهم بالمقدر على غير وجه الشرعي اكثرهم لم يستمع للتصيحة فمات اكثر من نصفهم واما النصارى فلم يصب منهم الا القليل جداً ممن لم يحفظ الوصية . واشتد المرض بالبلدة وكان مهلكاً جداً . فكان يموت من الخمسة مرضى اربعة . وفي احد الايام بلغ عدد الموتي به مائتين وثمانية واربعين نفساً مع انها مدينة صغيرة . وقد عالجت فيه كثيرين فلم ينجح العلاج سوى بالذين مرضهم خفيفاً وربما كانوا يشفون بدونه . وبعد اقامتي شهراً ونصفاً رجعت (١١٤) لبيبي . وفي تلك السنة توفي والدي جرجس مشاقه الذي بقي مدة عاجزاً في بيته . واعطيت وظيفته لولده اندراوس قبل وفاته .

ان ابراهيم باشا قد اقام في حصص يوماً واحداً . ويوم الاثنين في عاشر صفر سنة ١٢٤٨ خرج بالعساكر في طريق حلب . وقبل وصوله اليها تلاقى بحسين باشا قادماً لمقاومته وصحبته اربعون الفا من العساكر فحاربه وانكسر حسين باشا وبقي ابراهيم باشا في مسيره . فمدينة حلب فتحت ابوابها فرتب احكامها وارسل حاكماً لآيالة أورفة وسار نحو بلاد الترك واستولى على آيالة ادره بدون حرب لان الخوف من سطوته قد شمل كافة البلاد . فسار الى قونية فهرب محافظوها ودخلها بعساكره التي لم يبق مصبته منها غير اثني عشر الفا حيث ابني بعضها لمحافظة البلاد التي افتتحها والبعض مات بحرويه وبالريح الاصفر . وبلغه حينئذ وصول الصدر الاعظم لقرب قونية وصحبته مائة وخمسون الف عسكري بالمدافع والمهات الحربية الكثيرة . وكان يوماً بارداً كثير الثلوج والغيوم الكثيفة . فخرج اليه ابراهيم باشا بعساكره القليلة وكان رئيسها سليمان باشا الفرنساوي (الذي حضر حروباً كثيرة في زمانه) حصة يونابارته نابوليون الاول وكان معه بعكة بوظيفة ملازم) فتقابل الجيشان واشتد القتال بينهما وكان الصدر الاعظم من الشجعان راكباً جواده يجول بين العساكر يحرضهم ويشجعهم على القتال . وكان الضباب الثقيل ودخان البارود يمنع رؤية العسكريين لبعضهما . ودخل ظلام الليل عليها . وعندما نظر ابراهيم باشا هذا الحال مع كثرة رجال الخصامه وقلة رجاله آيس من الخلاص وانه سيكون مع عسكره قريبة لاعدائه . وفيما هو بهذا الياس مر عليه سليمان باشا المذكور وفهم منه انقطاع امله من الخلاص فجأوه بكل قساوة بانك للان جاهل بفنون الحرب لا تعرف الغالب من المغلوب لان خصمنا ترتبه صار مختلفاً قريب السقوط وترتيب عساكرنا باحسن حال . فتشجع ولا تجبن عن المقاومة لاني اعتقد بان عسكرنا هذا القليل يكفي لقهر ضعف عساكر الخصم . فتشدد ابراهيم باشا بهذا الكلام وزاد تحريضه لرجالاه وهكذا الصدر الاعظم كان يجول في اول صفوف عساكره يحرضهم ومن شدة الضباب وتراكم الثلوج وقرب عساكره من عساكر مصر فبانفراده حاق عليه عسكر المصريين واخذوه اسيراً لعند ابراهيم باشا الذي حالاً تقدم للقاء واستقبله بالاحترام اللايق برتبته واطلق المناداة على عساكر الترك بان الوزير الاعظم صار اسيراً عند ابراهيم باشا . فتبددت تلك الجيوش تاركة مهاتها غنيمة للمصريين . اما ابراهيم باشا فتوجه بوزير الصداقة الى مدينة قونية ثم ارسله لعند ابيه بالاسكندرية وارسل بشار انتصاره لجميع البلاد الشامية وبلاد الترك التي اخضعها لسلطوته . وبعد ان اوثاح عسكره نهض به قاصداً آيالة كوناويه الى ان وصلها . فتهارب الحكام من وجهه وما عاد له ممانع يعارضه

(١١٥) في طريقه لأن الرعب ملأ قلوب جميع البلاد من شدة سطوته . فدخل كوتاهيه بكل راحة . وكانت خيول الهنادي تتوجه لمدينة ازمير ببعض مصالحها حال كونها لم تزل محكومة من طرف السلطنة فلا تجد من يعارضها . حيثئذ ورد له تحارير من سفارات انكلترا وفرنسا بالوقوف عن التقدم حتى يأتيه امر والده لانه حاصل مكاملة من السلطنة بتسوية الخلاف . فتوقف الى ان انتهى القرار بان يبنى بيد والي مصر ايلات صيدا وطرابلس الشام وحلب مع ايلة ادنه من بر الترك ويترك للدولة بقية فتوحاته . وحيثئذ رجع بعساكره الى سوريا . ثم حضر لدمشق شريف بك من اقرباء والي مصر بوظيفة حكمدار على بر الشام من حلب الى غزه . وبعد مدة اعطته الدولة رتبة ميرميان ولقب باشا . وكان من ذوي العقول نبياً حاذقاً ولكنه كلي القساوة على المذنبين لا يشفق ولا يرحم المذنب . قامات كثيرين بضرب الكرياج . فالذي يستحق ذنبه عشرين عصاً يضربه خمسين كرياج كل كرياج يساوي العشرين عصاً ويكون اكثر الضرب امامه . وعنده لوظيفة الضرب شاباً مصرياً كلي الرداءة والقساوة اسمه علي يتفاخر بانه يخرج الدم من ارجل المضروب في رابع جلدة . وقد شاهدته يضرب انساناً مغشى عليه والدم ينزف من ارجله برأي الباشا مع انه كلي العدالة والصدق في كلامه ومواعيده . فصار ترتيب الولاية والمجالس على احسن وجه . وكان المتشكي من حكم مجالس الولاية يستأنف دعواه لمجلس دمشق . واعمال المجالس وتقارير اصحاب الدعوى واعضاء المجالس بمفرداتهم تحت امضاءاتهم واختتامهم تسجل حرفياً . ولم يكن فيه سلطة لاحد من رجال الحكم كما هو جاري الان حتى الباشا حكمدار الولاية لا يقدروا على المعارضة بشيء . واذا اقتضى له عمل في المجلس فيحضر فيه كمن له دعوى والمجلس يحكم بما يراه مطابقاً للعدالة . ثم اعمال المجلس بمفردات تقاريرها تتقدم ليوحنا بحري بك لكي ينقحها حسب مأموريته من محمد علي باشا . فاذا وجد تقريراً لاحد اعضاء المجلس او حكماً لا يوافق العدالة فيكتب عليه مناقضة بوضع فيها الخطا ويرسلها الى المجلس . فان كان الخطا بمحله اصلحوه والا فيناقضوا بحري بك . ويمكن ان تتكرر المناقضات حتى يحق الحق . وهذا العمل يمنع وقوع المغدورية على احد . ويلزم اعضاء المجلس بالاعتناء والجد بمعرفة الاحكام الصوابية وليس كما نرى الان ما قاله الاديب الفاضل :

نزلت السوق ابقي لي اتاناً	فقال لي الاتاني وهو عابس
الا نرى بان الكل صاروا	بياب الحكم اعضاء مجالس

ثم ان المصريين احدثوا على الرعايا مالا سنوياً سموه اعانة على رؤوس الرجال حسب اقتدار الانسان فالغني يدفع بكل سنة خمماية غرش والدون بدونه لحد الخمسة عشر غرش بحيث يكون الخيوسوع عن كل شخص مائة غرش فصاعداً . وكان وقتئذ الريال العمود بخمسة عشر غرشاً . فهذا الطلب كان صعباً على المسلمين والنصارى وخصوصاً اهالي القرايا المرتب مالا على اراضيهم وقراسمهم ومال عداد على مواشيهم وتخل عسلهم ومال رقاب على اثقاصهم وزاد على النصارى منهم مال جزية رقابهم كاهالي بلاد حاصبيا . فالامير سعد الدين وقع في اوتياك لان اطاعة اولياء الامر وجوبية وحاجة رعايا بلاده لا تحمل ثقل هذا الطلب . فامرني بالزول لدمشق ومعني ورق بياض عليه ختمه (١١٦) لكي اكتب عليه باسمه ما يلزمني بالحكومة والمجلس . فحضرت لدمشق وكان كاتب المجلس مستعداً جداً وبيننا قرابة وصداقة . فقدمت من الامير جواباً لشريف باشا على امره وانه ارسلني وكيلاً لترتيب مال اعانة بلاد حاصبيا بمجلس الشورى . قالباشا احوال هذا الجواب للمجلس . فاخذته الى الكاتب . فواعدني بسرعة الخلاص . فاتمست تأخيرني عن الجميع لان ذلك اوفق لمصلحتي . فحركت وكلاء البلاد لزيادة الشكوى من ثقل هذا الحمل فتشكوا وطلبوا الرحمة . ان المعلم بطرس كرامه اجتهد بتنزيل فيئة اعانة لبنان الى الخمسين غرشاً . ثم جعل عدد رجاله اربعين الفا مستثنياً عدد الافراء والمشايخ وامناء الدين من مشايخ وخطباء اسلام ومطارين وخوارة ورهبان ومشايخ عقل وخلواتيه وخطباء دروز . فكانت جملة الاحانة المرتبة على رجال جبل لبنان اربعة آلاف كبس . وبالتبعية صار ترتيب فيئات البلاد بأكثر واقل من ذلك . فكان البقاع اقلها خمسة وثلاثين غرشاً . حينئذ سعت بنهاية بلاد حاصبيا فانتهت معني بثلاثين غرشاً (١) واما دمشق فلم يحسنوا التصرف بترتيب فيئاتها . فوقعت فيئتها نحو مائة وعشرة غروش . فكان كافة المتوجب عليها سنوي اربعة آلاف كبس وكسور ولكون اهاليها غالبهم من الصناتعية الفقراء واذا وجد القليل بينهم من الاغنياء فلا يمكن ان يضعوا عليه اكثر من خمماية غرش التي عينها الحكم الاعلى . ولذلك حصل الضنك على الاصناف . وكان يقل عدد الاهالي فيرجع النقص كسوراً على البلد .

واما الامير بشير غب رجوعه من حصص امر يهدم بيوت المشايخ النكدية وضبط ارزاقهم . فالبيوت هدمت واما ارزاقهم فازتفع عنها الضبط بواسطة بيت مشافه بدعوى الدين الذي هم عليهم . والمشايخ قر حالهم متقنين الى مصر مع مشايخ جنبلات وعمداد عدا عن الشيخ سعيد جنبلات صار ادخاله في العسكرية .

ثم شرعت الحكومة المصرية بمنع الامراء والمشايخ المستقلين في احكام بلادهم عن استقلالهم حيث كانوا يدفعوا عنها مالا معلوماً للخرينة . فحررت اموال البلاد بمفرداتها لجانب الخزينة وجعلت اولئك الامراء مأمورين من طرفها بمعاش معلوم من جانب الخزينة لا يساوي عشر ايراد بلادهم . وتدرجوا لعزلهم عن بلادهم ونصب الاجانب مكانهم . واما الامير بشير فاحضر من والي مصر امراً جازماً بخصوصه لشريف باشا بان لا يتعرض له بشيء بل يتركه ان يتصرف في لبنان مستقلاً كعادته فهذا الامتياز صار ثقيلاً على شريف باشا وصار يترقب فرصة ليهين بها شرف الامير . فرفع اولاً استقلالية امراء حرقوش في بلاد بعلبك ورتب لهم معاشاً . ثم فعل ذلك في امراء حاصبيا وراشيا وذلك في بداية سنة ١٢٥٠) وعند ذلك صممت على سكني دمشق فحضرت اليها ثم تزوجت بها واشترت بيتاً لسكنائي وبقيت الاحتظ اشغال الامير سعد الدين عند الحكومة ومجلس الشورى وعندى ختمه على ورق ايض . ان المصريين عندما شرعوا بتغيير عوايد العشاير واحداث طلب اموال من الاهالي زائدة عما اعتادوا على دفعه للحكومة نفرت قلوب الاهالي منهم وصاروا يتمنوا رجوع حكم الاتراك وابتدا ظهور العصيان عليهم . واضطر المصريون لتكثير العساكر لحفظ مركزهم الجديد . فعصت عليهم طائفة النصيرية في جبال اللاذقية . فارسل الحاكم لقتالهم عسكرياً من لبنان وحاصبيا وراشيا يقوده الامراء الذين دخلوا في تلك الجبال وامتلكوا جملة محلات وكان يرافقهم النصر في حروبهم . ولعدم ضبطهم الترتيب اللازم واستخفافهم بالخصم آل الحال الى غلبهم وقتل كثيرين من رجالهم وخسارة فتوحاتهم . ورجعوا الى اللاذقية محجولين الى ان جردت الحكومة على الجبال المذكورة عساكر كثيرة وقهرتها . ثم الحكومة شرعت باخذ انتقار للعسكرية من الرعايا . وكان اخذها لهم بدون ترتيب . والعسكري ليس له مدة معلومة للتخلص والرجوع لعند اهله بل خدمته كإبدية جهنم . ولذلك الشبان كانت تنهارب لمحلات تعصمها . فعندما طلبت الحكومة انتقار للعسكرية من الامير بشير لم يجعل سبياً (١١٧) لتناهرب الشبان بل وزع الانتقار المطلوبة على مسلمين ودروز لبنان من كل قرية بحسب عدد رجالها . واصدر امره بانه لا يقبل شتماً بدون ارادته . فكانت القرايا ترضي الشخص بالمال وتحضره لدار الحكومة فيسال منه هل انه حضر باختياره ام غصباً فان اجاب باختياره قبلوه والا فيطلقون سبيله . وبهذا العمل لم يترج احد من شبان الجبل . واما في المدن كدمشق مثلاً تنفرد العساكر بالبلد بغتة والناس مشغلة باعمالها وتلقي القبض على جميع الشبان الذين يصادفونهم . ومن وجده

الطبيب صحيح الجسم ادخلوه في العسكرية ولو كان وحيداً لوالديه العاجزين . لا بل اذا كان ممسوكاً من له اخ بالعسكرية ولم يبق غيره ليعول والديه فلا يتركوه . ان بلاد نابلس عندما اشعرت بثقل ما تحمل عليها من حكومة المصريين مما لم تعتاد على حمله اظهرت العصيان . فتوجه اليها ابراهيم باشا بالعساكر فحاربه الاهالي ولكن عساكره لم تكن كثيرة تكفي لاختصاصهم . وخلا كثير منهم فانهم من اشد رجال سوريا محاربيين الحروب الدائمة مع بعضهم ولكنهم يصيرون بدأ واحدة على العدو الذي ياتي ضد احدهم . فابراهيم باشا تضايق جداً من حربهم وكاد يقع في ايديهم . وبلغ خبر ضيقته لوالده بالاسكندرية فحالا حضر بنفسه بحراً لاسكلة باقا . وبوصوله وجد ابنه تخلص من مضايقة الخصامه له بخسارة كثير من عسكره ومن ثم احتال على تقديمهم الطاعة له . وبعد مدة احضر بعض كبارهم وصار قطع رؤوسهم امام باب سرايا دمشق . واما محمد علي باشا عندما شاهد خلاص ولده رجع للاسكندرية .

ثم في سنة ١٢٥٣ عصت دروز جبل حوران على الحكومة بسبب احداث المطالب . وكان ابراهيم باشا غائياً في بلاد شمال متحذراً من شيء يحدث عليه من طرف السلطنة فلا يمكنه الحضور . فشرىف باشا الحكمدار ارسل عليهم اربعة اية وخمسين فارساً من عسكر الحواره ظناً منه انهم كافون لاختصاص الدروز لان جبالهم سهلة على عسكر الخيل وهم لا يزيدون عن الف وستماية رجل جميعهم فلاحون في قرايا شيوخهم . فعندما بات العسكر بالقرب منهم اتوا عليه ليلاً وذبحوه واخذوا خيله وسلاحه ولم ينجوا منه الا القليل هرباً تحت الظلام . وعندما بلغ الخبر لشرىف باشا ارسل عليهم عسكر النظام نحو ستة آلاف بالمدافع مشاة وفرسان . اما الدروز بعد ذبحهم الحواره اتفقوا مع عرب السلوط ودخلوا بعيالهم الى الجبال . فعندما وصل العسكر اليهم تحاربوا فانكسر العسكر . وكان ذلك سبباً لخوف العساكر عندما تبلغها اخبارهم وتشجيعاً للدروز في اخراج لياتوا لمعونة جماعتهم لا سيما وان الجبال عسرة المسالك واسعة الانحاء طولها مسافة عشرين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور والمغائر وشقوق الارض لا يدري الغريب كيفية السلوك ضمنها ولذلك كثرة المحاربات فيها ودائماً تقع الخسارة على العساكر بالقتل والتجريح فباتت الشعارات بعساكر جديدة فتضعف عن القتال قبل وقوع الحرب لان العسكر الاول يقطع عزيمتها باخبار انكساره الذي ينسب اسبابه لكثرة الاحداث وشدة باسهم مع انهم اقل من ربع العسكر وان الاراضي لا يمكن سلوكها ولا ينسب شيئاً لرداءة تدبير القواد واستيلاء الجبال على جميعهم .

فتكاثر العساكر كما ان الدروز حضروا لاسعافهم جملة اشخاص من دروز لبنان وحاصبيا وراشيا التي كان منها الشيخ شبلي العريان (الذي هو الان شبلي باشا بخدمة الدولة) وهو شاباً شجاعاً تربى بخدمة الامير افندي قد ظهر منه اقدامات كلية في الحروب المصرية وبعدها اوجبت تقدمه في خدمة المصريين ثم بعدهم في خدمة السلطنة . وقبل حضوره الى اللجاء قتلوا الحاكم في راشيا من طرف ابراهيم باشا وتوجه لحاصبيا بجمهور وبالامير بشير والامير علي اولاد الامراء بدبعة المفتولين لياخذوا الثار من الامير سعد الدين . وكان وقتئذ عنده الامير محمود ابن الامير خليل ابن الامير بشير الكبير ببعض خدامه . وكان جبرائيل مشافه بالصدقة هناك لشغل له . فالامير سعد الدين جمع الامراء واتباعهم مع اتباعه والامير محمود ضمن سرايته وارسل خبراً للامير بشير الكبير بالمتوقع . فوصل شبلي العريان بجمهوره الى حاصبيا واعتمد على دخول السرايا (١١٨) عنوة . فصدوه بضرب الرصاص فارتفع عنها وشغل الضرب على طيقان السرايا . فالامير محمد اخو الامير سعد الدين كان يحارب من الجهة الجنوبية جهة داره مع بعض الامراء ويحتمي باب السرايا من الجهة الغربية . واخوه الامير بشير يحتمي الجهة الشمالية لان داره فيها ومع بعض الامراء . واما الجهة الشرقية ومنها دار الامير سعد الدين هي المقابلة لمراكز الاعداء كان فيها جبرائيل مشافه وبعض اتباع الامير . واشتد القتال والمجموعات كانت متواصلة ويخرج منها رجال للمدافعة وبارود السرايا الشرقي يحتمي الى انه قتل كثيرين من جماعة العريان . واما من جماعة الامير لم يقتل سوى اخيه الامير محمد برصاص اصاب دماغه وهو كان القاتل بيده للامير حسين بدبعة فيما سبق . والان ولده الامير علي حضر مع العريان للاخذ بثأره من قاتل ابيه . فثاني يوم بلغ العريان ان الامير خليل قادم لانقاذ ولده الامير محمود وضرب المتجمهرين . فانسحب بجمهوره وتوجه الى اللجاء ولولا يكون معه اميران شهابيان لم يتجاسر على محاربة الامير سعد الدين لانه من الرسوم المقررة في بلاد الدروز انه لا يقدر احد يرفع سلاحه في وجه امير شهابي الا اذا كان بمعيته امير منهم . فحضر الامير خليل لحاصبيا وكانت الجموع تغللت فاخذ ابنه ورجع لمحلة . واما الحرب على اللجاء فاشتدت جداً ودامت بكون الانتصار للدروز . فالدواب تنوجه من دمشق باتصال حاملات الميقات للعسكر وترجع حاملات الميقات . اقتضى حضور مير اللواء كلوت بك الفرنسي تاظر عموم الصحة من مصر وصحبته بعض الاطباء لمساعدة اطباء العسكرية حيث لم يكفوا لتلقيهم بمعالجة الميقات والمرضى لكثرتهم . فعندما اشتدت نكاية الدروز بالعسكر

المصري بمض اليهم شريف باشا بنفسه وجهز عسكر عظيمًا ونزل بجانب اللجاء واقام عليهم الحرب الشديدة الى ان تنهقروا امامه ودخل شريف باشا بنفسه مع العساكر في اللجاء تابعاً عسكر الدروز. وعند توسطه اللجاء في مكان عسر المسالك وكان آخر النهار رجعت الدروز التي كانت تنهقر امامه مع الكامن منهم خلف الصخور وفي المغاير انطبقوا على المصريين الذي انتهكت عزائمهم بالمخاربة والمشى بالوعور طول النهار وصاروا بذبحونه كالغنم. واما شريف باشا فبالجهد امكنه الفوز بنفسه هارباً لخارج اللجاء. وهلك اكثر عسكره بهذه المخاربة واستولى الدروز على كثير من الأسلحة والمهمات واستحوذ الرعب على قلوب العسكر المصري من سطوة الدروز. اما هم فتشدت عزائمهم وكثرت جموعهم بالواردين من الخارج لاسعافهم. فكانوا يبتون السرايا ويستولون على الذخاير الواردة للعسكر وعلى المهمات الحربية الواردة له من طريق عكا.

فابراهيم باشا عندما بلغه حال عسكره وما جرى على شريف باشا حضر لدمشق فجهز عسكراً وخرج لمقاتلة الدروز فقاتلهم مراراً من محل اقامة العسكر فلم ينال الظفر لانه استولى الخوف على عساكره. فقاتلهم من جهة صلخد حيث يتصل منها لسهول دامه داخل اللجاء حيث توافق للحركات العسكرية. فادخل امامه خيول (١١٩) عسكر الاكراد. فحاربهم الدروز قليلاً وفرقوا من امامهم. فدخلت خيل الاكراد وتبعها ابراهيم باشا بعسكر النظام. وبوصول الاكراد لارض دامه انطبق عليهم رجال الدروز فكسروهم كسرة هائلة. فدافع عنهم ابراهيم باشا بالعساكر النظامية. بلا قيادة لان عساكره جميعها خافت سطوة الدروز فانكسرت امامهم وهم يتبعونها ويهلكون رجاءاً ويربطون عليها مضائق الطرقات وبالجهد حتى امكن ابراهيم باشا التخلص بمن بقي من رجاله لخارج اللجاء. ولا يسع شرح مفردات الوقائع لكثرتها. وتحرير ذكر المهيم منها. وفي جميعها لم يفر العسكر المصري بواحدة. فعمد ابراهيم باشا لمضايقتهم بالعطش حيث لا يوجد ينابيع داخل اللجاء ففي فصل الشتاء يستقون من متحصلات الأمطار وفي الصيف من ينابيع في حلف اللجاء. فصمم ابراهيم باشا على تسميم هذه المياه بمحلول السلياني وطلب من كلوت بك تحليله اجابه وظيفتي هي محافظة الصحة وليست قتل البشر. ومع هذا لا يجوز لملك الاستعانة على الرعية باعمال الغش خصوصاً ان النساء والاطفال يشربون لهذا الماء ويجوز اهلاكهم بذنب رجائهم. فقال انني لا اغشهم واخبرهم فيما اصنعه. فاجابه ولا هذا يجوز لان يهلك الغير مذنبين بالعطش فلا اجاوز عليه. ولكن ابراهيم باشا لم يرجع عما

عزم عليه فالزم معلمين الكيمياء الذين في معسكره من المصريين بعمله واشترى جميع السلياني الموجود بدمشق وحملوه حسب امره ووضعوه بالمياه لان عساكره ومدافعه لم تقدر تحميتها منهم فكانوا يهجمون عليها ويهزمون العساكر ويستقون . ومع ذلك ما قدروا على استحصال ما يكفيهم ومات منهم اناس بالعطش . ومن بعد تسميم المياه اضطروا لترك اللجاء وان يعملوا مركزهم ببلاد راشيا وعرقوب بلاد حاصبيا . وكان الحكم قد وضع طابوراً من عسكره في سرايا الأمير الهندي براشيا . فحاصره الدروز وليس عنده ماء ولا ذخيرة كافية . فاضطر للتسليم والرجوع لدمشق . فعندما خرج من البلد لحقوه لقرية الضهر الاحمر التي تبعد ثلاثة اميال وهناك ذبحوه جميعه . ولم ينجوا منه ولا واحد . فعندما بلغ ذلك لبراهيم باشا حرر للامير بشير ان يرسل عسكراً لحاصبيا مع ابنه الامير خليل يقيم بها تحت امره . فارسله وصحبته ثلاثة آلاف فارس وراجل فاقاموا بحاصبيا . ثم نهض ابراهيم باشا من دمشق بالعساكر قاصداً راشيا من طريق الدرياس لسهولته . فعندما بلغ راس وادي بكنا صادف الشيخ ناصر الدين عماد قادماً من لبنان باللف رجل متسلحة من دروز الجبل لمساعدة العصاة في راشيا . فوقع القتال فعساكر المصريين زاحمت الدروز واشتد الحرب والشيخ ناصر الدين يحرص رجاله وكان من الإبطال الشجعان افراد عصره في لبنان . فلسوء حظ رجاله اصيب برصاص قاتل فخر صريعاً . حينئذ التفت رجاله الى ربوة محصنة بالصخور والاشجار البرية لا ماء فيها فاحتاطت بهم العساكر من جميع الجهات وما زالوا بالمداغة عن انفسهم لا يطلبون الامان محتلين شدة العطش حتى فرغ بارودهم والمجبات عليهم (١٢٠) متواصلة من كل جهة وصاروا يقاتلون بما وجد معهم من الاسلحة الحادة ورشق الحجارة . واما العساكر لم تقتر عن اطلاق الرصاص عليهم حتى قتلوا جميعهم . فابراهيم باشا في كتابته لشریف باشا يقول انه خلص منهم واحد فقط نظره هارباً لم يلتجئ مع جماعته الى الربوة . واما الذي فهمته فيما بعد من اهالي ينطا جبيرة مكان الواقعة ان الذين تخلصوا اكثر من اربعين . فربما ان ابراهيم باشا لم ير غير الذي اخبر عنه . وعندما بلغ الدروز في راشيا خبر قدوم ابراهيم باشا اليهم هربوا الى ارض جنعم من بلاد حاصبيا بالقرب من قرية شبعاء التي جميع اهاليها من المسلمين والنصارى . وراضي جنعم من شرقها جبل الشيخ ومن غربها الجبل الوسطاني عسر الصعود اليه . وهو يفصل حاصبيا وبعض قراياها عن ارض جنعم .

ان ابراهيم باشا بعد نهاية حرب بكنا حضر الى راشيا فوجد الدروز قد

نزحوا منها الى جنهم حيث كثرت جماهيرهم هناك من حاصبيا وبلادها وبلاد
راشيا واقليم البلان . وحضر لعددهم شيلي العريان من اللجاء وصحبته الامير بشير
والامير علي بديعه الذين كانوا معه في حصار سراية حاصبيا مع جملة رجال .
فابراهيم باشا ارسل امراً للامير خليل بحاصبيا ان يوافيه برجاله الى جنهم عدداً
له اليوم والساعة . فصعد بالرجال الى قرية شوبا في ذيل الجبل الوسطاني حيث
جموع الدروز خلفه ويلزمه للوصول اليهم ان يصعد بالرجال لراس الجبل الكاين
عليه محافظون من الدروز والطريق اليه واقف وضيق وعسر جداً على الافراد
فضلا عن الجماهير . فوقع منه غلط مضاعف اولا بصعوده قبل الساعة المحددة
له ثانياً كان يجب ان يبقى رايضاً بعسكره في ذيل الجبل ويرسل فريقاً يطرد
الدروز المحافظين في راسه . ومضى امثلك راس الجبل يصعد اليه يبقي العسكر .
فاستخف بالمقام وقيل الميعاد بساعتين صعد بجميع العسكر دفعة واحدة .
فالمحافظون حالاً استحضروا رجالاً من جماعتهم واطلقوا الرصاص نحو الصاعدين
وشموا عليهم فكسروهم وارجعهم لحاصبيا . وقتلوا منهم جملة رجال . وبعد
ذلك سمع لحاصبيا صوت مدافع ابراهيم باشا في اراضي جنهم . فركب الامير
خليل وجماعته وامراء حاصبيا وتوجهوا لعدده . وبوصولهم كان حق القلب على
الدروز . فارسلوا حسن البيطار من عقال راشيا لعد ابراهيم باشا يلتبس لهم
الامان . وكانت عباته مخوفة من الرصاص وكان ابراهيم باشا يجتمع معه مراراً
وينشرح لكلامه . فقال له لم تزل بالحياة . اجابه انظر سعادتك خروق عباتي
بالرصاص والباري تعالى لم يسمع بقتلي . فاذا شئت موتي فانا بين يديك . فقال
له انا لا اريد موت احد من الرعايا ولكن جماعتك يسعون في قتل انفسهم .
فاجابه انهم الان انتهوا من غفلتهم يطلبون الامان والعفو عما سبق من خطاياهم .
قال لهم ذلك بشرط تقديم سلاحهم فقط . اجاب حسن البيطار انهم خاضعون
لكل ما امرهم به فليصدر امرك بمرسوم الامان ويتوجه معي مأمور لكي يجمع السلاح
ونسلمه له . فحرر المرسوم وتوجه المأمور فاعطوه السلاح (١٢١) وعندهم غيره .
اما ابراهيم باشا من بعد اعطايه الامان للجماهير الدروز وصدر لهم امره بجمع
السلاح ترك الامير خليل وامراء حاصبيا امامهم لحينما يتم جمع السلاح وتنصرف
الجموع ورجع بالعساكر لدمشق . فعند انصراف الجموع وبينهم الامير بشير
والامير علي بديعه تبعهم اخوة الامير سعد الدين الامير بشير والامير خليل وهما
على الاثرين المرقومين وقتلاهما ورفعوا روسهما على رحبها وتوجها بها الى حاصبيا .
وبهذه الوقائع انتهت خلوات العقال في البياضة نحو خمسين خلوة مجتمعة فوق

حاصبيا بسكنها العقال الاتقياء لا تدخلها النساء . وهي بمنزلة اديرة الرهبان
النصارى لا يوجد مثلها في بلاد الدروز وهؤلاء العقال بعضهم متزوج
وبعضهم غير متزوج ولكن زوجته واولاده يقطنون في احدى القرى او عندما يريد فينتوجه
لزيارتهم (وازيد ان اذكر ملخص احوال هذه الطائفة لاني اطلعت على جميع
عقائدهم واطوارهم وقرأت المائة واحد عشر رسالة مع شروحات الامير السيد
(الامير السيد هو الامير عبدالله الفتوحي مدفون بقرية عبيه وهو من اعظم
قديسي الدروز) وغيره من الجهد بتحصيل معانيها لانها مملوءة من الرموز .
فالذي تحقق ان كلاما هو شايع عنهم من الامور الخفية بالناموس الانساني فهو
محض اكاذيب لا صحة لها . ولكن كثرتهم لقواعد ديانتهم صار سبباً لانهم
بالامور المنكرة التي هم يعبثون عنها . وهم معنورون بالكتمان لكونهم تحت
احكام لا تجيز تأمين غير النصارى واليهود والنحوس بان يسكنوا بلادها بدفع
الجزية عن رؤوسهم وما عداهم يستباح ماله ودمه وعرضه . ولا تقبل توبته على
اصح الاقوال عندهم . ولذلك قد تحتم عليهم في كتب ديانتهم بكتمانها وان المكاملة
بامور دينهم مع الاجنبي هو الزنا الروحي حتى ان الجاهل منهم الذي يسيح
المخذورات فلا يرخصون له الاطلاع على كتبهم ولا المكاملة معه بامور الدين حتى
اذا تاب وكان سبق منه ارتكاب قتل النفس ظلماً او خطية الزنا فيامروته بالتوبة
الحارة والتندامة الكاملة بالبكاء على ما فرط منه والجولان على العقال الاخلاويين
يستسمح منهم ومع كل هذا لا يسمحون له بمطالعة كتبهم المعتمدة عندهم كاعتبارنا
للانجيل بل يسلمونه كتب الشروحات فقط . ويلتزم بالاشناع التام عن شرب
المسكرات والتركيلة والتوتون وعن اكل الحرام بان لا ياكل من عند اتباع الحكم
والداينين بالربا والخوارق لانهم يراحمون الورثا على مال الموتى وان يلبس ملابس
العقال المحقشة وهي ثوب من الخيام المصبوغ بلون قائم او ابيض واكمامه مستديرة
غير مشقوفة فوهاتيا . وفوق الثوب عباءة وعلى راسه طابيه او عمامة بيضاء اللون
ولا يسمح له بلبس الاقمشة الحريرية المبرجة الا لسكان المدن منهم بين المسلمين
تسراً . ويلتزم العاقل بصيانة لسانه عن الخلف والشنائم وعن الكلام السفه وكل
لفظ ينافي الحشمة (١٢٢) والادب المألوف كالتعاليق يقولون عنه حزا بالحاء المهملة
والزاي وليس بالحاء المعجمة والراء . والقرون يقولونها سواح . واللفظ يقولون له
بسين او بس . وهكذا كل لفظة تشير لمعنى غير لائق يمتنعونها حتى لو اراد
المبالغة بقوله مثلاً لو دفعت لي الف غرش لا افعل كذا مع انه يفعل ذلك
بعشرة غروش فيحترز بقوله لو دفعت لي الف غرش حصة منها لا افعل فالحصة

تحتمل ان تكون اقل من العشرة وقبس على ذلك . واما زيجتهم فليست هي كما
 ينهمونهم بان الاخ يتزوج باخته والاب بابنته فهذا كذب صريح . (فانهم لا
 يجيزون الاقتران باقرب من ابنة العم والخال ولا باكثر من زوجة واحدة التي
 يجوز له طلاقها ولا يجوز له ارجاعها مدة الحياة ولا ينظر اليها . ثم ان كان
 طلاقها لسبب منها فيحكم امتاء دينهم لرجلها ان ياخذ منها نصف ما تملكه
 هي وان كان السبب منه فتأخذ هي نصف ما يملكه زوجها . اما مواريتهم فتصح
 عندهم بموجب الوصية من المورث . فيورث ماله لمن يختار كالا فرج . وهذه
 الطريقة تجعل الاولاد يحسنون التصرف مع الوالدين ليلا يوصوا بمنزلة وكائهم للغير
 او للواحد منهم دون الآخر . فرجال الدروز العقال منهم نحو نصفهم . واما الذين
 يعرفون القراءة غالباً فهم عشرين . والان بواسطة تجديد المدارس في لبنان سيزيد
 عددهم . واما نساء الدروز فقلما يوجد بينهم من الجاهلات او من لا تعرف
 القراءة . والسبب في ذلك دوام وجود البنات عند امهاتهن فتصير لهن فرصة
 للتعليم . واما الذكور فيكونون مع والديهم في مساعدتهم على اشغال المعيشة فلا
 يمتلكون وقتاً يتعلمون فيه الا نادراً . هذا وان الدروز يتجنبون فحش الكلام
 اكثر من جميع الطوائف . وعندهم مزبد القناعة في معيشتهم وعدم الشراقة مع
 الاحتشام في ملابسهم ومعاشرتهم ويراعون حق الجوار لمن يسلك معهم بالاستقامة .
 ويصبرون على الضيم عندما يرون عدم مقدرتهم على دفعه عن انفسهم . وعندهم
 من عزة النفس ما لا يقاس به غيرهم . فضربك احدهم بالسلاح مع كلامك
 معه بالاحتشام مقبول عنده اكثر من هدية سنية مع كلام مهين . هذا وانهم لا
 يقبلون دخول احد في ديارهم من الخارجين عنهم . ويعتبرون الاربعة الانجيليين
 باكثر من اعتبارهم عند النصارى . ويعتبرون سلمان الفارسي والمقداد وابا ذر
 الغفاري وعمر ابن ياسر وعثمان النجاشي من الصحابة (١٢٣) باكثر من اعتبارهم
 عند المسلمين . ويعتمدون صدق كثير من آيات الانجيل والقرآن . ويعتبرون
 جميع فلاسفة اليونان وبالاخص اسكولوبيوس فيسمونه اشفليوس منتقلا الى
 فيثاغورس الحكيم ثم الى يثرون كاهن مديان ثم الى يسوع بالتشديد وهو مسيح
 الحق ثم وثم . وثم الى فيثاغورس الحكيم وهو الذي قرر عقيدة انتقال الارواح
 ولكنهم لا يوافقونه بامتناعه مع تلامذته عن اكل اللحوم فلا يمنع منهم عن
 اكلها الا المتشددون بالورع كما انهم يمتنعون عن استعمال كثير من الملذات الجاهل
 استعمالها . ولا يقتضي اكثر بيان مما هي عليه هذه الطائفة من المزايا الحميدة
 التي تقود اصحاب الادراك لمصادقتهم . واما الذي نراه من بعض افراد اصحاب

المذاهب المختلفة بان الواحد يبغض الآخر مخالفة له بالعقائد فهذا لا يجيزه العقل لان العقيدة تقعها وضررها يعود على صاحبها ولا تتعدى لغيره لانها تتعلق بالمعاد. فاذا اختار زيد لآخرته طريقاً يعتقدده الاحسن لمعاده فاذا يخص عمر اذا كان في طريق آخر يعتقدده الافضل . وهذا البحث يحتمل كلاماً لا يسعه هذا المحل فقط اقول ان اللازم لنا في الامور الدنيوية ان نعتبر الملل بحسب تصرفهم معنا في امورها ولا يلزمنا ننظر اليهم بعين الغضب لمخالفتهم لنا في امور الآخرة لان ذلك لا يائتنا بمضرة ولا بمنفعة فيلزمنا نتكاتف معهم على كلما يعود لخير العموم ونقدم لهم وسائل المحبة والاحترام ونحتسبهم معنا كعملة واحدة وكفاهم ما وصلوا اليه من نتيجة اختلافهم . ولا يلايم صالح الفريقين الا الاتفاق . وشرائعها مبنية على افضل الاداب . وكلاهما موجود تحت احكام شريعة تامر باذلال الواحد واهلاك الثاني . وكل منهما لا يجد ملائمة له اكثر من الآخر . فالدور ي يعيش الناس بالملوف عندهم فيلزمنا ان نسلك معهم بالملوف عندهم . وبذلك تدوم راحتنا بينهم ويكونون لنا عضداً . وقد ذكرت انفا عما صار من تحريك الدروز لمقاومة النصاري ثم ابطال صبرورة هذه الفتنة بحسن سياسة الشيخ نجم العقيلي الشهير بمجودة العقل واصابة الرأي والاستقامة .

ولنرجع لذكر ابراهيم باشا . فعندما بلغه قتل الاميرين المستامين ونفور شبلي العريان بعد استئثانه فليهب ذلك صدر امره بتوقيف الامير سعد الدين عند الامير بشير في لبنان وربط اخوته القاتلين . وركب بنفسه مع عسكر الى اقليم البلان في طلب شبلي العريان فوجده قد فر الى جرد بعلبك الشرقي فرجع في طلبه لمحل وجوده (١٢٤) . فشلي المذكور طلب الامان معتذراً في غدر الاميرين وقتلها بعد تامينها . فاعطاه الامان . فطرح سلاحه وسلم نفسه . فابراهيم باشا امره بنقل سلاحه واحضره صحبته لدمشق ثم وظفه ضابطاً على ثلثاية فارس . وعين حاكماً على حاصبيا محمد آغا سويدان صاحب مقاطعة ايكي قبولى المسماة حسبه وتوايعها . وهو من الانام العقلاء المتدينين ذوي الاطلاع على التواريخ والحوادث واقر المروء حسن الاخلاق وله فضل عظيم على المسيحيين خصوصاً في حادثة دمشق سنة ١٨٦٠ فانه قد صان نصارى بلادته ونصارى مدينة حصص القرية لبلادته مع الملتجئين اليه من الخارج نحو ثلاثة آلاف نفس حتى ان البلاد القرية اليه لم يحصل فيها امراً مكثراً خشية منه . وهو للان بحالة العجز في بيته بقرية قاره .

واما الامير بشير والامير خليل القاتلان قد فرا من وجه الحكومة واختفيا مدة

كل واحد في جهة . فصدوف ان حسين الطرابلسي من متاوله بلاد بشاره الشهير بالشجاعة وله احد عشر ولداً شاباً قد وقع منه تعديات كثيرة على الاهالي وابناء السبيل بالسلب والقتل . ولذلك صدر امر ابراهيم باشا بالقبض عليه ولم يقع باليد . فكان حسين المذكور في ذات يوم ماراً بارض مرج عيون صاعداً من الحولة بعد قبضه الجريمة منها فصادفه الامير خليل وعزم على مسكه واحتال عليه بلين الكلام . اما هو فاطلق عليه الرصاص فاخطاه . حينئذ هجم عليه الامير خليل قبل ان يتمكن من حشو بارودته وبمساعدة خادمه امكنه القبض عليه . . . فترع سلاحه واحكم وثاقه وحضر به لخارج حاصبيا . وارسله مع خادمه مكثوفاً وسلمه لحمد اغا سويدان حاكمها المتقدم ذكره . واعرضت صورة الواقعة لابراهيم باشا فقال من الغريب ان الهاربين من وجه الحكومة بخيانة القتل يمسك احدهما الآخر ويرسله لحبسها . فواحد من الحاضرين اجاب ان المسوك كان يقتل لاجل الطمع بسلب المال ولم يخش سطوة الحكم . واما الماسك لم يقتل سوى قاتلي اخيه اخذاً بثاره . وفراره كان اغتشاء من سطوة الحكم منتظراً صفاوة خاطره عليه لا يسلب راحة ابناء السبيل ويتعب سر الحكومة ولذا اظهر حبه وصداقته بخدمتها بمسكه من تطلبه وقدمه لها . فقال ابراهيم باشا اني لا اشك باستقامة الامراء آل شهاب بخدمتي ولكن اخذهم نار اخيهم كان يوقت يشين امامي ولكنني قد سمحت بخيانتهم لصدقي خدامتهم . وامر باطلاق الامير سعد الدين وتأمين اخوته وصرف معاشاتهم وبشنق حسين الطرابلسي . فشنقه (١٢٥) في حاصبيا . وبعده ارجع الحكومة في حاصبيا وراشيا للامراء الشهابيين .

وبهذه الحروب والحركات قد وقع على كاتبه اضرار كثيرة كادت تفقرني لانه كان لي قرية أيتب في اللجاء اخذتها من الحكومة بوجه التعهد بعمارها . فعمرتها وجلبت لها فلاحين . ففي ثاني سنة من عمارها تمهبا العصاة ونحروها . كذلك كان لي في الحولة قريني الخريبه والمنصورة . ففي طلوع البيادر نهبوا الغلال والمواشي وكانت جسيمة . وزاد على ذلك كان بيدي التزامات مبرية لمدة ثلاثة سنوات . فمن الحروب وتعطيل الطرقات وقع النقص في ايرادها وخسرت ما معي . وعندما تراكت على المصايب في اسباب معيشتي وكنت اطلب مجاناً فصرت اطلب بالاجرة . واقامة كلوت بك بدمشق مدة طويلة افادتني كثيراً لانه احبني وكان يدعوني لمرافقته في عملياته واهداني جميع الكتب الطبية مما ترجم الى العربية وطبع في مصر مع عدة جراحة ثم الحكومة نصبتني رئيساً على اطباء دمشق حال كوني لست كفاية لوظيفة كهذه . وبذلك المدة درست الاساغوجي بالمنطق على الخوري

يوسف حداد الارثوذكسي . ثم قرأت شرحه على حضرة السيد الشريف محمود الغندي الحمزاوي الشهير بالعلم والعقل ورقة الطبع ومكارم الاخلاق وهو الان مفتي الشام . ويصح القول عنه بانه اول انسان في سوريا . فحصلت مبادئ هذا العلم ولم اجتهد بآفاقه .

ثم وقع حوادث كثيرة بمدة حكومة المصريين غير مهمة لا تستحق الذكر . ولكن في سنة ١٢٥٥ وقعت حادثة فقد البادري توما الكبوشي السريدي الاصل وخادمه . فحصل التفتيش عليها . فاولا دخلوا لديره ووجدوا الطبخ على النار عمروفاً وان حوايجه وحوايج خادمه مع مبلغ نقود في صناديقها باقية كما هي . فحصل (الفحص) المدقق عنها فتحقق دخول البادري توما لحارة اليهود في اواخر النهار ولم يره احد بعد ذلك . وبما انه كان يتعاطى الطب وتطعيم الجذري كان كثير الجولان بالبلدة . ولكنه يقسم اوقاته على المحلات بالترتيب . ففي الصباح يتوجه لمحلات المسلمين البعيدة ثم يرجع لمحلات النصارى ومنها يدخل لديره يتغدا وينام نحو ساعة للراحة . ثم يدور في حارة النصارى ويدخل الى محلة اليهود آخر النهار . ويرجع لديره عند المساء . وهذا الترتيب لا يتغير الا اذا اقتضت الضرورة بوقت ما . وصودف ان البادري كان عنده حوايج صيف يريد بيعها بالمزاد فكتب البادري اعلانات ليلصقها على محلات كنائس النصارى واليهود . وكان ذلك باليوم الذي فقد فيه . فوجد (١٢٦) ملصوقاً منها على جميع الكنائس خلا اليهود والروم الارثوذكسين وحيث البادري شوهد دخوله لحارة اليهود قبل وصوله لجهة كنيسة الروم صار الفكر ان البادري دخل ليلصق ورقة حارة اليهود وبعدها يمر على كنيسة الروم وان اليهود اغتالوه قبل وصوله اليها ورفعوا الورقة التي لصقها عندهم ليمحوا الاثر . وعندما قيل ذلك فثاني يوم وجدت الورقة ملصوقة في المكان الذي جرت العادة ان يلصقوا فيه الاعلانات بجانب حائوت سلوم الخلاق الاسرائيلي . قالوا حصون قبلا لم يروا ورقة بهذا المكان فسألوا سلوم عن من لصقها فقال رجل نصراني لا اعرفه . سألوه بماذا لصقها قال برشانتين حمر . فرفعوها ووجدت كما قال مع ان باقي الاوراق التي على الكنائس ملصوقة باربعة اطرافها بالبرشان الابيض من الذي يقدس عليه البادري . فترجحت الشبهة عليه بقتل البادري وان الورقة الملصوقة في حارة اليهود اولا اعدامها المذكور ليخفي الخبر . وعندما صار السؤال عنها لصق مكانها الورقة التي كانت باقية مع البادري لكي يلصقها على كنيسة الروم . فقبضوا عليه ثم صاروا يوقعون على زيد وعمر من اليهود الشبهة بعضهم من اطرافهم وبعضهم من معتبريهم . وقد سبق الكلام على قساوة الحكماء

شريف باشا فعاملهم بالوضع تحت العذابات المتنوعة وبذلك مات منهم جملة
 الأشخاص . وكان مسيو دبراتي ماثون قنصل فرنسا كثير الاجتهاد بهذه القضية .
 واعتبروها من الامور الدنيوية عند اليهود بانهم ياخذون دم المسيحي يضعونه في
 فطيرهم الذي ياكلونه في عيد الفصح والاستعماله ايضاً في امور اخرى لا لزوم
 لشرحها مع ان الدم في شريعة اليهود لا يجوز اكله مطلقاً . نعم ان شريعتهم تبيح
 لهم معاملة الاجنبي بما لا يجوز لهم ان يعاملوا به ابتداء دينهم كاخذ مال الربا الذي
 يحرم عليهم اخذه من الاسرائيلي ويجوز لهم اخذه من الاجنبي . وهكذا الطيب
 الجاهل يجوز له ان يطيب الاجنبي ويحرم عليه ان يطيب اسرائيلي . وهذا لا
 يستطاع النكاره . واما الحكم بالقتل لا يكون بدون سنهدين (اي جمع) بحكم
 به . وهذا لم يعد موجوداً عندهم بعد خراب الهيكل وزوال دولتهم . وبالجمله
 ان كبارهم الذين تعذبوا والتزموا ان يعترفوا بصدق الدعوى فإكان ذلك الا
 ليقتلوا ويخلصوا من العذاب . والذي اوقع عليهم هذه المصيبة كثرة تعصبيهم
 بالمدافعة عن كل يهودي ليبرروه من الدعوى المقامة عليه ولو كانت صحيحة
 وبنوع اولي اذا سئلوا عن مذنب منهم وكانوا يعرفونه فلا يمكن ان يقرروا عنه .
 واقدر ان (١٢٧) اؤكد ان كبار اليهود المحبوسين بهذه الدعوى هم ابرياء منها
 كأولاد المهراري الثلاثة هارون واسحق وداود وموسى ابو العافية وموسى سلانكلي
 والحاخام يعقوب العينتاني فيبعد عن العقل هجومهم على امر عظيم كهذا ولا بلوح
 بفكر كل عاقل يعرفهم ان لهم جسارة على ذبح ديك فضلاً عن انسان . وبعد
 عذابات شديدة واعترافهم الا موسى السلانكلي دام على الانكار مع انه غاسي
 عذاباً اكثر من جميعهم . وفي ذات يوم كنت بمصلحة عند شريف باشا فاحضره
 لكي يعترف بحقيقة الدعوى فانكرها وصدر الامر بتعذيبه امام الياشا . فمما عذبه
 به غرز مسامير من القصب تحت اظافر كفيه وبني مصرّاً على الانكار . واما
 موسى ابو العافية فبعد ان تعذب كثيراً قال اني ما دمت في دين اليهود لا يجوز
 لي اقر باعمالهم ولكن متى خرجت منه فاقدر على الاقرار . حينئذ اسلم فالبسوه
 عمامة المسلمين وتسمى محمد افندي فابتدأ يقرر عن جواز قتل الاجانب عند
 اليهود وعن قتلهم البادري توما واخذهم دمه ولا يتاخر عن تقرير كلامي برضي الخصم .
 فشريف باشا طلب منهم الدم الذي حفظوه من دم البادري فجميعهم ادعوا
 بانه تسلم ليد موسى سلانكلي . فريدت عليه العذابات القاسية وهو لم يزل ينكر
 الدعوى من اصلها . فبقبوا محبوسين اشهرأ حتى حضر موتي فوري الاسرائيلي
 الشهير من النكلترا للاسكندرية واستحصل من محمد علي باشا مرسوماً لشريف

باشا بالعفو عن المذكورين وليس تبريرهم . وشاع انه تكلف على ذلك ستين الف كيس لمحمد علي وثلاثة آلاف كيس لدايرته . ولم نقف على الحقيقة .
وحينئذ صار اطلاقهم .

واما خادما البادري فاتهموا بقتله فرقة أخرى من اليهود التي اختفت عن وجه الحكومة حتى صدر الامر بالعفو .

اما صورة ما اثبتوه على المحبوسين بالدعوى ليست هي الاكتفاء باقرارهم لانهم كانوا تحت العذاب فلا يعتبر . وانما اعتبروا وجود آثار اعضاء وملابس البادري بنفس حارة اليهود دل عليها بعض المدعى عليهم . وتحقيق هذه الدعوى من اوثا الى نهايتها لم يحضره احد من المسلمين والنصارى بل تعاطاه شريف باشا بنفسه وحده مع كاتب لكتابة التقارير . فبعد وقوع الحادثة بالثنين وعشرين يوماً استحضر ليلاً سلوم الخلاق لعنده وكان محبوساً بالانفراد عن رفقاؤه وصار منهوكة من شدة العذاب فخاطبه بلطف انني ارجب خلاصك وعدم موتك تحت العذاب الذي لا يمكنني رفعه عنك ما دمت لا اعرف حقايق الدعوى ووجود جسد البادري (١٢٨) نوما فاذا انت افدتني الحقيقة وجدتك صادقاً فلك الامان على نفسك ولو كنت القتال بيدك . واذا لم تتكلم بالصدق فتموت تحت العذاب . فقرر انهم بعد قتل البادري في بيت داود الهراري حضر خادمه ودعاني لمساعدته في ترحيل جسده . فتوجهت معه وحردنا لحمه بسكين كبيرة من عندهم والعظام الكبيرة كسرناها ورميناها في (سياف) ماء قليط الذي يمر في قبر تحت سوق الجمعة . وهكذا مزقنا كساوي البادري والقيناها مع لحومه في المحل المرقوم . وهذا هو الصحيح . فارجمه الباشا لمكانه واحضر خادما داود الهراري وخاطبه كالاول . وقال له انني استحضرت الخلاق واعطيته الامان اذا اقر بالصحيح واتخذت تقريره وانك شريكه بترحيل جسد البادري . فالان اذا اتفق تقريركما فالامان بشمليكما والا فتعاقبان حتى تهلكان فقرر المذكور طبق ما قرره الخلاق وارجع لمكانه . وعند الصباح ركب الباشا بنفسه واخذ صحبته احدهما لحارة اليهود ليدل على المكان الذي طرحوا منه اعضاء البادري وحوايجه . فدل عليه بان يحفروا قليلا بالارض فتظهر الطاقة التي القوا منها اعضاء البادري . فارسله الباشا لمكان منفرد . ثم رجع من المكان واحضر الثاني بدون اخباره عن المحل الذي اشار عنه الاول فدل على المحل ذاته . فاعذه لبيت داود الهراري واحضر له خمس سكاكين الموجودة ليدلهم على التي اشتغلوا بها فدلهم على واحدة منها . حينئذ امر بترجيعة الى محبسه واستحضر الاول فدل على السكين التي دل عليها

رفيقه فارجه له محبسه . ولم يكن عنده شكاً بصدق ما قرراه . وامر بفتح الطاقة ونزول الناس الى القناة المنيية ليستخرجوا منها ما يجدوا من عظام واقمشة . فحضرنا على الطاقة فظهر لهم على حوافها اثر الدم . ثم نزلوا الى القناة وابتدوا بالتقاط العظام واذا بما فيها قد طاف عليهم بغزارة . وكاد يخنقهم كما قالوا وان ذلك كان يقول البعض ان جميع بيوت اليهود في ساعة فتح الطاقة اطلقوا حياض الماء الكائنة في بيوتهم لاجل ذهاب اثار البادري بقوة جريان الماء . ولم اتحقق هذه الدعوى . ولكنهم اخرجوا جملة عظام وبعض قطع كساوي اخذوها للباشا . فارسلها الى قنصل فرنسا . فصدر امره بفحصها بمعرفة الاطباء والجراحين من اطباء العسكرية واطباء البلدة . وكنت من جملة المدعوين للفحص . وكان ذلك بحضور القنصل الفرنسي وقنصل النمسا السفير مرلاتو . فصار فحص العظام وكان بينها عظام حيوانات فافرز منها ما تحقق انه عظم انساني . ووجد قطعة من الفك الاثني ولم يزل عليه خصلة من شعر اللحية . وبعد الفراغ من فحص العظام صار فحص الاقمشة وهي ممزقة لا تعرف ولكنه وجد طربوشاً اسود من ملابس البادرية . فالسفير مرلاتو حرر شهادته بان البادري توما كان معلم ذمته ويعرف بتحقيق ان هذا هو طربوشه . ثم وجد قطعة جوخ من ذيل كسوة فعند تأملي فيها لم اشكك بانها من كسوة البادري توما ثم وجد قطعة ثانية من الجوخ ذاته من كتف الكسوة ملصق فيها قطعة من اسفل القبع الذي يرفعه البادرية على رؤوسهم باوقات البرد فزاد يقيني بذلك لسبب اذكروه (١٢٩) . وهو اني قبل فقد البادري بأشهر مريت على حانوت جوخي اشتريت منه لزوم الشتاء لبعلي . فاعرض علي قطعة جوخ عنده سميكه كاللباد علي انها حضرت له صنية الاجواخ . وبما انه لم يصبر راغب لمشتراها قصد ان يرجعها واذا اردتها فبراعيني بالثمن . فافتكرت انها توافق لكسوة السفر تحت الثلوج فاخذت منها عشرة اذرع ونصف لزوم شروال وكاكولة بثمان بخس . وعند قطعها مر البادري توما وسألني ماذا تعمل فاخبرته وقال هذه تناسبني في فصل الشتاء . فاخذ الباقي وكان دون الستة اذرع . وسال البائع هل يوجد عنده غيرها اجابه ولا في دمشق يوجد منها . فعملها كسوة فوقانية للشتاء . فالقطعتان من الجوخ اللتان وجدتا مع العظام هما من نفس الجوخ المذكور الذي لا يوجد منه بدمشق غير عندي وعند البادري توما . ثم انه بعد اتمام الفحص وكتابته وامضاه من الفاحصين تسلم لي قنصل فرنسا . والذي ترجح عندي من كيفية هذه الواقعة ان البادري توما اغتاله خادم الحراري والحلاق فقطط طمعاً بما معه من الدراهم . فكلفاد لزيارة مريض وفنكا به . وعندما اتخادم

الذي عند البادري وجد معلمه تعوق بالحضور عن ميعاده فتوجه للسؤال عنه بحارة اليهود . فاختاره القاتلون ليدلوه عليه وفتكوا به ليقطعوا الخبر . لان مطابقة تقريرهم تؤكد عليهم الدعوى . ولكن كثرة محاماة كهراء اليهود عن ذنوب جهاليتهم تجلب عليهم ما يكدرهم . فهم يقصدون اثبات برارة جميع ابناء ملتهم والحال انهم كباقي الامم يوجد بينهم الجيد والردي .

وفي هذه السنة اي سنة ١٢٥٥ انفصلت حكومة حلب عن شريف باشا ووضع فيها حكمداراً اسمعيل بك امير اللواء من رجال العسكرية . وفيها ارسل السلطان محمود عسكرياً كثيراً لاجراج المصريين من سوريا . فابراهيم باشا حرر للامير بشير ان يرسل عسكرياً من طريقه لحافظة دمشق احتياطياً من حدوث هياج فيها لان العساكر المصرية اكثرها اجتمع لعند ابراهيم باشا . فارسل الامير بشير ولده الامير خليل مصحوباً بالف وخمسة من رجال الجبل ونزل فيهم بالمرجة خارج دمشق . اما ابراهيم باشا فتوجه الى حلب وجمع عساكر كفايته ودخل فهم بر الترك قاصداً مقابلة العساكر الاتية لاستخلاص سوريا من يده بأمر السلطنة . فقابلهم بارض نزب وحصل بينها حرب شديدة وكاد عسكر السلطنة يفوز على المصريين . ولكن شجاعة ابراهيم باشا وكثرة ممارسته على الحروب وتدريبها اسعفاه على الفوز بالانتصار التام على عساكر السلطنة حيث السرعسكر اضطر للفرار بنفسه تاركاً جميع مهاته غنيمة للمصريين حتى اوراقه الخصوصية لم يقدر على الوصول اليها وقعت بيد ابراهيم (١٣٠) باشا . وما وجد بينها فرماناً بتولية علي آغا خزينة كاتبي المتقدم ذكره على ولاية الشام وعطاب للسرعسكر من الدولة تامله انه غيب وصوله لحلب يرسل فرمان ولاية الشام لعل آغا خزينة كاتبي كونه تفرد لديها صداقته من امين الصرة سابق خليل كامل افندي (الذي بعده حضر والياً على الشام وكنت طبيب عياله وفهمته من ولده علي بك ان خزينة كاتبي المذكور لم يكن عنده علماً بتوجيه ولاية الشام عليه وان والده سعى له بهذا المنصب كونه احبه عندما حضر للشام واجتمع عليه) فابراهيم باشا ارسل اسمعيل بك حكمدار حلب لعند شريف باشا حكمدار الشام . وصار توقيف علي آغا بمحل في دار الحكومة . وكان شريف باشا مثلاً من وجاعة علي آغا عند ابراهيم باشا فعمل مجلساً لاثبات نيات قدمها عليه وصار لذلك عدة جلسات وعلي آغا يرمي على براوته منها كما هو بالحق ولم يذكرها له دعوى فرمان الولاية . وعندما بني عليه جواباً واحداً ليكتبه وبقدمه في الجلسة الاخيرة والناس تؤمل انه يخرج ثاني يوم مبرراً كما كنت اتقف على كلما يحصل في الجلسات من الامير محمود حفيد الامير

بشبر اذ كان بدمشق وكان يحضر هذه المحاكمة بامر شريف باشا فتأتي يوم لم يتركوه لتفديم الجواب بل عند الصباح قطعوا راسه امام باب سراية الحكومة وتركوه مطروحاً لآخر النهار ليراه الناس وعمره حينئذ اثنان وسبعون سنة ولكنه كان خمسين سنة بصحة جسمه . وكان يوماً شديد الكدر عند اهالي دمشق من اسلام ونصارى ويهود نظراً لحسن سلوكه مع الجميع . وما كان احد يظن ان هذه النهاية الشنيعة من يد المصريين لانه كان شديد المحبة لابراهيم باشا الذي كان شديد الميل لنحوه وعندما يحضر لدمشق يجعل نزوله مع خواصه في بيت علي اغا وهو بصحبته ليلاً ونهاراً يلتذ بمسامرته وحكايا نوادره حتى كان يصحبه في بعض خطراته . وقد حضر معه حرب نابلس الذي تضابق به ابراهيم باشا وظهرت الفروسية من علي اغا واتباعه الذين قتل بعضهم وبعض خيوله في ساحة القتال . وعندما (حضر) محمد علي باشا ليافا توجه مع ابراهيم باشا لمواجهته . وجميع خدماته كانت عمانية ولم يقبل لنفسه وظيفة ينفع منها وقد اعرض عليه ابراهيم باشا وظائف لينة به مراراً فلم يقبلها . وما وقع له مع ابراهيم باشا اذ كان بمجلس شراب في يافا مع بعض اصحاب المراتب في حالة الشرب قال ابراهيم باشا لعلي اغا الى متى اعرض عليك وظيفة بخدمتي وتأني قبولها اجابه انا خادمتك بكلمة تريد خلاا الوظائف المرتبة فلا اقبلها . وكان حاضراً حسن بك الكحالة متسلم القدس الدمشقي فقال له اما خدمت متسلماً في اللاذقية وبعده متسلماً في حماه . حينئذ ابراهيم باشا تحرك من (١٣٦) فعل الخمرة وقال لعلي اغا هل ان الوزراء الذين خدمتهم هم اعظم مني اجابه كلا ولكنهم ما كانوا يسألون عن تصرفاتي . ولكن دولة مصر تعاقب خادمتها اذا تناول هدية ولو ديكاً فتحبسه ويحضر القبطي يكتب جرنال الدعوى باعين مزورة ويلحظني شذراً كافي قاتل ابيه ويقول قرر فلان وقرر فلان وتكون الدعوى على ديك او جزرة فجعل فلا أجعل حالي لاجلها اسيراً لقرر فلان وفلان فالأوفق لي وجودي حراً اقبل هدية الثور واجعل ولا احد يسألني . فقال له ابراهيم باشا فاني ارنب لك زيادة نرضيك باضعاف ما تؤمله من الهدايا فلا يبقى لك عذر . اجابه ان الياري تعالى عندما شاء خلق السماوات والارض خلق الاسماك في البحار والحيوانات في البر والطيور في الجو وجعل جنة فيها من الاشجار انواع شتى من كمال تشبيه الانفس . ثم استحس ان يخلق حضرة اينا آدم فخلقه على صورته بغاية الكمال وافاض عليه روح النبوة وجعله حاكماً على جميع مخلوقاته من البهائم والاسماك والطيور والاشجار والاعشاب ولا يزاخه فيها انسان ثاني فقط اختص لئانه تعالى شجرة واحدة ونهى

آدم عنها فقصاه واكمل منها حال كونه نبياً . فمهما اعطيني لا تقدر ان تعطيني ما اعطاه الله لآدم ومع ذلك مد يده لما تنهاه الله عنه . وانا ابنه فلا بد ان يكون طبعي كطبعه ولا اقف عند نبيك فتعاقبني . فخبير لي ان ابقي خارجاً عن الوظائف . فاقنع ابراهيم باشا بجوابه .

ان امراء بيت الحرفوش بسبب اخذ بلاد بعلبك العايشين في خيراتها من ايديهم بعد ان كانوا حكامها اجيالاً كثيرة لم يفتروا عن الحركات لان الذي رتبته الحكومة معاشاً لهم فهو قليل بالنسبة لما كانوا ينفعون به من بلادهم واستولت الحكومة عليه . فكان الامير جواد من كبارهم مظهراً العصاة ولا يستقر بمكان والحكم لم يظفر به الى ان الامير جواد المذكور شمت نفسه من الفرار والتفتيش عليه من الحكومة فتوجه لعند الامير بشير بثلاثة من خاص رجاله وطرح نفسه في سجن المجرمين . فالامير اخبره من السجن ووعده بالسعي عند الحكومة بالعفو عنه . فابراهيم باشا كان غايياً في حلب اقتضى ان الامير كتب بذلك الى الحكمدار شريف باشا فتوجه له الجواب بان يرسل الامير جواد والذين معه الى دمشق سريعاً . ثم قال للامير محمود وكان لم يزل يدمشق انني اريد اقتل الامير جواد حين وصوله هنا فهل جدك الامير يفتاظ لذلك اجابه لا اعلم ولازم اسأله عن ذلك . وبالحال ارسل الخبر لجلده (١٣٢) بكل سرعة فرجع الجواب قبل وصول الامير جواد لدمشق وعن طيه تحرير ليحري بك مفاده اذا لم يمكن العفو عنه فاقبل ان يبدل قصاصه بنوع غير القتل لكونه حضر بنفسه طائعاً . فعمل جهده بترجيع شريف باشا عن عزمه وان يصبر الحضور امر ابراهيم باشا . فجوابه انني حررت له عن مرغوبي بالقتل وهو نفسه في عكا قتل الذين التجوا للامير من مشايخ نابلس وكانت غايته تخفيف الامير . فعند وصول الامير جواد احضره لديوانه واجلسه وتكلم معه طويلاً وصرفه . ثم الحق فيه المأمورين بقتله مع قتل اتباعه . ففعلوا رؤوسهم اعاب باب السرايا . فهذه التصرفات قد اوجعت الامير كثيراً واضعفت امنيته بالمصريين وصار يترقب منهم زوال نعمته كما ازالوا نعمة غيره ومن المعلوم ان محبة الذات الفريرية في مطلق الحيوان تنافضل فيه بحسب رتبته . فالانسان اعلاها وهي تجعله يجتهد بازالة كلما يصدده عن نوال مرغوباته . فلهي السلطان الاعلى يجتهدون باهلاك من هو دونهم بالسلطة لتقوية نفوذهم . فترى السلطان يجتهد ان يضعف قوة الوزراء وهم يجتهدون بتضعيف قوة الوزراء الذين يجتهدون بتضعيف قوة المشايخ وبالتسلسل تضعف قوة الرعية عن دفع القوة المحدثه عليها المطامع في سلب محاصيل انعابها . فكان

المصريون يجتهدون على الدوام بنزع الاسلحة من ايدي الاهالي حتى يضعفونهم عن مقاومة من يظلمهم وتضعف رؤساء العشائر بضعف رجالها فيقدرون على اهلاكهم ومن ثم يحكمون بالرعية كمسيبتهم بدون معارض .

وبهذه السنة اي سنة ١٢٥٥ توفي السلطان محمود وتولى السلطنة ابنه السلطان عبد المجيد الذي شرع بوضع التنظيمات لسلوك الدولة بطريق القوانين العادلة . فابراهيم باشا ما ارتاح من المتاعب لقيام الحركات ضده في جهات سوريا بسبب احدائاته على الرعايا التي لم يعتادوا عليها فيها سبق . لذلك كان قبلما ينهي الحركة في جهة بشور حركة اخرى في جهة ثانية . وبالحملة ان مدة اقامة المصريين في سوريا نقصت بالحروب مع الدولة والرعايا ولم تحصل على راحة . ولكن كانت كلية العدالة في احكامها بين الرعايا والتسوية بين الملل المختلفة وتحصل الحقوق لاربابها ولا تكلفهم لدفع شيء عن التحصيل . ومجالسها تقضي الدعاوي مجاناً واعضاؤها لها معاشاً كافياً من طرف الحكومة . والذنوب لا تباع بما يسمونه جزاء نقدياً . ولا مجلس بلدية تصرف حاصلاته في خصوصيات خدام الحكومة نظير عمل مفروشات محلات الوالي والدفتردار . ومجالس الدعاوي والادارة وغيرها ومحلات دواوين القلم البالغة نحو خمسين محلاً وثمن ذبوت للاضاءة بمحلات الحكومة في شهر رمضان واكلاف وليمة يعملها الوالي لرايز اجني واصلاح تعميرات للحكومة وما شاكل ذلك مما لا تنتفع البلد منه بشيء . ولتذكر قضية من اعمال ابراهيم باشا تليق بهذا الموضوع . ان فوايض المياه القنطرة من بعض اقسام مدينة دمشق كانت تجتمع في خندق خلف السور لجهة باب شرقي ويفوح منها روائح كريهة على بيوت المحلات القريبة اليه التي اغلب سكانها نصارى والبقية من المسلمين . فتبقى هذه الاقدار مستبحرة هناك لاواخر الصيف فتتشف وباخذها اصحاب البساتين وينجدد غيرها حيث لا مصرف لها ويمكن صرفها الى نهر عقربا الذي لا يشرب منه غير الاراضي لانه يحمل اقدار كثيرة من دمشق ولكن يحتاج الامر من (١٣٣) الحكم لمرورها في ارض وقف المجذمين من الاسلام . فاهل المحلة التمسوا من ابراهيم باشا الاذن بتصرف هذه الفوايض على مصرفهم والرخصة بمرورها في ارض المجذمين وهي تنفعها . فحرر لشريف باشا بان يحقق بمعرفة الاطباء عن دعوى الضرر . فاذا تحقق وقوعه بصير الشخص بمعرفة المهندسين . فان وجد التصريف في ارض الوقف فيعملوا بمقايضة المصاريف اللازمة للعمل وتتقدم له الافادة . فشريف باشا تم الامر فتتحقق ان ذلك مضر على عموم السكان ويمكن تصرفه . فعمل مقايضة المصاريف وارسل التقارير

لأبراهيم باشا فصدر امره بعمل اللازم على مصروف الحكم لانه يلتزم بدفع الضرر عن الرعية ولا يلزمها بان تتكلف لشيء من ذلك فتمموا العمل حسب امره .

ومنها انه بوقت ما رفع الخامون سعر اللحم رفعاً فاحشاً فصدر امر الحكومة بتعديل السعر . فتعين لذلك بعض اعضاء مجلس الشورى . فاشترى غنماً وذبحوه واعتبروا اكلافه واوزانه و اضافوا على الثمن الربح المناسب الى الخام . ونفبه على السعر وان لا يزداد عليه الا بمعرفة المجلس عند زيادة اثمان الغنم . وبعد مدة بلغ الحكم ان الخامين لم يسلكوا حسب قرار المجلس مع ان اثمان الغنم لم تزد وبقوا يبيعون بالزيادة كما دأبهم . فصدر امر ابراهيم باشا بتحصيل الفرق منهم وان لا يدخل الخزينة بل يصرف في خصوصيات عموم الرعايا وهكذا صار .

فدخلت سنة ١٢٥٦ وكان قبلاً حضر لكسروان السفيور ويجارد وود احد تراجين سفارة الانكليز بالاستانة (الذي هو الان قنصل جنرال الانكليز في تونس وتايب جلالة الملكة) وكان الظاهر ان حضوره هو لتعلم اللغة العربية التي اتخذ له معلماً بها ارسانيوس الفاخوري الماروني . واما عمله الباطني كان عمل الوسايط لزعزعة حكومة المصريين في سوريا . وكانت اقامته في جبل كسروان . ثم شاع اتفاق الانكليز والنفسا مع الدولة العثمانية ضد المصريين . وحضرت مراكبهم لبحر بيروت مع مراكب عثمانية . كذلك حضر مراكب فرنساوية وهي غير متحدة مع المذكورين . وكان الظاهر لدولة مصر ان فرانساً تدافع معها ولذلك توقف المصريون عن القبول فيما اعرض عليها قبوله بان بلاد مصر تكون لتربية محمد علي باشا بالتوارث للارشاد منها مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويدفع عنها للدولة ستون الف كيس سنوياً وتكون عساكره ومراكبه الحربية عدداً معيناً لا تزيد عنه وان ير الشام يبقى بيده مدة حياته فقط . وما خلاهما مما بيده يتركه للدولة كالحجاز وكريت . وانه ان لم يرتضي بذلك لمضي عشرة ايام توخذ من يده ير الشام ويقوا له بلاد مصر . ثم يمهل عشرة ايام أخرى فاذا لم يرتضي فتوخذ منه بلاد مصر . فمحمد علي باشا لثقتهم بمواعيد فرانساً بمساعدته تمنع عن قبول ما تقدم .

واما ابراهيم باشا عندما تحقق عنده عصاوة جبل كسروان بتدبير السفيور وود وانه استحضر لمعونتهم الامير خنجر الحرفوش الماخوذة من عيلته بلاد بعلبك وكان من الفرسان الشهيرين بالشجاعة والبطش وقيل انه كان معهم مديرون للمحاربة من رجال الانكليز . فابراهيم باشا توجه اليهم باثني عشر الف عسكري

نظامي مشاة وابقى شريف باشا حاكماً بدمشق وان يحجز قناصل الانكليز والنسا في بيوتهم اذا وقع حرب من دولهم ضد المصريين ولا يمكنهم من مواجهة احد . وارسل يوحنا بك البحري يقيم عند الامير بشير في سرايته (١٣٤) وان الامير يرسل حفيده الامير محيد الشجاع لمرافقته . فبوصول ابراهيم باشا لجبل صبة العساكر قابله الرجال ووقع الحرب . فانكسرت عساكر مصر مراراً في حملة ايام ولم تظفر بواحدة . فقتل الانكليز بالشام مستر وود ارسل روفائيل مشاقه سراً لعند الامير يخبره عن قرار الدول المتحدة وان الاوفق له تقديم الاطاعة للدولة . فتوجه روفائيل المذكور وقرر رسالته . كذلك حضر للامير طلباً سرياً ان يرسل من قبله معتمداً لمواجهة الكومودور نيبير في ميناء بيروت . فارسل اليه ابراهيم مشاقه سراً عن طريق صيدا ومنها توجه بحراً لعند الكومودور نيبير . وبعد المكاثرة اللازمة رجع لعند الامير عن طريق صيدا وذلك خفية عن بحري بك المقيم في بتدين لمراقبة اعمال الامير الذي تقرر لديه ما فهمه المعتمد من الكومودور الذي من جملة كلامه يا ابراهيم اخبر اميركم ان سوريا هي الان تحت رحمة جناح قبلي هذا فلا يغتر بنفسه والمصريون لا بد من اخراجهم منها حتماً .

فعندما محمد علي باشا رفض قبول العهد المتقدمة له صدر الامر باخراج المصريين من سوريا بقوة السلاح وقبل ضرب بيروت رجع بحري بك لدمشق وكان الحكم يقتل كل من قالوا عنه انه تكلم شيئاً بخصوص امور الحرب الواقعة . وفي احدى الليالي حضر لعندي ليسهر السنيور مرلاتو قنصل النمسا وجر الكلام الى حضور المراكب على بيروت . فقلت له انها عملت الاوفق لها فتوضع يدها اولاً على المحلات الضعيفة ثم اخيراً تحاصر عكة فيكون عندها زمان لتفنيها . فقال انظن هكذا اجبته ليس وحدي بل الجميع يظنون ذلك . قال ان حضورها اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها لربما يقع عليها حادث يضرها . وماذا تظن احتمال عكة حرب الانكليز . اجبته ان ابراهيم باشا حاربها سبعة اشهر مع ان الذي كان داخلها ضعيفاً . فالان الذي داخلها قوياً . وزاد في تحصينها فتحسب زيادة قوة الانكليز عن قوة المصريين بمقابلة زيادة قوتها عما مضى . فضحك وقال مسكينة هي الدولة التي تقع تحت غضب دولة الانكليز . اجبته ان عكة حصينة جداً وابراهيم باشا زاد في تحصينها قال انا اعرفها جيداً من بعد تحصينها فصارت تحتل حرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي بالسهرة رجلاً من انساب بحري بك وهو صديق لي قد سمع كلما حصل فاحتسبت من بلوغ الخبر للحكومة من غيري . فعند انقضاء السهرة طلبت من صديقي هذا

ان يتوجه حالاً لعند بحري بك ويخبره عن لساني بكلمة جزى فتوجه . وعند الصباح حضر لعندي رسولا يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت فقال لي حضر فلان واخبرني عن لسانيك عن كلام قنصل النمسا معك فاريد ان اتحققه منك ليلا يكون وقع زيادة او نقصان . فقصيت عليه الواقع قال اريد منك تستخير منه هل ان الانكليز والنمسا يخاريون مع مراكب الدولة وتفيدني باسرع ما يمكنك . اجبته ان القنصل المذكور لا يسهر عندي دائماً واذا توجهت لعنده بهذا السؤال فربما يفتكر افكاراً تمنعه عن الاخبار بالحقيقة فارجوك تمهلي حتى افتكرك بالطريق الاوفى . فقي العشية حضر القنصل لعندي وكان حضوره في ليلتين متواليتين نادراً جداً . فعند الخطاب قلت له (١٣٥) اني لم ازل افتكرك بقولك ان عكة تؤخذ بست ساعات فيا ترى هل وجود المراكب هو لصيانة مال الاجانب في بيروت كما ذكرت حضرته ليلة امس ويحفظون الحيادة ام يضربون مع المراكب العثمانية . قال ما حضر الانكليز والنمسا الا ليضربوا اما الفرنسيون فيحفظ الحيادة . وعند الصباح توجهت لعند بحري بك واخبرته بما حصل فظهر منه مزيد التكدر واستعاد كلامي فاعدته . فكان كلامه الله يجازي الفرنسيون اذا كان يحفظ الحيادة لانه بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيده بالمساعدة لما كان افندينا يخالف راي الانكليز ويجعله خصماً . اجبته ان بونابارته الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكة وكانت بسور واحد ودخلها جزار باشا بالكاد تكون مفرته تساوي طابور واحد من العسكر المصري الذي عساكر السلطنة الكثيرة ما قدرت على الثبوت امام القليل منه . قالان عكة صارت ذات سورين وزاد تحصينها مراراً عن الاول والذي دخلها عسكر ابراهيم باشا وليس عسكر الجزار الضعيف قال ان بونابارته الذي اعجزه عن فتح عكة ليس هو حصانها بل قوة الانكليز التي انت ضده وزاد عليه انقلاب جمهورية فرانسه عليه وقطعت عنه الامداد وتعمدت اهلاكه بهذه البلاد فاضطر للقيام عن عكة والا فما هي عكة وما كان اعظم منها بالنسبة لاقتدار الملوك العظام . فلو كانت قوة الاتراك وحدها هي المتوجهة ضد افندينا فلا يبالى بها مهما كثرت عدداً وعدداً وسمعت منه مراراً انه نظر شجاعة نساء المورة في حروبه اكثر من شجاعة الاتراك واثبت شاهدت بعينك حربه بخصص كيف كان الجمهور الكثير منهم يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ولكن ما كفافنا الاهتمام بمدافعة العدو القادم علينا من خارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين المعروف الدولة المصرية مع النصارى . حيثذ قلت له اتسمع لي ان اتكلم بالحرية بدون

خشية او ابقي صامتاً . اجابني بل ارجب ان تتكلم بكل حرية عن كل ما بلوح
بفكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانه اذا كان لبنان
معنا فهو الحصن لنا باكثر من عكة وبما انك تعرفه جيداً لا بد تعرف ما يفسده
وما يصلحه . اجبت انه من القواعد المقررة بالتجربة ان المغتصب لبلاد اذا لم
يحسن سياستها واحداث عليها غير المألوف عندهم فلا بد ان تصير ليد غيره كما
صارت ليد .

اولاً ان لبنان كان يدفع لخزينة الولاية في كل سنة الف وثلاثمائة كيس
فوضعتم عليه زيادة بكل سنة اربعة آلاف كيس ودايماً تطلبون منه رجالاً لمعونتكم
وقت الحروب بدون اجرة يتعطلون فيها عن اشغالهم لمعيشة عيالهم ويقتل منهم
كثيرون فتزول نساءهم ويتيم اطفالهم ويحسرون واسطة معيشتهم ولا يعتاضوا عن
ذلك بشيء غير الجوع والعري والنوح والبكا . هذا وانهم بحالة فقر شديد وليس
افقر منهم يجمع بلاد سوريا . نعم ان لبنان يخرج منه حرير من الالف الى
الالف وخمسة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبنات
واهل المدن كبيروت وطرابلس . فالاهالي (١٣٦) يبقى لهم القليل من حاصلات
الجبل وهم نحو ثلثماية الف نسمة وليس عندهم اراضي لزراعة الحبوب لاجل
ما كولاتهم فيضطرون لشراها من الخارج وحاصلاتهم من الحرير وغيره يذهب
ثمناً بثمن الحبوب لان جميع صافي اراضيهم اذا طرحت منها الصخور لا يبقى
منها ارضاً صالحة تساوي اراضي قرية واحدة من بلاد الشام او حمص وحماه .
ولذلك ترى جانباً منهم يعيشون من الخدمة عند الامراء ومن الدخول في الرهبنات
او في زمرة الخوارة ليعيشوا من خدمة الرعية بالروحانيات وقسم اخر يتغرب عن
بلادهم ليعتمد عند سكان المدن وقسم كبير من رجال عواجز مع نساء واولاد
يجولون على بيوت المدن يتسولون ولو كسرة خبز لسد جوعهم . فلا ترى مدينة
الا مزدحمة بهؤلاء اللبنانيين من حدود حلب الى مصر .

(ثانياً اي صاحب عشيرة ابقينموه مرتاحاً على عادته ولم يهينوه وتنزعوا بلادهم
من يده . واخذتم لجانب خزنتكم الذي كان يفيض له منها ويصرفه على اهاليها .
نعم ان الامير بشير فقط بقي على لبنان كمعادنه بامر خصوصي من محمد علي باشا
ولكن بعد ان رتبتم على فقراء بلادهم اربعة آلاف كيس سنوياً زيادة عن المرتب
قليلاً حتى بلغ المطلوب نحو ثلاثة مرات عن عادته . وما كفى هذا حتى تهاديتم
عليه باعمال تهن شرف اسمه المعبر عند جميع سكان سوريا بطلبكم منه تسليم
المتجربين اليه لكي يتوسط عندكم الرافة عليهم . فلما ارسلهم اليكم بدلاً عن قبول

رجاء قطعتم رؤوسهم
ثالثاً ان سوريا لم تعتاد على العبودية كاهالي مصر المعتادين عليها من زمن
القراعة بل قد نشأوا على الحرية وايتلفوا على العوايد العشائرية فلا يرضخوا
للعبودية بزمان قصير. فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكرية وبدون
عمل مدة لنهاية خدمتهم. فالماخوذ ابنته يعرف انه لا يرجع اليه الا اذا صار لا
ينفع للعمل من تعطيل جسمه بالحروب هذا اذا نجح من القتل بسبب دوامها.
وخلا هذا فانهم ياخذون الوحيد لاهله ولا يراعون عجز والديه ولا صغر اطفاله
وشدة احتياجهم له. فهذه القضايا التي ذكرتها كفاية لتنفور القلوب. فقط الذين
لا تمسهم الاضرار منها كالتجار الذين لبس لهم اولاد يلقون للعسكرية وما شاكلهم
يرغبون دوام الحكومة المصرية لضبط احكامها وتحصيل الحقوق وايجاد الانية
داخلا وخارجاً.

فاما جبل لبنان الشمالي هذا من قبل استيلاء المصريين على سوريا دائماً
يميل لمقاومة الامير بشير وفي سنة ١٢٣٦ الموافقة سنة ١٨٢١ قاموا ضده بفتنة
جسيمة وكان الاكليروس يعضدهم والبطريرك يصمت عنهم خصوصاً بمدة
البطريرك يوسف حيش. فقال بحري بك ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل للامير
حال كونه من طائفته. اجبته هذا اعرفه من قبل دخوله بالزمرة الكنايسية وكان اسمه
الشيخ يعقوب من بيت حيش احد البيوت المعتبرة في كسروان. ولعلمه الكنايسي
ترقى لما صار (١٣٧) اليه. ففي سنة ١٨١١ او بقرها كنت اعلم صناعة عند اولاد
فرنسيس باز الذي قتل الامير عمهم جرجس وعبد الاحد. فكان الشيخ يعقوب
يقم في دير القمر مدداً طويلة للمرافعة بالشرعية عند الشيخ شرف الدين القاضي
مع خصم له اسمه الشيخ شمس اظنه من بيت الخازن حزب الشيخ بشير جنبلاط.
وكان الشيخ يعقوب اكثر اوقاته يمضيها عند اولاد باز المذكورين يتذاكر مع
احدهم بعلوم اللغة. فكان ينسب عدم نجاح دعواه لرغبة الامير في اذيته بكلام
يفصح عن عظم كراهيته للامير وعن حقه عليه. وهذا كان بمسمعي من فمه.
وكونه اشقر حد الطباع فلا اظن ان للملابس الكنايسية خواصاً في تغييرها غاية
ما يقال في خواصها الميل لحب الرئاسة. فكان صاحب درجة روحية يقابل
مماثلتها من الدرجات الزمنية. فالضرورة ان بطريركية لبنان تقابل امرئته.
فالامير بشير لم يكن من الذين يطلقون العنان للروساء الروحيين ان يتخطوا دائرة
حدودهم الروحية ويتدخلوا في حدود الاحكام الزمنية. فكان ذلك موجباً لعدم
رضاهم منه.

وأما جنوبي لبنان اذا لم يتدارك امره فتعتمد اليه العدوى من شماليه لان الموارنة فيه نحو نصف اهلاليه وهم اشد رجال موارنة الجبل والمشايع التي تربطهم مع الدروز حتى يكونوا يد واحدة هم جبلاط وعماد وتكد المتقيون لمصر. فاذا تطيبت خواطرهم وارجعوا غلاصمهم مسرورين قبوا سطقتهم يثبت الجنب ويغشاهم الشمال. فهذا الذي اظنه وربما يكون غلطاً. اجابني وانا ايضاً اظن هذا بان الاوفق هو احضار المشايخ.

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر ابراهيم باشا لشريف باشا بان يحجز على قنصلي الانكليز والنمسا في بيوتها ويضع خفراء من العسكر على ابوابها. وبعد ايام ورد تحرير لشريف باشا من ابراهيم باشا يقول له ان بيت قنصل الانكليز له باب ثلثي فما المنفعة من الحفر على الواحد منها. وكان ذلك صحيحاً. وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم بواسطة الترجمان عندي. وهكذا ما يلزم لقنصلات الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات انهم كلما يلزم سرّاً ليس بكراهة للمصريين ولا رغبة بالاتراك بل للسلوك بحسب سلوك مأمور الدولة المنتهي انا اليها. فعندما كانت تساعد المصريين كنت اسلك كمرغوبها. وعندما ساعدت الاتراك مشيت في طريقها. وفي كلتا الطريقتين ابتعد جهدي عن الوقوع في وحدة الاضرار الشخصية لا بل اجتهد بمساعدة المصاب ما امكنتني.

ثم حق الفشل على العساكر المصرية حيث ساعدت رجال كسروان برجال ومهمات حربية والعسكر المصري اعتراه الملل وصغر النفس من مواصلة الحروب وهلاك الرجال وصار كارهاً لدولته. فعندما نظر ابراهيم باشا تاخير عسكره في جميع المواقع خرج فيه لرحله غربي البقاع وبقي منتظراً ان يطمع خصمه فيه فيلحقه وهناك ارضاً سهلة تلايم الحركات العسكرية فيفتك بالخصم. ولكن اهالي الجبل لا يقابلون عسكراً في ارض سهلة ويكتفون بما حصلوا عليه بخروج العسكر من ارضهم. (١٣٨)

وفي مدة محاربته في الجبل استولت الدولة على مدينة صيدا وتوجه الامر منها للامير بشير بالامان بان ينزل لصيدا في يوم عينه له لكي يفوضوا له احكام الجبل. فحالاً ارسل لحفيده الامير مجيد ان يتخلص من معسكر ابراهيم باشا ويأتي اليه بكل سرعة. وافهم اندراوس مشاقه ان يضبط له كمية التقدي الموجودة عنده في دار الحرم. فوجدت ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعون كيساً التي تساوي بوقتها نحو اربعة وستين الف ليرة فرنساوية. فامر ان الثمانية آلاف كيس يضعها

في اكياس مع كتابة بعلم كياتها ويضعها في صندوق ويأتيه بمفتاحه . فعمل
كامره وقال له فهاذا تفعل بباقي الدراهم . قال تبقى خارجاً لترسلها الى البطرك .
اجاب ان سيدنا البطرك ليس هو الآن محتاج وهي تلزمك اكثر . فتنهد الامير
وقال الارسال للبطرك الان يلزمني اكثر من جميع معارفي (هذا يوضح عدم
اركانه فيه) . اما الامير مجيد حالما بلغه امر جده احتال بالتخلص من معسكر
المصريين ولم يقدر على الوصول لعند جده الا باليوم الذي يلزم الامير ان
يكون وصوله فيه لصيدا . ولا يمكنه النزول قبل تخلص حفيده ليلا ابراهيم باشا
يغناظه فيقتله . فثاني يوم نزل الامير الى صيدا بجميع اولاده واحفاده . وخرج
خالد باشا بالعساكر للقاءه واجرى له مزيد الاعتبار وحرر لبيروت عن وصول
الامير لصيدا . فاجابوا بطلبه لعندهم . فتوجه كطلبهم . ولدى المواجهة الامره على
يوم عاقته ولم يقبلوا عنده وخبروه بالاقامة في اي محل اراده عدا سوريا وفرنسا .
فاختار الانكليز في مالطه واعطوه فسحة لترتيب اموره . فرتبها والبطرك ارسل اليه
الخوري نقولا مراد يكون برفقته لاجل الخدمة الروحية (وبالاحرى ليكون جاسوساً
على اعمال الامير ويخبره عنها) . فتوجه الامير بكامل عياله وخدامه اللازمين وايضا
الخوري نقولا الى مالطه واقاموا بها .

واما لبنان فولوا عليه الامير بشير القاسم المذكور قبلا . وهو ضعيف التدبير
بادارة الاحكام وهكذا مرغوب فيه من امراء البلاد ومشائخها ومن البطارقة
والمطارين حتى من الولاة لانه لا يقدر على معارضتهم في انفاذ مرغوباتهم ولا
يهيئهم صالح العموم لان ضعفه يقوي سلطانهم ويضعف الرعية عن مقاومة
مطامعهم التي كان لا يمكنهم منها الامير بشير السابق المنعوت بالكبير . وقد
شاهد للعيان ما صارت اليه اعيان لبنان واهاليه من بعده فوصفوه قبلا بانه
اضعف كبرايهم وسفلك كثيراً من دمايهم ودماء الرعية ولكنهم لم يبرهنوا على
معاملة شخص واحد من هؤلاء بغير واجبات الاحكام وهل ان حالة كبراء البلاد
عموماً هي الان افضل مما كانت قبلا وهل ان الذين قتلوا بمدة حكمه باكثر من
نصف جيل فحال كونه قتلهم عدلاً فهل يبلغون عدد ما كان يقتل ظلماً بيوم
واحد وبلدة واحدة من بعد مفارقتهم لبنان . فالمنصف بعمل هذه المقايضة .

ان ابراهيم باشا بقي في زحلة بالعساكر كما تقدم الكلام . ففي يوم شاع في
دمشق ان فردوس بك حضر لعند اخوته بدمشق . فالذكرور هو ابن علي اغا
مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم بمحاربة الفرنسيين بمصر
سنة ١٨٠١ . وتزوج علي اغا بابنته وله منها بنتين وبنت قد تزوج شريف باشا

بواحدة منهم . وفردوس (١٣٩) بك كان مع عساكر السلطان . ففي يوم طلبني بحري بك وسألني هل علمت بقدم فردوس بك لدمشق وسلمت عليه . اجبت سمعت بقدمه وصادفت في احد البيوت اخاه عاكف بك وسالته عنه اخبرني انه حضر لبيروت وليس للشام . قال ان القول هو حضوره لدمشق وانه محتف في بيتهم . واريد الوقوف على الحقيقة . فكونهم اصحابك وافت طيب فتدخل جميع البيوت ارجع منك تحقيق الشايخ . فانا كنت متحقق حضور المذكور عن طريق حاصبيا لعند الامير سعد الدين وطلب منه اناس توصله لدمشق بالافنية . فالبسوه ملايس الجبل وارسل معه اخيه الامير خليل اوصله لايواب دمشق ورجع . ولكن كيف ارتضي ان اجعل نفسي وسيطاً للقبض على انسان غالباً يقتلونه . فجأوبته ان البكاوات المذكورين هم اصدقاوي وارتدد عليهم ولكن لا ادخل لدار الحرم لاني لست طيبهم حتى الطيب لا يدخل دار الحرم الا اذا طلبوه . قال ومن هو طيبهم اجبته روفان صيدح الذي تريد ان تزوج ابن اخيك بايقته . فافتنع مني بذلك .

ثم كان لدمشق حاكماً خصوصياً يدعى متسلماً وهو حافظ بك ابن عبد الله باشا العظم الذي عزل عن ولاية الشام بوقت استيلاء الوهابي على الحجاز وانقطاع طريق الحج . فالبك المرقوم كان من الصادقين بخدمة الحكم المصري . وهو من اقرباء فردوس بك . فحقق ليبحري بك ان فردوس بك حضر لدمشق الشام واجتمع في بيته سرّاً مع شريف باشا ورجع لبيروت . فيلزم اعراضك بذلك لانندينا ابراهيم باشا . اجابه اذ ذلك مناسب ولكن يلزمني الوقوف على برهان لكي ندافع به عند الانكار . قال مناسب . هلم نتغدى سوية في بيتي وهناك نرى حقيقة الواقعة . فتوجه معه وبعد الطعام ادخل بحري بك لخدع ضمن حجرته مسدول سناراً على بابه . واستحضر ولداه لاني فردوس بك وسأله عمك فردوس في اي وقت يخرج من الحرم حتى اتوجه لعنده . اجابه عمي سافر منذ ثلاثة ايام ما تعوف عندنا غير يومين . قال له اذا ما صبر لمواجهه صهركم شريف باشا قال الباشا حضر لعنده ثاني ليلة وسهروا وحدهم في القصر وبالثبلة القادمة عمي سافر . وبعد هذا الكلام اصرفه وقال ليبحري بك هل بقي عندك شك اجابه كلا ولكن هذه القضية اجعل بان ما عندك خبرها حتى نقف على خاطر ابراهيم باشا ونسلك حسب ارادته . فبحري بك لا يمكنه كتمان ذلك عن ابراهيم باشا رعاية لصدق الخدمة وجوباً ثم لحماية نفسه من الخطر عندما يبلغ الخبر لابراهيم باشا من حافظ بك ان بحري بك تحقق القضية ولم يعرضها له . ولكنه يخشى منه

ان يبطش بشريف باشا الذي هو خاص صديق له لانه تهذب بالمصالح عند عبود البحري بمعية بحري بك سوية . فالذي حصلته من معرفة التدبير الذي حصل بهذه القضية للتخلص من بطش ابراهيم باشا ان بحري بك اجتمع بشريف باشا وقص عليه الواقعة وقال له صارت حياتك تحت الخطر فان هربت ربما لا تنفذ وتفقد جميع اموالك واملاكك . واذا انا كتمت الخبر عن ابراهيم باشا فلا يكتفه عنه الذي اباحه لي وحينئذ يحسني خائناً وبهلكتي معك . فاتفقا على العمل الآتي ببيانه . ان بحري بك حرر لابراهيم باشا سرّاً بان يطلبه لعنده بتحرير منه لشريف باشا . فورد التعريف لشريف باشا انه مقتضي المذاكرة معكم بقضية مهمة الحال الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فلذلك ترسلوا البنا بحري بك للمذاكرة معه . فشريف باشا اطلع بحري بك على الامر فتوجه سريعاً وقرر لابراهيم باشا ما وقف عليه من اعمال شريف (١٤٠) باشا . فاشتاظ غيظاً وقال يلزمه القتل . اجابه نعم ولكن بلزماً ان ننظر الى العواقب قبل الشروع بالاعمال فان ارنخصت لي التكلم فانكلم . فارخص له فشرع بحري بك قايلاً ان شريف باشا لم يكن غريباً عنكم بل هو من انسابكم وقد ربيتموه واحسنتم عليه ورفعت قدره ومعاشه السنوي على طرف الخزينة ثلاثة آلاف كيس حال كون السلطنة لا تعطي لمن كان برتبته غير خمسة آلاف غرض شهرياً وصار له ملكاً من العقارات بالأقليم المصري والشامي ما لا يعد . وزاد على هذا جعلتموه حكاماً على اقليم سوريا الوظيفه التي لا يوجد اعظم منها . فهذا الشخص اذا لم يحفظ الامانة نحوكم فهل يرجى حفظها من الباشاوات وما دونهم الذين يخدمتمكم حال كونهم ليس لهم معكم قرابة ولا هم حاصلون على شيء بالنسبة لما حصل عليه شريف باشا . واذا كانت اخصامكم احتالت وافسدت عليكم اعقل من تركنون لصدافته من انسابكم المغمور باحسانكم وليس عنده قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل نؤمن بانهم لم يحتالوا على افساد روساء عساكرنا الذين يرجونهم ويتقونهم . فالان اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون له امثال في روساء العساكر فينفروا وتقوم الفتنة في عسكرنا ويتقوى الخصم علينا . فالان الاوفق نزولك الى دمشق بالعساكر وهناك تعمل ما تراه موافقاً . فابراهيم باشا اعجبه راي بحري بك ونزل لدمشق وابتدت عساكره تجتمع اليها من جميع الجهات.

ان فنصل الانكليز وفنصل النمسا صار اخراجهما من دمشق وايصالهما بالامنية لابالة صيدا . ثم ان مراكب الانكليز والنمسا والعثمانية اتوا على عكس

وحاربوها وتيسر لهم امتلاكها بالقوة الجبرية بمدة ثلاثة ساعات وثلاث. وقد ساعد على سرعة افتتاحها صناديق كثيرة من البارود وردت من مصر فلم يسارعوا لتخزينها بل بقيت تحت الجوى بين السورين فوقع عليها وقت الحرب كرة قنبلة فاشتعلت. وكان لذلك فعلاً مدهشاً اوجب هروبة العسكر الذي داخل عكة ولم يبق لها محام فحصل الاستيلاء عليها. وعندما خلعت السواحل من العسكر المصري استولت الدولة على البرور الخبيطة بالساحل بغير محاربة. كذلك استولت على البقاع وبعليك عندما ابراهيم باشا قام بعساكره من زحلة لدمشق. ثم الامير سعد الدين الشهابي توجه لعند خالد باشا في صيدا واحضر سلاحاً لرجال حاصبيا كون المصريين اخذوا سلاحهم.

ان احمد اغا اليوسف الكردي المتقدم ذكره فوضوا اليه حكومة دمشق واصحبوه بعساكر لكي يطرد ابراهيم باشا منها ويستولي عليها. فحضر لقرية سمع غربى دمشق بعيد عنها نحو عشرين ميلاً. فبلغ خبره لابراهيم باشا ليلاً وكان ظلام وامطار غزيرة فنهض اليه حالاً واصحب معه بعض عساكر ومدفعين حتى قابله ووقع القتال. وكانت النصرة لابراهيم باشا واولئك تشتتوا منهزمين. فرجع ابراهيم باشا عنه بعساكره لدمشق. ثم حضر احمد اغا اليوسف برجاله اقام في قرية البطرونه خاصة نواحي الربداني بعيد عن دمشق نحو خمسة وعشرين ميلاً منتظراً قيام ابراهيم باشا منها فيدخلها. (١٤١) ثم ابراهيم باشا عقد مجلساً من باشاوات وامراء عساكره وشريف باشا وبحري بك الذي صارت عليه الدعوى اولاً من ابراهيم باشا بكونه خائناً بانه وردت الافادة من بيروت عن مكاتبتة للاعداء. فبحري بك انكر ذلك فطلب المجلس برهاناً على صدق الدعوى اما كتابة بامضاء بحري بك اما دليلاً كافياً لاثبات الدعوى. فابراهيم باشا اجاب ان الكتابة تحت امضاه لا يمكن الاعداء ان يسلموها لنا واما الدليل الكافي هو ان بحري بك استاجر بيتاً لعياله في محلة النصارى لسكناهم. فلولا ايمانه بجانب الاعداء لم يفعل ذلك. فطلب الجواب عن ذلك من بحري بك فقرر بما انه الان الفصل بارد جداً وعندى اطفال وحريم ناقل بالشهر الثامن وكون اهلهم بدمشق فالتقت من افندينا اذا كان يسمح بابقائهم عند اهلهم فسمح وبرز من يده مرسوم الاذن من ابراهيم باشا وقال انني مع ذلك اذا شاء افندينا الرجوع بالاذن فاحمل عيالي معي ولو هلكوا بالطريق. فلو كان لي اتصال مع الاعداء فما كنت اقدم غلالى للعسكر واستحول بثمنها على خزينة مصر وبرز من يده ورقة الخوالة. حيثئذ حكم المجلس ببراءته. وغالباً كانت الدعوى عن تواطء بينها لغاية ما. ثم قدم ابراهيم

باشا الدعوى على شريف باشا بالخيانة . فنكلم بحري بك بالمحاماة عنه فرجوه
ابراهيم باشا بقوله ان هذا لا يتحصل وحضورك هو للمحاكمة لا للمحاماة فصمت .
فشريف باشا انكر الدعوى . فقال ابراهيم باشا انني امرتك بوضع الخفر على
قنصل الانكليز والمنع عن اجتماعه بالناس فتركت له باباً يدخل منه من يريده .
فاذا كان بلغني خبر ذلك الى جبل لبنان وانت مقيم بدمشق افلا تبلغك اخبارها .
فهذا لا يمكن خلا ذلك حضور فردوس بك اخو زمجتك من طرف الاعداء
واجتماعك عليه في بيته . افما كان يلزم ان تقبض عليه . اجاب شريف باشا
ان فردوس بك لم يحضر وذهابي لبيتهم ليلا كان لزيارة اهل زوجتي كمادة الناس
في ليالي رمضان . اجابه ابراهيم باشا هل شاع بدمشق حضور فردوس بك اليها
ام لم يشع . جاوب شريف باشا نعم قد شاع . اجاب ابراهيم باشا ان عدم
فحصك عنه وعدم اخبارك لي عما شاع خبره مما يثبت معرفتك بحقه ورده وتعمدك
كتمان ذلك لغاية تقصدها . فاجلس صادق على ذلك . ثم قال ابراهيم باشا ان
الذي يبرهن اتفاقك مع الاعداء هو قصد ابقاء جميع نسائك بدمشق وارخصت
لك بان تبقي زوجتك الدمشقية عند اهلها واما البقية كونهم من حرم والذي
فتأخذهم معك فإرتضيت الا بابقاء الجميع الذين ليس لهم علاقة بهذه البلاد .
كذلك بسبب اجتماع عساكرنا بدمشق حصلنا على احتياج الحبوب لما كولات
العسكر وعلف الخيل والبغال والجمال فجميع الذين عندهم غلال من تبعتنا قدموها
لنا واخذوا بانماها نحاول على خزينة مصر . صدرت (١٤٢) الاوامر تحت ختمك
لجميع قرايا الشام ان يقدموا الغلال بالثمن وان الذي يخزنها قصاصه القتل .
وقد توجهت بنفسي للقرايا ووجدت في بعضها مخازن غلة فشنت اثنان من
اصحابها وانت عندك مبالغ كذا من الغلال مخزونة في المحل القلائي والقلائي لم
تقدمها فهل تريد ان تبقيها غنيمة لاعدائنا ام بالحري لا يتناك منهم . فشريف
باشا لم يكن عنده براهين كافية لدفع الدعوى . فصدر امر ابراهيم باشا باخذ
سيفه وان يحتفظ عليه في قسلة العسكر عند احد اركان الحرب مصطفى باشا
ويمنع جميع الناس عن مقابلته عدا عن بحري بك . فوضع ذلك بالعمل .

فابراهيم باشا تكررت عليه الاوامر من والده ان يسرع بالرجوع الى مصر .
فعندما كمل اجتماع عساكره بدمشق مما كان يحلب وير الترك وناف عددها عن
السبعين الف صم على القيام من دمشق . ووقفها استدعاني بحري بك وقال لي
ان اخي جرمانوس هو متقدم بالسن ولا يفتر على مشقة السفر لمصر براً بهذه
الايام الشديدة البرد الكثيرة الامطار فيلزم تحفيه عندك مع ولده الصغير لحينما

تروق احوال البلد التي ربما يحصل بها اختباط غيب خروجه منها . والذي قادم حاكماً على البلد احمد آغا اليوسف هو من خاص اصدقائك فتعمل بواسطته راحة اخي وعيلته التي انت طبيبها . فليلة سادس ذي القعدة سنة ١٢٥٦ الذي يخرجون فيه المصريون من دمشق ففي الظلام استحضرت لعندي الخواجه جرماتوس ولده ياسيلا واخفيها عن الاعين مع شاب درزي من ابناء بلدي كان جاوياً بالعسكر المصري . وعند الصباح ابتدا العسكر المصري بالخروج في طريق حوران الى قرب الغروب حتى لم يبق منه ومن عياله احد . فوقف ابراهيم باشا في باب السرايا وكان حوله اعيان دمشق يودعونه فالتفت اليهم قايلا احترسوا على المحافظة من امر يكدر راحة البلد لبينا يحضر لنا حاكم فان حصل ادنى امر مغاير فارجع بنفسه واقتصر منكم . فتعهدوا له بالمحافظة . فركب وتوجه بساقه عساكره .

فثاني يوم بقيت في بيتي حتى التحق حالة البلد لانها اصبحت بلا حاكم . فعند الظهر بلغني قتل شاباً نصراني وهو ابن الصيدقاوي (خليل) . فالنصارى اوقعوا السبب في قتله على اليهود لان الذي قتله لم يكن بينها معرفة سابقة وهو من جهلة اسلام الميدان . وسبب الظن باليهود لان المفتول كان يوذيه في حادثة البادري نوما فاقتصوا منه بتدبير مسلم بقتله .

ثم في اليوم الثالث دخل احمد آغا اليوسف لدمشق بحملة عساكر وتسلم الاحكام ونادى بالاعتية وقتل اثنين من اشراف الاكراد وكان يدور البلدة بنفسه حتى انه نظر بعض النصارى من الذين كانوا بمدة حكومة المصريين بلبسوا العمام البيضاء قد نعموا بالسوداء تخشية من (١٤٣) اهانة تصيبهم من جهلة المسلمين فنبه عليهم جهازاً ان يلبسوا كمعادتهم وانه ينتقم ممن يعارضهم . فثاني يوم وصوله توجهت لعنده للسلام عليه والتبريك له بالوظيفة ثم اخبرته عن وجود الخواجه جرماتوس وابنه عندي وطلبت لها الاعتية فقال ان معروف بيت البحري معي ومع الجميع لا ينسى عند احد فلهم اسوة بنفسه وحالا سلمني ورقة امان سلطانية مطبوعة لتكون سنداً بيدهم من طرف السلطنة ذاتها . واسترخصت باحضارهم لعنده بالسهرة ورجعت بالورقة ودفعتها للخواجه جرماتوس وقررت له ما كان . فاطمان ولكن اختشى من تعرض احد الاوباش له بالطريق . فالشيخ حمود نكد كان قبلاً حضر لدمشق واقام مدة عندي اسقى امامه في مصالحه ثم اخذ لنفسه بيتاً واقام بدمشق . فاستحضرت اربعة من رجاله الاشدا مسلحين كل منهم بقائل جمهوراً . وعندما فات الغروب توجهنا صحبة الخواجه جرماتوس ووجدنا احمد آغا ينتظرنا في دار الحرم . وقد احسن ملاقاته الخواجه المذكور

وقدم له الشرابات والقهوة والدخان واجرى معه غاية الملاحظة وانه مستعد للقيام بكل ما يكلفه اليه . فخرج من عنده شاكراً لمكارم اخلاقه .

ثم حضر لدمشق علو باشا الذي فرّ من وجه المصريين كون الولاية باقية عليه لان الدولة لا تعرف رسمياً ولاية المصريين على الشام . وبعد ايام ارسل بوظيفة لبلاد الحجاز وحضر للشام والياً نجيب باشا والد محمود نديم باشا الصدر الامين . فهذا كان بالاستانة قبوكتخدا محمد علي باشا ولذلك احضر الخواجه جرمانوس لمواجهته وقابله بمزيد الاعتبار .

فالسنيور وود كان مفوضاً من السلطنة بتدبير كل ما يقتضي في البلاد الشامية والولاية مأمورون بالعمل حسب ارشاده بكل شيء . وكان في كتاباته الرسمية يضع امضائه ريجارد وود وكيل الدولة العلية . وبعده توجهت عليه قنصلية الانكليز بالشام وبقي مناظراً على اعمال الولاية بامر الدولة . وكلامه بخضهم ذماً او مدحاً موثقاً عندها . وقد نبه على اثنين منهم بالعزل فعزلتهم الدولة حسب انهاءه بحقهم . والبلاد الشامية من جميع الملل والمذاهب امراء ومشايخ وعلماء ورؤساء الاديان وعشائر العربان والرعايا قد احبته كثيراً لحسن تصرفاته مع الجميع . وقد انخلف في عنده بوظيفة ترجمان .

ولترجع لذكر الامير بشير الكبير . فبعد اقامته في مائطه مع اولاده واحفاده والخورى نقولا مراد وبقية الاتباع توجه المعلم بطرس كرامه للاستانة ليسعى بمصلحة الامير لدى الباب العالي . وبعد مدة طلب لعنده الامير امين اصغر اولاد الامير واعقلهم . فتوجه لعنده وبعد مدة اوعده بارجاعهم لبلادهم اذا حضر والده من مائطه عندهم . فحرر لوالده بذلك فحضر حالاً بمن معه وصار بانتظار مرحلة الدولة . وكان خليل باشا صهر السلطان حضر لبيروت لاجل ترتيب لبنان على الوجه الذي تريده الدولة فما تيسر له المرغوب فرجع للاستانة . ولم ينسب ذلك لقصور تدبيره او لعدم رضوخ اهالي لبنان لتغيير ماؤلفهم بل نسب لوجود الامير بالاستانة وبدون تحقيق صار نفيه معمن معه بغتة الى زعفران بول . وانزلوهم في البحر في يوم شديد الانواء فكاد البحر يبتلعهم ولكنهم وصلوا الى المنقى بالسلامة . ثم تبعهم الى غربتهم الشيخ حمود ابي نكد وبقي معهم لم يفارقهم لوفاته بالغربة عن اهله . وهناك توفي الامير قاسم اكبر اولاد الامير . وبعد مدة لم يظهر لتفويضه ثائراً في احوال لبنان فصار ارجاعهم للاستانة (١٤٤) . ثم صارت الوسطة بان الدولة تعطي حكومة الجبل للامير امين وان الامير الكبير يبقى بالاستانة لبعده حضور ولده الى لبنان وتنظر استقامة اعماله فتأذن برجوع والده الى وطنه .

سنة . وحيث ان المال المربوط بدل حاصلاتها كان مضمون مع مال مبري لبنان
فبقيت الخزينة تأخذ كلها من اموال لبنان ولم يضيع عليها شيئاً (١٤٤) .
وعندما ارادت الدولة ترتيب الاموال الاميرية على الجبل مثلما كانت اهلاليه
تدفعها للامير بشير الكبير فالدروز لم يعارضوا بذلك . واما نصارى كسروان
ومن جاوهرهم او جاراهم وروسايهم قد عارضوا بهذه وادعوا متظلمين مما كان يؤخذ
منهم قبلاً وعملوا جمعيات متعددة يحضرها الوجوه ومطارنة من الطائفة المارونية
للمكاملة بهذه القضية ولم يمكن الرضوخ لرغوب الدولة واكثروا التشكي حتى
عملوا للوزير والي الايالة مقايضة ايرادهم بانه يصفي لهم من ثمن اقة الحرير اثني
عشر غرشاً لا غير مع انه لو جعلوه مائة وعشرون غرشاً فلا يقبل قولهم حيث اقة
الحرير كانت تباع باكثر من ذلك وكان الاوفق ان يعملوا المقايضة الصحيحة
ويوضحوا عدد نفوس سكان الجبل انهم ثلاثمائة الف نسمة ليس لها سوى ثلث
املاكه والثلثين هما في تملك الامراء والمشايخ واقواف الرهينات والبطاركة والمطارنة
والكنائس ومعابد الدروز واكثرها معافاً من دفع الاموال الميرية والفقراء يتحملون
انقائها فلا يبقى لهم من الايراد ما يكفي لمعاشهم الضروري . ولذلك يوجد الوف من
اهالي الجبل يتسولون في المدن من شيوخ وعواجز ونساء واطفال والوف يشتغلون
بالاجرة في حمل الاحجار والاتربة والاطيان في العمائر والوف خادمون في بيوت
وحوانيت اهالي المدن في سوريا وبلاد مصر وهذا جميعه لسبب عدم امكانهم
تحصيل المعاش في اوطانهم لان ارض لبنان غير ممكن ان تكفي لمعيشة اهلاليه
ولو مهما اجتهدوا في انتفاعها لان لبنان من حدود صيدا لقرب طرابلس طولاً لا
يزيد عن عشرين فرسخ فرنساوي وعرضاً من الدامور لرأس الجبل الذي يفصله
عن ارض البقاع نحو ثمانية فراسخ . فتكون مساحته تقريباً مائة وستون فرسخاً
منها جرود كثيرة لا تعيش فيها الزروع عدا عن الصخور والاراضي المحجرة الغير
قابلة لزراع شيء . وبالإجمال ان نصف لبنان لا يصلح لزراع شيء . فالنصف
الباقى هو ثمانون فرسخاً فيخص الفرسخ ثلاثة الاف وسبعماية وخمسين نفساً من
الاهالي . مع ان اراضي اوروبا المزدهجة بكثرة الاهالي لا يخص فرسخها منهم ربع
الذي يخص ارض لبنان من اهلاليه الذين هم ثلاثمائة الف نسمة . ومن المعلوم ان
الفرسخ من الارض فيها اتقنت زراعته فلا يخرج منها ما يكفي لمعيشة الف
نفس . فلهذا كان العموم من اهالي لبنان بالكاد يحصلون على اضيق عيشة
فقرية . واما الخواص فمع اتساع املاكهم فلا تزيد ايراداتهم عن مصارفهم لا
بل اكثرهم غارقون في بحر الديون التي يذهب نصف ايرادهم بدفع مراحتها لتجار

المدن خارج لبنان . فكان خير للاهالي ان يبرهنوا للدولة حالة فقرهم وهي بلا شك كانت نرحمهم وتعمل وجهاً لراحتهم واصلاح احوالهم . ولكن سياسة كبرايتهم لا تسمح الا باظهار القوة امام الدولة لتخشى بطشهم . وبهذه السياسة التي لا توافق عصرنا جعلوا الدولة تكره اهالي لبنان واجلبوا على اهاليه الفقرا المصايب المتردفة لا بل على انفسهم ايضاً . فكانوا مستقلون باحكام بلادهم فصاروا (١٤٦) ينزلون عن مراتبهم تدريجاً الى ان هبطوا لدرجة الرعايا . نعم انه لم يزل منهم اشخاص يتولجون بالوظايف كقيمقام ومدير ولكن هذه الوظايف لم تبق تعطيم امتيازاً عن الرعايا كالسابق حيث انها تعطي ايضاً لمن يستحقها من الرعايا فصار الامير والشيخ والاصناف بمنزلة واحدة بالنصب والعزل . وهكذا المعاملة بكلمها كان فيه الامتياز لكبراء لبنان فقد ألغي . ثم لم يكتفوا ارباب تلك الجمعية بالتشكي والمقايسة الفاسدة التي عملوها حتى حرروا اعراضاً للدولة في تشكياتهم . ومن جملة ما حرروه ان مال الجزية يتوجب دفعه على من يحتاج لحماية الدولة واما هم لا يحتاجون اليها لا بل انهم يحمون جوارهم وقدموه الى الوالي لكي يقدمه للدولة . اما هو فقد نصحهم ان يسترجعوه وراجعهم بذلك مراراً فما زادهم الا غروراً واستكباراً فالتزم الوالي لتقدمه . فعندما اطلعني بعضهم على مضمون العروض تكدرت جداً . فسألني عن سبب كلدي اجبتة ليس ذلك من الشكوى بعدم المقدرة على دفع الاموال الاميرية المطلوبة عن الاراضي لان الرعايا يحق لها ان تشكي لولي امرها من ثقلها وهو ملتزم دمة ان يعاملها حسب درجة احتياجها . ولكن قضية الجزية لا يسوغ التوقف عن دفعها اولا لوجوب دفعها ديانة لان السيد المسيح قد أمر بدفعها واعطاها عن نفسه لقيصر ثانياً اذ الاسلام عندما استولوا على سوريا عاهدوا النصارى على دفع الجزية فاذا امتنعوا من دفعها تنقض ذمتهم ويجب على دمة السلطان محاربتهم شرعاً . فامتناع اللبنانيين عن دفع الجزية لا بد ان يجلب عليهم اعظم المصايب .

فسوء تصرف النصارى وعدم ملاحظتهم العواقب بان مقدرتهم التي يتوهنون وجودها في هي بالنسبة لقوة الدولة الا كنسبة العصفور للياشق . هذا وان المظاهرة بشدة العزم جعل الدولة لا تأمن جانبهم خصوصاً لجوارتهم بالانتماء لدولة اجنبية مع انها غريبة عنهم ووافق هذا عدم لياقة الامير بشير قاسم لتعاطلي احكام لبنان لكثرة هزله وفحش كلامه مع كبراء الدروز حال كون طباعهم تأبى ذلك سيما وانهم قد نشأوا بمدة الامير بشير الكبير الذي لم يعهدوا منه هزلاً ولا كلمة غير لافقة ولا بحق اعدائه . فالدروز اغنموا فرصة تغيير باطن الدولة نحو نصارى

لبنان خصوصاً عندما وقعت حادثة بين اهالي دير القمر واهالي بعقلين وهي بان نصرانياً من دير القمر كان يصيد ببارودته حجلاً في اراضي بعقلين فترزياً منها عارضه بذلك فعظم الشر بينهما وحضر مساعدون لكلهما واتصل الحال لضرب السلاح فانطرح الصوت على دير القمر ان اهالي بعقلين قتلوا رجالكم فركبوا المشايخ النكدية وتوجهوا لحل الواقعة لاجلما يسكنوا الفتنة وهكذا رجال دير القمر تراكضوا متسلحين. وبوصولهم شاهدوا اجتماع رجال بعقلين والقتلاء فاطلقوا البارود على بعضهم واشتد القتال حتى تفهقروا اهالي بعقلين معمن اجتماع لمساعدتهم ولم يرجعوا عنهم رجال دير القمر حتى حصرهم في (١٤٧) قريتهم. فبعد كل هذا حتى امكن المشايخ ان يفصلوا بين القريتين. فكان المقتول من نصارى دير القمر اربع رجال ومن دروز بعقلين اثنين وثلاثين. فدروز بعقلين كانوا خاص الاصدقاء لنصارى دير القمر ولكن هذه الواقعة غيرت احوالهم وحركت جميع الدروز لاختد النار من دير القمر خصوصاً لكون جنبلات وعماد يرغبون ضعف النكدية الكاينة قوتهم بواسطة رجالها حيث لا يوجد عندهما بلدة تضاهيها والنكدية لم ينتهبوا لذلك. وكان هذا سنة ١٨٤١.

فبعد بلوغ الخبر لدمشق كنت اتردد لعند سليمان افندي امين كلار الحج بشغل يخص الامراء. فسألني عما اعلمه من حادثة بعقلين الشايعة. فاخبرته عما بلغني ببساطة ولم يلوح بفكري ان ولاية الشام لم تعلق باعمال ايالة صيدا. وكان يوقتها والياً على الشام نجيب باشا من خواص رجال الدولة وعقلايهم. فسليمان افندي كان خاص معتمديه في اعماله لانه من الرجال المدودة بالحذاقة والتدبير. واصله اسراييلي انحاز مع ابيه لدين الاسلام في بلاد يافا. وبعد ذلك كنت ارى كثيرين من عمدة دروز لبنان يجهلون في دمشق حتى صادفت بعضهم عند سليمان افندي. ووقتها اشتبهت بوقوع تدابير سرية من الحكومة ضد نصارى لبنان. ثم تحققت لي ان الشيخ قاسم القاضي من دير القمر حضر لدمشق ثم رجع الى الجبل واخذ صحبته احوال من الرصاص والبارود. وكنت شاهدت المذكور عند سليمان افندي. حينئذ ترجع عندي انه حصل الاعتماد على مهاجمة دير القمر وكنت اتردد بفكري ان المشايخ النكدية لا يسمحوا في بلدتهم المحتوية على احسن رجالهم ثم افكر ان الشيخ قاسم القاضي هو من انخص اقرارهم ولا يعمل شيئاً بخالف رضاهم. وكان بدشق كثيرين من اهالي دير القمر تجار وصناعية. فاجتمعت على عقلايهم وتذاكرنا بما هو متوقع وما يمكن وصول الحال اليه وجميعه تسبب من صيد حجلة وان الاوفى لمصالح البلد والبلاد عمل وسائط المصالحة

بالوجه الذي يمكنهم وقاية من وقوع الاضرار. وتغارقنا على ان يحرروا بذلك لوجه دبر القمر فلم يحصل نتيجة .

وفيما كان اهالي دبر القمر بذات يوم في اشغالهم ثار عليهم دروز المناصف اذ كانوا دخلوا البلد ليلاً وكنوا في بيوت دروزها . والنصارى لم يشعروا بهم . وهكذا بالوقت ذاته حضر الشيخ خطار العماد برجاله من اعلى البلد شمالاً وحضر الشيخ سعيد جنبلاط برجال الشوف من شرقها لان اخيه نعمان بك رجع من نصف الطريق احتساباً من العواقب واهالي بعقلين حضروا من اسفل البلد جنوبها وامتدوا الى غربها . وكان برفقة الدروز كثير من رجال النصارى . فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين

وبعد مدة حضر من طرف الدولة حكامدار على لبنان الشجاع عمر باشا . وهو في الاصل نمساوي هرب من عسكرهم للبلاد العثمانية واسلم وخدم الدولة وتقدم بخدمتها . وبحضوره مهد احوال الجبل ثم مسك وجهه مشايخ الدروز وارسلهم بالحفظ لعند الوالي في بيروت ليتحقق لدى الناس بان الذي عملوه لم يكن باوادة الحكومة بالوقت الذي لم يجر عليهم قصاصاً . ان بعد ذلك بمدة تجمهر الدروز على عمر باشا وقطعوا الماء عن سرابة بتدين مركز اقامته . فخرج اليهم بنفسه وتهدهم فاطلقوا الماء . ثم لا زالوا يتجمعون في الشوف الحيطي وحضر لعندهم شيلي العريان بخيوله حال كونه مستخدم عند حكومة الشام . فحضر باشا استحضر من صيدا نحو مابتن عسكري ارناوط فضر بهم الدروز عند نهر الحزام ولكنهم بددوا شمل ضاربهم ووصلوا لعند عمر باشا . وعندما تقدم العريان بخيله وجمهور الدروز لقرية السمقانية ولم يبق مسافة نصف ساعة لوصولهم الى سرابة بتدين حيث شغلهم عمر باشا بالعسكر فحاربوه . فأمر بضرهم فلم يثبتوا نصف ساعة حتى تشتتوا طالين لانفسهم النجاة . وظهر ان هذه المحاربة لم تستحسنها الدولة حيث بعد مدة وحيزة صدر الامر بعزل عمر باشا . ثم حصل الترتيب بقسمة الجبل الى قسمين يفصلها الطريق بين دمشق وبيروت . الشماليه يحكمه امير نصرافي . فهذا لا يوجد فيه الف درزي . وجنوبه يحكمه امير درزي ولكن النصارى في هذا القسم ثلاثة امثال الدروز (١٥١) . وهم الذين تحملوا المصائب دون الشماليين . واما دبر القمر فبقيت خارج القسمة حسب استدعاء اهاليها بان يحكمها مأمور خصوصي من طرف والي الإالة .



الاقليم 'حكومتها : ٨٣	ارثسيديس : ٦١
اقليم البيلان : ١٣٠'١٢٧'٤٦'٤٥	ارض العمق : ٤٨
دروزه : ١٠٢	الارمن : ١١٧
اقليم التفاح : ٧٣'٢٨'١٢'٢	كنيسة الكاثوليك : ١٥٣
اقليم جزين : ٧٣'٢٨'١٢	ارناؤوط : ٤٤'٣٩'١٢'٩
اقليم الحرفوب : ٧٣'٢٨'١٢	عسكرهم : ١٥٧'١٠٠
اقليم سوريا : ١٤٨	ارواد 'جزيرة : ٧٨'٧٧
الاقليم الشامي : ١٤٨	الاروام : ٨٢'٨٠'٧٧
اقليم الشوس : ٣٩'٢	الاذعري 'اسحق : ٦١
الاقليم المصري : ١٤٨'٦٤'٦٣'١٧'١	ازمير : ١٢٠'١٠٥'٨٠
الأكراو : ٣٨'٢٥'٢٠'١٧'١٤'١٢'١٠'٩	الازواق 'قرايا : ٨٤
١١١٤'١١٠'٨٨'٤٤'٤٠'٣٩	الاستانة : ١٤٠'١١٣'٧٣'٦٦'٢٨'٣٣'٧
اشبازهم : ١٥١	١٥٣'١٥٢
عسكرهم : ١٢٥'١٠٢'١٠٠'٢٥	اسد 'القدم : ٧٢
الأكليروس : ١٤٤	اسطغان 'الخوري : ٤٦
امين بك : ٨٥	الاسكندرية : ١٣٣'١٢٣'١١٩'٦٤'٤
انجه ييرقوار باشا : ١١٧'١١٢	اسكولويوس 'او انقليوس : ١٢٩
الانجيل : ١٢٩'١٢٨'٩٧'٣٣	الاسلام او المسلمون : ٤١'١٩'١٥'٦١'٣
انطاكية 'بطركيتها : ٢	٨٠'٧٠'٦٩'٦٨'٦٥'٥٦'٥٥'٤٢
انقه : ٢'١	١٣١'١١٨'١١٠'١٠٩'١٠٢'٩٧
انكلرة 'سفارخا : ١٤٠'١٢٠	١٣٧'١٣٤'١٣٣'١٢٩'١٢٨'١٢٦
الانكلير : ١٤١'١٤٠'١٣٣'٦٣'٣٠'١٩	١٥٥'١٥١'١٣٩
١٤٨'١٤٦'١٤٢	دينهم : ١٥٣'٧٣'٦٦'٤٣'٤٢'٣٤
دولتهم : ١٤١	١٥٦
فصلهم : ١٥٠'١٤٨'١٤٥'١٤١'٦٥	شرعهم : ٧٩'٧٨
فصليتهم : ١٥٢'١٤٥	مشايهم وخطباؤهم : ١٢١
اورفه 'ايالتها : ١١٩	اسماعيل باشا : ٩
اورويا : ١٥٤'٦١'٣٧'٣	اسماعيل بك 'امير الغوا : ١٣٦
دولها : ٦٤	اسماعيل 'المنلا : ٣٦'٣٥
الاورويون : ٤٦	اغايوس مطر 'بطريرك الروم الكاثوليك : ٥

الحواجة حنا : ١١٣'١١٣'١١١'٨٨

الملم ميود : ١٤٨'١٤'٤٣'٤٢

ميخائيل : ٤٢

البحر الابيض : ٨٠

بحر المالح : ٦٤

بربر ' مصطفى آغا : ٧١'٣٨

برج الجراجنة : ٥٩

برج الدبان : ١١١

برج علي : ١١٦

برهام باشا ' والي ادنه : ٨٩'٨٥

البستاني ' الملم بطرس : ٧١'١

البستاني : ١٢'٩'٥'٤

بطرس ' الحواجة : ٨١

الطاركة : ١٤٦

بطرك الروم : ٧٧'٧٤

بطرك الروم الكاثوليك : ٥

البطريك : ١٤٦'١٤٤'٨٠'٧٩'٧٨'٧٧

البطرونة : ١٤٩

بددان : ٥٥

بغلقين : ١٥٧'١٥٦'٩٩'٧٢

دروزعا : ١٥٦

عيلك : ١٤٩

اراضيا : ٩٧

بلادها : ١٤٠'١٣٨'١٢٢

جردعا الشرقي : ١٣٠

طريقها : ١١٣

بقداد : ٤٩

البغدادي ' عمر افتدي : ٦٩

البقاع : ١٥٤'١٤٩'١٢١'٨٥'٧٣'٣٦'٣٣

سبله : ٨٨

اوزون علي : ٤٨

آيب : ١٣١

ايكي قبولي ' مقاطعها : ١٣٠

ب

البابا : ٤١'٢

بابا عمرو ' سبله : ١١٧

تله : ١١٨'١١٧'١١٥

باب الجسر : ٥٤

باب الحكومة : ٧٧

باب شرقي : ١٣٩'١٣

الباب العالي : ١٥٣'١٥٢'٦٧'٤٩

الباحوط ' جدعون : ٨٤

بادوخ ' شوييل : ١٠١

الباروك : ٥٢'٥١

باز ' ابو داود بك : ٤٣٠

اولاد قرسيين : ١٤٤

الشيخ جرجس : ٤٠'٣٥'٣٤'٣٣'٣١

١٤٤'٩١'٥٩'٤٣

عبد الاحد : ١٤٤'٤٠'٣٥'٣٤'٣٣

البازدارية : ٤٨'٤٧

الباشا : ٤٣'٤٢

باشا ' الحواجات : ١٨

ميخائيل : ١٩'١٨

بتدين : ١٤١'٩٩'٨٥'٦٠'٥٣'٥٢'٤٨'١٩

سرايتها : ١٥٧'١٥٣

بثلون : ٥٢

بحري بك : ١٤١'١٣٨'١٢٠'١١٨'١١٣

١٥٠'١٤٩'١٤٨'١٤٧'١٤٢

البحري ' بيت : ١٥١'٤٣'٣٩

ت

الثنائير : ٣٣	غربية : ١٤٥٠٧٢٠٦٢
تدبر : ٦٥	طريقه : ١١٣
الأتراك الثانيون : ٨٩٠٥٥٠٤٨٠٤٤٠١٠٠٥	بغداد : ١٠١٠١٠٠
١٤٥٠١٤٢٠١١٧٠١١٦٠١١٤٠١١٠	بكاء : ١٢٦
١٤٨	بكيفيا : ١٠٦
بر الترك : ١٥٠٠١٣٦٠١٢٠٠٣٤	بكيفيا : ٩٣
بلادهم : ١٥٧٠١١٩	بلاد بشاره : ٢١٠١٥٠١٢٠١١٠٠٤٠٣٠٢
دولتهم : ٣٨٠٣٧٠٣٦٠٣٤٠٣٣٠٣٠	٣٩٠٢٨٠٢٢
٧٤٠٠٦٩٠٦٧٠٦٥٠٤٩٠٤٨٠٤٤٠٤٠	مناولتها : ١٣١
٨٨٠٨٧٠٨٦٠٨٥٠٨٣٠٨٠٠٧٨٠٧٦	البلاتيني : المعلم رينا : ١٢
١٠٨٠١٠٥٠١٠٠٠٩٤٠٩٣٠٩٢٠٨٩	بنت جليل : ١٠
١٤٠٠١٣٤٠١٢٠٠١١٣٠١١١٠١١٠	البندقية : شينجها : ١
١٥٣٠١٥٢٠١٤٩٠١٤٥٠١٤٢٠١٤١	بنيامين الانكليزي : ٦٣٠٦٢
١٥٧٠١٥٦٠١٥٥٠١٥٤	بني مويث : ٨٨
حكيم : ١٢٢	البوغاز : ٦٤
السلطان : ١٥٥٠١٥٣٠٩٧	بونا بارتو : نابوليون الاول : ٦٣٠٤١٠٣٠
السلطنة : ٨٨٠٨٠٠٤٨٠٣٨٠٣٧٠٣٣	١٤٣٠١١٩٠١٠٥
١٢٩٠١٣٦٠١٣٤٠١٢٣٠١٢٠٠١١٣	البياضة : خلوات عفاها : ١٢٧
١٥٣٠١٥١٠١٤٨	بيدر : حنا : ٥٥٠٥٤
سليم : السلطان : ٦٤	البيطار : حسن : ١٢٧
عسكرهم : ١٠١٠٠٠٠٦٤٠٣٠	بحروت : ٢٤٠١٨٠١٥٠١٣٠١٢٠٧٠٦٠٥٠٢
١٣٦٠١١٩٠١١٧٠١١٥٠١١٢٠١١٠	٨٨٠٦٩٠٦٣٠٥٩٠٥٧٠٣١٠٣٨٠٢٧
١٥٣٠١٤٧٠١٤٢	١٤٦٠١٤٥٠١٤٣٠١٤٢٠١٤١٠١١٠
الترك : يوسف آغا : ٣٥	١٥٧٠١٥٢٠١٤٩٠١٤٧
الثلث الاخضر : ٣٦	بحرها : ١٤٠
تلحوق : ٩٩	حرشها : ٥٩
الشيخ حدين : ١١٧٠٨٧	ساحلها : ٩٦٠٦٠
قل القنار : ١١١	مينائها : ١٤١
	والها : ١٥٧

حاييم ' المعلم : ٢٣'٣٩'٤٤'٤٥'٤٦'٤٧'٦٨	الشيخ سعيد : ١٣١'١٥٣'١٥٧
٨٩'٨٦'٧١'٦٩	الشيخ سليم : ٩٠'٩١'٩٢'١٠٢
اخيشه ' واليا : ١١٣	الشيخ علي : ٩٠'٩٨'١٠١'١٠٣
حيثش ' البطريرك يوسف : ٨٩'١٤٤	الشيخ قاسم : ٩٠'٩٨'١٠٣
الشيخ يعقوب : ١٤٤	الشيخ نعمان : ١٥٣'١٥٧
الحج : ٣٥'٤٠'٤٤'٨٥'٨٦	الجنبلانية : ٢٠'٣١'٩٩'١٠٠
اربيته : ٤٠'٤٤'٨٦	الشايف : ٥٥
امين كلاله : ١٥٦	مشايير : ٣٠
طريقه : ٤٠'٤٤'١٤٧	الجنبلاتيون : ٣٠'٤٠
الحجاز : ٤٠'٤٤'١١٣'١٤٧	جنعم : ١٣٦'١٣٧
اقطارها : ٤٠	جويان اوغلو : ٤٨
بلادها : ٤٠'٤٤'١٥٢	الجوشي ' السيد محمد : ٨١
مروجا : ١١٣	جوزي كزليش التابوليتاني ' الدكتور : ١٠٥
حجاز ' لمن موسيقي : ٦٦	
حداد ' القوري يوسف : ١٣٢	ح
الحدث : ١٣	الحادي ' موسى آغا : ٣٩
حرفوش ' الاسراء : ١٣٨'١٣٢	حاصيا : ٤'١٣'٧٧'١٠٠'١٠٣'١٠٦'١٠٨
الامير جواد : ١٣٨	١١٢'١١٣'١٢٢'١٢٤'١٢٦'١٢٧
الامير خنجر : ١٤٠	١٢٨'١٣١'١٢٩
حزقيال الاسرائيلي ' المعلم : ٦٧'٦٩'٩٩	اراقها : ٩٢'١٠٣'١٠٦'١١٤
حسن باشا : ٧'٨٢	١٢٢'١٢٧
حسين باشا : ١١٩	اعالي بلادها : ١٣١
حسيه : ١٣٠	بلادها : ٩٣'١٠٨'١٢١'١٢٦'١٢٧
الحصن ' بلادها : ٣٠'٣٦	حاكما : ١٣٠
الحكيم ' سليمان : ٤٩'٥١'٥٢	حصار مرايتها : ١٢٧
حلاج ' ابراهيم : ١٧	حكومتها : ٨٩
ميشائيل : ١٧	دروزها : ١٠٤'١٢٤
حلب : ٤٨'٥٩'٧٦'٧٧'٨٦'٨٧'١١٩'١٢٠	طريقها : ١٤٧
١٣٦'١٣٨'١٤٣'١٥٠	مرقوب بلادها : ١٢٦
بلادها : ٤٦'٤٧'٤٩	

- حكومتها : ١٣٦
اياتها : ١٢٠٠١٠٢٩٣
طريقها : ١١٩
واليها : ١١٣٩٢٨٩٠٨٧٨٦٨٥
الخلي : الشيخ عز الدين : ٨٧
جادي : اولاد حسين : ١٠٩
البكوات : ٧٢
بيت : ٩٩
الشيخ حسين شلي : ٩٨٧٢
حان : قرية : ٧٢
حام : ٧٤٧٣٤٠٣٧
بلادها : ١٤٣
متسلسها : ١٣٧
الحمزاي : ٦٤
الحمزاي : السيد الشريف محمود اقندي : ١٣٣
جمهر : ١١٨٠١١٧٠١١٥٠١١٤٠١١٣٠٧٤٠٧٠
١٤٢٠١٣٠٠١١٩
بلادها : ١٤٣٠١٠٣
طريقها : ١١٤
الحنا : اسد : ٢٦
الياس : ٢٦
موسى : ٢٧٢٦
ناصر : ٢٦
يعقوب : ٢٦
الخنفي : المذهب : ١٣
جوران : ٨٧٨٣٨٢٧٣٢٧٦٠٠٤٤٤٤٠
٩٥
بلادها : ٧٣
دروزها : ١٤٥٨٧
طريقها : ١٥١
- الحولة : ١٣١
بلادها : ٩٣
قضاؤها : ١٠٤
ميدر قابديه : الامير : ١٠٠
حيفا : ١١١٠١٢٨٧
خ
الحازن : الشيخ شمين : ١٤٤
خالد باشا : ١٤٩٠١٤٦
خالد باشا : ١٤٩٠١٤٦
خالد بن الوليد : ١٣
خان الثورون : ٧٥
الحريية : ١٣١
خريطوس : ٧٤
الحريية : ١٤٠
الحلاقة : ٤١
الحلقاء المباشيون : ٤٢
خلوانية : ١٢١
خليل باشا : ١٥٢
خليل كامل اقندي : ١٣٦
الموازنة : ١٢٨٠١٢١
الحوري : الحوري اسطفان : ٤٧
الشيخ خندور : ١٥٠٩٠٥
يوسف : ٥٩
د
دانه : سهولها : ١٢٥
الداسور : ١٥٤
مطلقها : ٩٠٨٨
دان : مدينة : ١٠٤

اجانها : ١١٤ :	ديراقي ماتون : قنصل فرنسا : ١٣٢
اختدتها : ١١٤ :	الدحداح : مشايخهم : ٨٠'٣٠
اهاليا : ١٠٩'١١٠'١٣٧ :	الشيخ ابو خطار سلوم : ٣٠
حارة النصارى : ٧٧'٧٦'٧٥ :	الشيخ منصور : ٧٣
حكومتها : ١١٩ :	دروديت : ١٣
سراياها : ١٠٣ :	الدروز : ١٦'١٢'٢٨'٢٩'٣٠'٣٣'٣٤'٣٦
مجلسها : ١٢٠ :	٤٦'٥٥'٩٩'١٠٢'١٠٨'١١٨
يهودها : ٤٣ :	١٢٣'١٢٤'١٢٦'١٢٧'١٢٩'١٣٠
ديياط : ٢١'٢٤'٢٧'٢٦'٢٣'٢٤'٢٠'٦٠ :	١٢٥'١٥٥'١٥٦'١٥٧
٦٧	بلادهم : ١٢٤'١٢٨ :
القول الاجنبية : ٦٥	عسكرهم : ١٢٥ :
الدوماني : يوسف : ٩٦	عقلمهم : ١٢٩ :
دير ايلياس النبي : ٨	قديسهم : ١٢٨ :
دير عطيه : ١١٤	كبراؤهم : ١٥٥ :
دير القمر : ٥'١٣'١٤'١٥'١٩'٢٠'٢٤ :	مشايخهم : ١٥٧ :
٢٧'٢٨'٢٩'٣٠'٣١'٣٢'٣٤'٣٥ :	مشايخ عقل : وغلواتيه : وخطيا :
٢٦'٢٣'٤٦'٤٨'٤٩'٥١'٥٣'٥٥ :	١٢١ :
٥٦'٦٠'٦١'٦٣'٦٦'٦٧'٧٥'٧٥ :	نساءهم : ١٢٩
٨١'٨٥'٨٩'٩٠'٩١'٩٢'٩٤'٩٥ :	درويش باشا : ووالي الشام : ٥٣'٧٥'٨٢
٩٨'٩٩'١٠٠'١٠٦'١٠٨ :	٨٥'٨٦'٨٨'٨٩'٩٣'٩٣
١٠٩'١١٣'١١٤'١١٧ :	دمشق : ١٠'١٦'١٧'١٨'١٩'٢٢'٢٥'٣٠
اهاليا : ١٥٦'١٥٧ :	٣٢'٣٦'٣٧'٣٩'٤١'٤٣'٤٤'٤٥
حكومتها : ٣٢ :	٤٩'٥١'٥٢'٥٣'٥٤'٥٧'٧٣'٧٣
كاثوليكها : ٦٦ :	٥٤'٧٦'٧٧'٧٨'٧٩'٨٠'٨١'٨٢
موارثها : ١١٣ :	٨٣'٨٥'٨٦'٨٧'٨٨'٩٠'١٠٨
وجوعها : ١٥٣'١٥٧ :	١٠٩'١١٠'١١٣'١١٤'١١٦'١٢٠
يهودها : ١٠١ :	١٢١'١٢٢'١٢٣'١٢٤'١٢٥'١٢٦
دير الكجالة : ١٠٣	١٢٧'١٣٠'١٣١'١٣٥'١٣٦'١٣٧
دير المخلص : ٨٠'٧٧'٣'٢	١٣٨'١٣٩'١٤١'١٤٦'١٤٧'١٤٨
ديلا لند الفرنسي : ٦٣'٦٢	١٤٩'١٥٠'١٥١'١٥٢'١٥٣'١٥٦
الدياس : طريقها : ١٣٦	١٥٧

١١٧'٩١'٨٠'٧٩	ذ
مذهبهم : ٧٨	ذيان ' الشيخ علم الدين : ١٠٣
رويه ' مدرستها : ٢٠	ر
رجا : ٤٧	رأس العين : ٢٥'٢٤
الريحان : ٢٨	راشيا : ١٢٢'٩٤'٩٣'٨٧'٨٥'٨٣'٧٣'١٣
ز	١٣١'١٢٧'١٢٦'١٢٤
الزبانية : ١٨	اسراؤلا : ١١٣'١٠٨'٩٢'٤٦'٤٥
الزبداني : ١٢٩	١٢٢'١١٤
زحلة : ١٤٩'١٤٦'١٤٥'٦٠	بلادها : ١٠٨'٩٣'٨٩'٨٥'٤٥
مسلطتها : ١١٤'١١٣'١١٢	١٢٧'١٢٦
زخريا ' مطران عسكار : ٧٨	حكومتها : ١٠٦'٤٥
زغران بول : ١٥٢	دروزا : ١٢٤
زكريا ياشا : ١٥٣	راغب افندي : ٢٥
الزيادنة ' المشايخ : ٢٥'٥'٣	رذق موسى : ٢٢'١٧'١٦
الزبداني ' الشيخ طاهر العمر : ٧	رسلان ' اسرا - بيت : ٧٢
زين الدين ' عاتلة : ٥٣'٥٢'٥١'٣٥	السيدة جبوس : ٩٩
س	الامير مصطفى : ٩٩
الساحل : ٤٩'٤١'٣٣	رشيد باشا : ١٥٣
طريقه : ٤٩	الرشافي ' ابراهيم آقا : ١١٣
سانور ' قلعتها : ١٠٩'١٠٨'٩٥	رشميا : ٣١'٣٠
مسكرها : ١٥	رشمي : ١٠
سائيق ' ساقية : ٧	روفائيل ' المعلم : ٤٤
سرور ' جرحس : ٢١	الروم ' الاورثوذكس : ٣٩'١٩'١٤'٢
ميخائيل ' قنصل الانكليز بدمياط :	١٣٢'١١٨'٨٠'٧٩'٧٧'٧٦
٦٥'٢١	بلادهم : ٨٠
السريان اليحافية : ١١٨	مطراحم : ١١٧
سمس : ١٤٩	الروم الكاثوليك : ٤٢'٣٩'٢٥'١٠'٣'٢
سيد آقا : ٤٩'٤٨	٤٧٨'٧٧'٧٦'٧٣'٧٠'٥٦'٥٤'٤٦

حكومتهم : ١٥٣
الامير احمد : ١٠٨'١٠٧'١٠٦'١٠٣
الامير اخندي : ٨٦'٨٥'٤٥'١٣
١٠٨'١٠٧'١٠٦'٩٣'٨٩
١٢٦'١٢٤
الامير اسعد : ٨٨
الامير اسماعيل : ١٣
الامير امين : ٩٩'٩٨'٥٢'٥١'١٣
١٥٣'١٥٣'١١٣'١١٢
الامير امين : حاصيا : ٨٩
مدينة : اولادها الاراء : ١٢٤
الامير بشير الكبير : ١٥'١٤'١٣
٢٠'٢٩'٢٨'٢٧'٢٤
٢٨'٢٦'٢٥'٢٤'٢٣'٢١
٤٧'٤٦'٤٥'٤٤'٤٣'٤٠
٥٣'٥٢'٥١'٥٠'٤٩'٤٨
٦٩'٦٨'٦٧'٦٠'٥٩'٥٨
٨٠'٧٥'٧٣'٧٢'٧١'٧٠
٨٦'٨٥'٨٤'٨٣'٨٢'٨١
٩٢'٩١'٩٠'٨٩'٨٨'٨٧
٩٨'٩٧'٩٦'٩٥'٩٤'٩٣
١٠٣'١٠٢'١٠٠'٩٩
١٠٧'١٠٦'١٠٥'١٠٤
١١٣'١١٠'١٠٩'١٠٨
١١٦'١١٥'١١٤'١١٣
١٢٣'١٢١'١١٨'١١٧
١٢٣'١٢٢'١٢١'١٢٠
١٢٤'١٢٣'١٢٢'١٢١
١٢٦'١٢٥'١٢٤'١٢٣
١٢٦'١٢٥'١٢٤'١٢٣
١٥٥'١٥٤'١٥٣

اولاد يوسف : ٩٦
شرف الدين : الشيخ : ٦٦
الشرق : ٧٧'٤١
الشرقون : ٤١
شريف باشا : ١٢٦'١٢٥'١٢٣'١٢٢'١٢١
١٣٨'١٣٧'١٣٦'١٣٥'١٣٤'١٣٣
١٤٨'١٤٧'١٤٦'١٤٥'١٤٤'١٤٣
١٥٠'١٤٩
شريف بك : ١٢٠
شعبان : ابو الحسن : ١٠٦
موسى : ١٠٦
شقا مهر : ٨٣'٨٢
الشقيف : بلادها : ٥٨'١٢'١٠'٩
الثلثون : الشيخ يوسف القروي : ٧٣'٥٩
٨٠
الشباط : احمد آغا : ٧٥'٧٤
شدين آغا : ٣٩
شمس : شايخ بيت : ١٠٤
الشيخ ابو صعب : ١٠٤
الشيخ احمد : ١٠٤
الشيخ امين : ١٠٤
الشيخ خليل : ١٠٤
سليم بك : ١٠٤
الشيخ قاسم : ١٠٤
شمس المريد : ١٣
الشعوي زخود : ٥٨'٥٧'٥٦
شعلان : ٧٣'١٣
شهاب : امراء بيت : ٧٣'٦٦'٦٥'٦٤'٦٣
١٣١'١٢٤'٨٩'٧٣
امراء البهاجرين : ٨٨'٧٣'١٣

الامير سلمان : ١٠٣'٩٨'٧٣'٩٣ :
 الامير سليم : ١٠٤'٩٣'٩٣'٨٩ :
 : ١٠٨'١٠٦
 الامير سيد احمد : ٩٣'٨٩'٧٣'١٣ :
 الامير عباس : ٩٠'٨٩'٨٨'٧٢ :
 : ٩١'٩٢'٩٦'٩٧'٩٨'١٠٣ :
 الامير عثمان : ٨٩ :
 الامير علي : ١٢٤'٨٩'٧٣ :
 الامير علي بدية : ١٢٧ :
 الامير عمر : ١٣ :
 الامير فارس : ١٠٣'٩٨'١٣ :
 الامير قاسم : ١٣'٢٨'٨٩'١٥٢ :
 : ١٥٣ :
 الامير قعدان : ١٣ :
 الامير محمد : ١٠٠'١٠٣'١٠٦ :
 : ١٢٤ :
 الامير محمد ' حاصيا : ٨٩ :
 الامير محمود : ١٢٤'١٣٧'١٣٨ :
 الامير مجيد : ١٤١'١٤٥'١٤٦'١٥٣ :
 الامير سعود : ١٥٣ :
 الامير ملحم : ٧٣'٣٢ :
 الامير منصور : ٤٥'٨٥'٨٦'٨٩ :
 : ١٠٦'٩٣ :
 الامير يونس : ١٣ :
 الامير يوسف : ٦٥'٦٠'١٠'٣٢ :
 : ١٣'١٤'١٥'٣٠'٣٢'٥٥ :
 : ٥٦'٥٧'٥٨'٥٩'٧٣'٧٥ :
 اولاده : ٣١'٣٥'٣٥'٤٠ :
 : ٥٩'١٠٣'٥٩ :
 : ٥٩

١٥٣ : حزيه : ١٠١ :
 سلطان البر : ٦٣ : مسكره :
 : ٥٩'١٠١'١٠٩ : مالكانه
 اولاده : ١١٣ :
 الامير بشير ' برمانا : ١٣ :
 الامير بشير القاسم : ٩٩'١٠٠'١٤٦ :
 : ١٥٥ :
 الامير بشير ' ابن خاله الامير حيدر :
 : ١٢٧'١٢٤'١٠٦'٣٢ :
 : ١٣٠ :
 الامير بشير ' اخو الامير اخدي : ٤٥ :
 الامير بشير ' حاصيا : ٨٩ :
 الامير جهجاه : ٩٣ :
 الامير حارث : ١٣ :
 الامير حسن : ٢٨'٣٤'٣٨'٦٦'٧١ :
 : ٧٣'٨٩'٩٨'١٠٣ :
 الامير حسن بدية : ٩٣'١٠٦ :
 الامير حسين بدية : ٨٩'١٠٣'١٣٤ :
 الامير حيدر : ١٣'٣٣'٧٣'٨٨ :
 الامير حيدر الاحمد : ٧٢ :
 الامير خليل : ١٣'٨٣'٨٤'٩٩ :
 : ١٠٠'١٠٣'١٢٤'١٢٦ :
 : ١٢٧'١٣٦'١٥٣ :
 الامير خليل ' حاصيا : ٨٩'١٣٠ :
 : ١٣١'١٤٧ :
 الامير سعد الدين : ٤'١٣'٨٩'٩٣ :
 : ١٠٠'١٠٣'١٠٤'١٠٦ :
 : ١٠٧'١٠٨'١١١'١١٣ :
 : ١١٣'١٢١'١٢٢'١٢٤ :
 : ١٢٧'١٣٠'١٣١'١٤٧ :
 : ١٤٩

الامير يونس : ٨٨ :

الشوف : ٥٥ :

رجالته : ١٥٧'١٠٣'١٠٠ :

قائمه : ٩٩ :

قاسه : ١٠١ :

الشوفين : ٢٨ :

شوتيا : ١٢٧ :

الشوقيات : ٩٨ :

الشعبة او الخاتمة : ٢٣'١١'١٠'٥'٣'٢ :

مشايخهم : ٥٨'٣٩'٢٧ :

ص

الصايونجي + ابراهيم : ٣٩ :

صالح ، الشيخ : ٧١'٧٠ :

الصباغ ، المعلم ابراهيم : ٩'٨'٧ :

الخواجه حبيب : ٧ :

الصحابة : ١٢٩ :

الصدارة ، وزيرها : ١٥٣'١١٩ :

الصدر الاعظم : ١٤٦'١١٩'٣١ :

صروف ، البطريرك اغناطيوس : ٧٧ :

صعب : ٥٣ :

الصحية ، مشايخ : ٢ :

الصعيد : ٨٨'٦٤ :

بلادها : ٦٠ :

صفيون : ٦٢ :

صغد : ٣٥'٧'٢ :

بلادها : ٦٥'٢٧'١٣'١٠'٢ :

صنجد : ١٢٥ :

الصليبيون : ٩ :

سود : ٢٢'٢١'١٩'١٧'١٤'١١'٤'٣'٢ :

٧٧'٣٩'٢٧'٢٥'٢٢ :

الصوري ، جرجس بطرس : ٢٤ :

صيدا : ٥٤'٣٩'٢٢'١٤'٩'٧'٦'٥'٤'٣'٢ :

٧٨'٧٧'٧١'٧٠'٦٩'٥٧'٥٦'٥٥ :

١٤٩'١٤٦'١٤٥'٨٦'٨٥'٨٢ :

١٥٧'١٥٤'١٥٣ :

اياتها : ٤٠'٣٦'٣٥'٢٧'٢٥'٧'٦ :

٩٣'٩٣'٧٢'٧١'٦٩'٦٧'٦٦'٤٤ :

١٠٥'١٠٨'١٢٠'١٤٨'١٥٦ :

بوايتا : ٥٧ :

حارثا : ٢٥ :

ساحلها : ٥٤ :

طريقها : ١٤١ :

فلاحو اياتها : ١٠٥ :

قلتها : ٥٤ :

مقلتها : ٥٦ :

ميناوفا : ٢٠ :

واليتها : ١١٠'٧٧'٤٥'٤٣'٣٨'٥'٢ :

صيدح دوقان ، الطبيب : ١٤٧ :

الصيدناوي ، خليل : ١٥١ :

ض

ضاهر العمر : ٩'٨'٧ :

ط

طاهيا ، الشيخ اليزيدي ، رئيس الاكراد : ٩ :

٢٦'٢٣'٢٢'٢١'١٤'١١ :

طبريا : ٤٤'١٣ :

طرابلس : ٨٦'٧٧'٧١'٣٨'٣١'٢٤'٢ :

عبد الصمد ، بيت : ٥٥
عبد المجيد ، السلطان : ١٣٩
عبد الحادي ، الشيخ حسين : ١١٠
عبيد : ١٢٨ ، ١٣
عزليث ، ساحلها : ٦٩
عنان باشا اللبيب : ١١٢
عنان النجاشي : ١٢٩
عجته ، قرية : ١٠٩
عذرا ، قرية : ١١٤
العرب ، ابناء : ٨٩
بلادهم : ٤٢
العرب ، قائم : ١٠٣
عريشان ، سر عسكريها : ١١٣
العرقوب : ٥٢
رجاله : ١٠٢ ، ١٠٠
الريان ، الشيخ شيلي : ١٥٧ ، ١٣٠ ، ١٢٧ ، ١٢٤
الريش : ٤٩
قلعتها : ٤٣١ ، ٣٠
عزام ، ابراهيم : ٧٥ ، ١٥
حنا : ٨٨ ، ٨٢ ، ٧٦ ، ٧٥
خليل ابراهيم : ١٥
عز الدين ، الشيخ : ٨٨
عسير : ٦٤
المطار ، الشيخ محمد : ٨٣
عطيه ، بيت : ٢٠
المعلم خليل المهندس : ١٠١
المعلم ، حافظ بك : ١٤٧
عبدالله باشا : ١٤٧ ، ٤٠
ناصر باشا : ١٤٦
عظم زاده ، فارس بك : ٧٩

١٥٤ ، ١٤٣ ، ١١٤ ، ١١٢
اسكنها : ١
اياتها : ١٣٠ ، ١١٢ ، ٩٤ ، ٤٤
منسما : ٧١
الطرابلسي ، اولاد : ١٤
ابراهيم : ٢٤ ، ١٤
حسين : ١٣١
طرشيجا : ٧١ ، ٧٠
الطرشيجي ، صالح ، قاضي ترشيجا : ٧٠
طويل علي : ٤٨
طوسون باشا : ١١٤
ظ
الظهر الاحمر : ١٢٦ ، ١٠٦ ، ٩٣

ع

عازرا ، المعلم غنطوس : ٩٥
عكف بك : ١٤٧
العامي ، جاء الدين : ٩٠
عباس باشا : ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤
العباسيون ، دولتهم : ٤٢ ، ٤١
عبدالله باشا : ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦
٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٧٧ ، ٧٣
٩٨ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٩
١١٣ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١٠٥
١٥٣
عبدالله بك : ٦٧ ، ٦٦
العبد ، حسن آغا : ٨٥
عبدالله افندي الميردار ، والي الشام : ٩٤
عبد الملك ، الشيخ شيلي : ٩٩ ، ٤٠

١٢٦'١٠٦'١٠٤'١٠٠'٩٥'٤٥

١٥٦'١٤٥

الشيخ امين : ١٠٣'١٠٢

الشيخ خطار : ١٥٧'١٥٣

الشيخ علي : ٩٣'٨٩'٥٢'٤٧'٤٠

١٠٣'١٠٠'٩٩'٩٨

الشيخ ناصر الدين : ١٢٦

عقار بن ياسر : ١٢٩

عناطور : ٥٥

عمر باشا : ١٥٧

عنجوري : ٢٤

عنجوري ، بطرس : ١٠٥'٩٠'٦٢'٢٧'٢٤

حنا : ٢١

ابنته : ٢١

دوقايل : ٢٤

نخايل : ٢٤

العودة ، ابراهيم حنا : ٣٩

المعلم حنا : ٤٤'٣٩'٢٣

نخايل حنا : ٣٩

عوض : ٤

عين ابل : ١٠

العيناني ، الخاغام يعقوب : ١٢٣

عين تراز : ٥

عين حرشا : ١٠٨

عين عطا : ٩٣

عين وزيد : ١٠٠

غ

غازي ، الارشيبندديقي انثيموس : ٦٢

الغنيوب : ٦٢

دوقايل خرا : ٦٢

المقال ، ملاييسم : ١٢٨

المقيلي ، الشيخ نجم : ١٣٠'٢٨

عكا : ١٥'١٤'١٣'١١'١٠'٩'٨'٧'٤'٢

٣٠'٢٨'٢٧'٢٦'٢٣'٢١'٢٠'١٨

٧٢'٧١'٧٠'٦٩'٦٦'٤٤'٣٩'٣٨

١٠٢'٩٤'٩٣'٩٢'٩٠'٨٩'٨٧

١١٤'١١٣'١١٢'١١١'١١٠'١٠٩

١١٨'١١٣'١١٢'١١١'١١٠'١٠٩

١٤٩

اسوارها : ١١٣'١١١

خزينة : ١٠٢'٩٣

سر عكرها : ١١٣

صحر اوفا : ١١٢'٩٢

طريقها : ١٣٥

عكرها : ١١٢'١١١

عكار : ١٠٠'٩٩'٧٨'٣١

بكووات بلادها : ٣٠'٢٧

بلادها : ٩٨

المكاوي ، يوسف : ٧٣

الطلا : ٧٩'٧٨

علو بك : ١٥٢'١١٤'١١٠

علي ، موظف مصري للضرب : ١٢٠

علي الاعرج : ٤٨

علي آغا ، خزينة كاتي : ١٣٧'١٣٦'١١٠

علي آغا ، مملوك تاصيف باشا العنقه : ١٤٦

علي باشا : ٦٦'٣٨'٣٧

علي بك ، ابن خليل كامل افندي : ١٣٦

علي الصغير ، المشايخ بيت : ٢٠

علي الطويل : ٤٨

العاد ، المشايخ بيت : ١٠'٣٥'٣٤'٣١'٣٠

الفرساويون : ١٩'٣٠'١٤٣
عسكرهم : ٣٠'٦٣'٤
فريج ' يوحنا : ٢٧
القرينيس : ٥٢
المنصب ' عبد : ٨٠'١٣٣
فصح الروم : ٧٤
قولتي الفرساوي ' المعلم : ٦٥
فيثاغورس الحكيم : ١٢٩
قيضي باشا : ٨٥

ق

القاضي ' المشايخ بيت : ٢٩'٦٨'٧٨'٧٩
الشيخ شرف الدين : ١٤٤ :
الشيخ قاسم : ١٥٦ :
القالوش : ٢٦
ابراهيم : ٢٥'٢٦'٢٧ :
اولاد : ٢٧ :
قانا : ٤ :
قب الياس ' قرية : ٧٢'٨٨
قلعتها : ٧٩ :
قبر شموون : ٣٥
قبرص : ٨٠
القدس : ٨٦
مقسلها : ١٣٧ :
قران ' قاضيها : ١١٠
الفران : ٣٢'٦٨'١٢٩
قرداخي : ٦٩
قسطنطين : ٢٥
القسطنطينية : ٨'٦
روحها : ٨٠ :

فرح : ٦٢

الغرب التحتاني ' رجاله : ٩٩
الغرب الفوقاني : ٤٩
مشايخه : ٩٩ :
الغريب ' نعيم : ٧٨
الغز ' اسرافهم : ٤٤
سناجلهم : ٢٤ :
ماليكهم : ٤٥
غزة : ٨٦'١٢٠'١٥٣
اراضيها : ١١٠ :
بلادها : ٣٨'١٠٥ :
لواؤها : ٩٤ :
غزير : ٣٤
الغولة : ٤٦

ف

الفاخوري ' ارسانيوس : ١٤٠
فارحي ' بيت : ٤٢'٤٣'٧٠
المعلم حاييم الاسرائيلي : ٢٣'٣٣'٣٧
٤٤ :
المعلم سلمون : ٨٩
فخر ' ياسيلي ' قنصل فرنسا بدمياط : ٦٢'٦٥
الفراغة : ١٤٤
فرح ' القدس كبرليس : ٦١
فردوس بك : ١٤٦'١٤٧'١٥٠
فرنسا : ٢١'٤١'٤٢'١٤٦
سقارخا : ١٣٠ :
قيس قنصلها : ٢١ :
قنصلها : ١٤'٦٢ :
قنصلها بدمشق : ١٣٣'١٣٥ :

النصير : ١١٣
طريقها : ١١٤ :
القطيعة : ١١٥'١١٤
اللقطات : بيت : ١
القلعون : ٧١'٣٨
قليط : سياق مائه : ١٣٤
الغني : مفرقها : ٥٩
التنواقي : الحواجه دوفيل : ١٨
القيطرة : ١٠٤'٧٣'٤٤
قونية : ١١٩
القبالة : بيت : ٢٠
قبس المشايخ : بيت : ١٠٨'١٠٤
الشيخ بشير : القاضي : ١٠٤ :
قيصر : ١٥٥
قيصر افتدي : ٧٠

ل

اللاذقية : ١٢٢
لجائها : ١٢٢ :
مقلها : ١٣٧ :
٨٥ : ٧٧

لبنان : ٢٩'٢٨'٢٥'١٥'١٤'١٣'٧'٥'٢'١ :
٤٦'٤٥'٤٣'٤١'٣٨'٣٦'٣٣'٣٢ :
٦٦'٦٥'٦٣'٥٩'٥٥'٤٩'٤٨'٤٧ :
٩٣'٨٩'٨٦'٨٥'٨٠'٧٣'٦٩'٦٧ :
١٢٦'١٢٢'١٢١'١٠٣'٩٩'٩٨ :
١٥٣'١٥٢'١٤٦'١٤٣'١٣٠'١٢٩ :
١٥٥'١٥٤
امواله : ١٥٤ :
احاليه : ١٥٥ :
احاليه واعيانه : ١٥٢'١٤٦ :
بطريق كيته : ١٤٤ :
شاطي احكامه : ١٥٥ :
تعيين حكمداره : ١٥٧ :
جبله الشامي : ١٤٤ :

ل

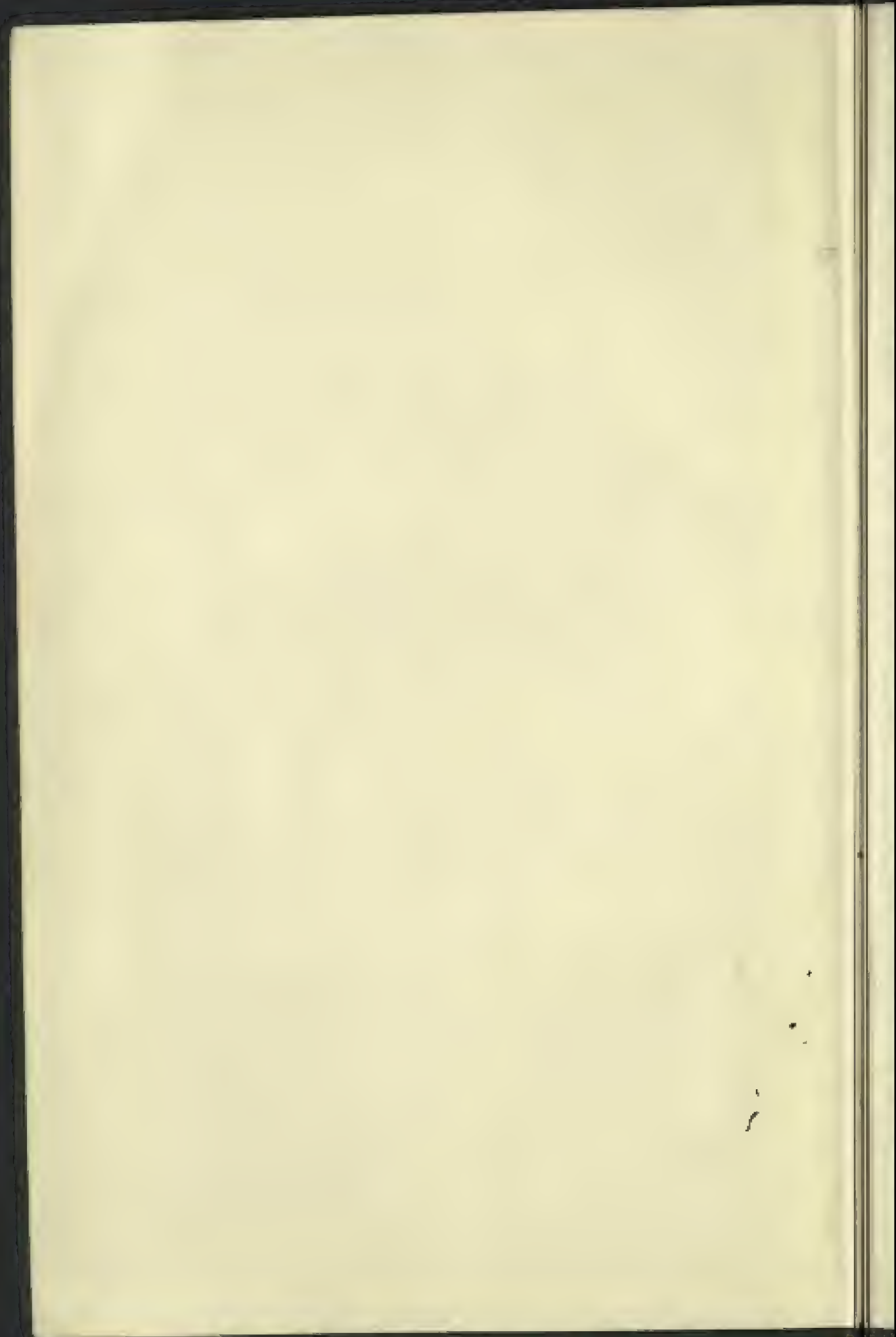
الكجالة : حسن بك الدمشقي متسلم القدس :
١٣٧
الكحلونية : ١٠٦ :
كجيل : الحواجه نفولا : ٣٧
كبرامه : المعلم بطرس : ٧٠'٧١'٧٣'٨٥ :
١٥٣'١٢١'١١٨'١١٤'٨٨
الكردى : ابراهيم آغا : ١٠٥'٨٦'٣٨ :
الكرميل : ٨'٢ :
كريت : ١٤٠ :
كسروان : ١٤٥'١٤٤'١٤٠'٨٤'٨٣ :
الكعبة : ٤١ :
كفر نجرش : ١٠٤'٧٢'٤٨ :
كلوث بك القرناوي : ١٣١'١٣٥'١٢٤ :

هـ	صومهم : ٩٣ :
الحرازي ، اسحق : ١٣٣	في دير القصر : ١٥٦ :
داود : ١٣٣'١٣٤	في كسروان : ١٠٤ :
خادمه : ١٣٥	في لبنان : ١٥٥'١٥٦ :
هارون : ١٣٣	النصرانية ، دينها : ٤٢
الحلالية : ٧	النصيرية : ١٢٢
الحنادي ، عرجم وفرسانهم : ١١٤'١١٢	النهران ، محمد آغا : ٣٩
١١٦'١١٧'١٢٠	نسه آغا : ٣٩
الحواره ، عرب : ٣٩'٤٤	نسه آغا ، المطران : ٣٠
عسكرهم : ١٠٠'١٠١'١٣٣ :	نفاخية : ١٠
و	نقولا اغندي : ٧٠
وادي بككا : ١٢٦	نقيب الاشراف : ٦٨
وادي التيم : ٩٣	النساء : ١٤٠'١٤٢'١٤٨
الوردية ، قرية : ٣	فصلها : ١٣٥'١٤١'١٤٢'١٤٥
الرومانية : ٤٠	١٤٨
الروائيون : ٤٠'٤٤'٤٤'٤٤	نهر الاولي : ٧٢
جيوشهم : ٤٠	نهر الباروك : ١١٩'١٥١'١٠١
وود ، السنيور ديجارد : ١٤٠'١٤١'١٥٣	نهر حاصبيا ، جسره : ١٣
ي	نهر الحمام : ١٥٧
ياغا : ٨٦'١٣٧'١٥٣	نهر سانيق : ٢
اسكتيا : ١٣٣ :	نهر الصفا : ١٩
بلادها : ٣٨'١٠٥'١٥٦ :	نهر العاصي : ١١٣'١١٤'١١٥'١١٧
لواؤها : ٩٤ :	نهر عقربا : ١٣٩
بغرون ، كاهن مديان : ١٢٩	نهر الكلب ، نقاره : ٨٤
جريك : ٣٠	نهر اللدان : ١٠٤
	نهر الليطاني : ٢
	نهر النيل : ٦٢'٦٤
	نهر الحرازي : ٨٤
	نوبتون ، الحكيم اسحق : ٦١

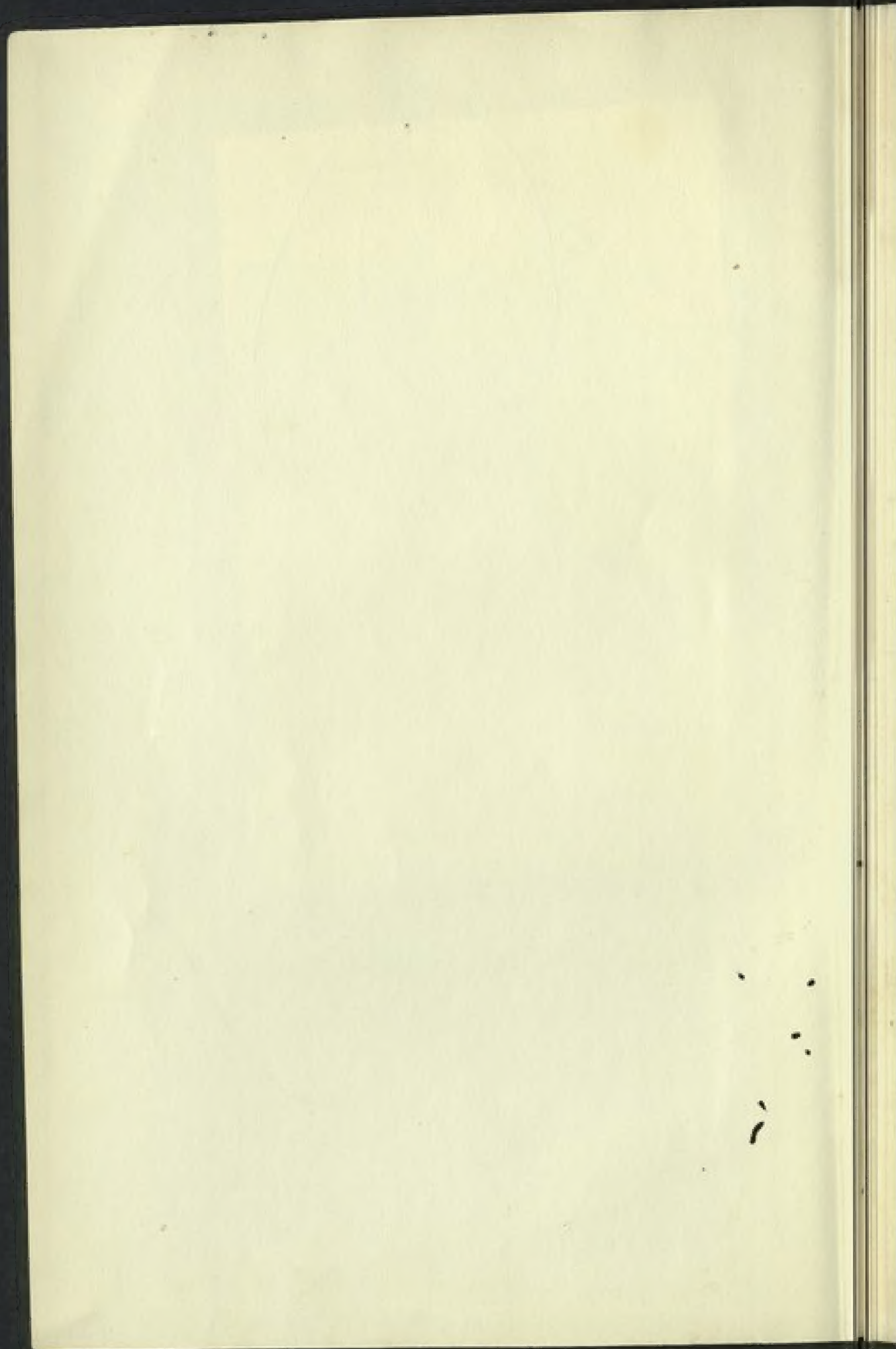
نصوب

الصفحة	خطأ	صواب
٩	الشیطان	الشيطان
١٢	لاغراض	لاغراض
١٥	لوالده	لوالده
٤٧	استفص	استفص
٦٣	یت	یت
٦٣	کتب	اكتب
٩٣	بضنع	يضع
٩٥	—	يستعطف
١٠٠	فلأوا	فلأوا
١٠٤	وقف	وقف

تم طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في العشرين
من شهر كانون الاول سنة ١٩٥٥







DATE DUE



929.2:M98mA:c.1

مشافة، ميكانيك

منتقبات من الجواب على الاقتراح الاحب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01550200



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

